كتاب كليله ودمنه تأليف بيدبا
الفيلسوف الهندي وترجمة عبد
الله بن المقفع الكاتب
من اللغة الفهلوية
الى اللغـــة
العربية

م

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي خلق الانسان في أحسن تقويم وخصه دون المخلوقات بشرف التكريم
ووهبه عقلا يتدبر به ما في السموات والأرض من آيات ليسلك بارشاده أوضح
المحجات ويمحو بنوره ظلمات الريب والالتباس قائلا وتلك الأمثال نضربها للناس
والصلاة والسلام على من بين معالم العرفان المختص بجوامع الكلم في غاية البيان
سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾ فان أتحف
العوارف وألطف المعارف علم يتوصل به الى صدق الفراسة ويستنبط منه
حسن السياسة وأحسن ما لاح على صفحات ذلك الوجه وجنه كتاب كليلة ودمنه
من الكتب التي ترجمت في صدر الدولة العباسيه من اللغة الأعجمية الى اللغة
العربية لأنه في ضروب السياسة أكبر آيه وفي جوامع الحكم والآداب أبلغ غايه
حرى بأن يكتب بسواد المسك على بياض الكافور وحقيق بأن يعلق بخيوط النور
على نحو الحور ولذلك عكف على الاعتناء به أصناف الناس فترجموه من العربية

الى

الى لغاتهم من سائر الاجناس ثم اعتالت نسخه بالعربية أيدى الدهور والاعصار وطار بها من رياح الحوادث اعصار فقيض الله صاحب الفتوحات السنيه والهمة العلية العلويه حامى ذمام المسلمين والاسلام مادسرادق العدل على كافة الانام قاهر الطغاة والجبابره ومرغم أنوف المتمردة الفاجره أمير أمراء المؤمنين وسيف الله المسلول على أعناق المعتدين الحاج محمد على باشا لازالت بذباب سيفه مهج العدا نتلاشى ولا برحت ألويته بالنصر منشوره وعساكره في كل وجهة مظفرة منصوره فاعمل في خدمة الشريعة الغراء وسلوك المحجة الواضحة البيضاء كلا من حد السيف وسنان القلم حتى تفجرت من الصفائح والصحائف ينابيع النصر والحكم وتصدى لاحياء رميم المكرمات الدوارس وانتدب لاعادة دارس العلوم بانشاء المدارس جامعا بين تالد الشرف وطارفه حقيقا بما قلت فيه

ماذا أقول وكيف القول في ملك * قد فاق كل ملوك الاعصر الأول
محمد أنت ان أحمدك مبتهلا * وان طلبت لك العلياء أنت علي
قد أعجز البلغاء الالسن منقبة * عنها رووا بين صدق القول والعمل
أعلى الممالك ما يبني على الأسل * والطعن عند محبيهن كالقبل
وما تقر سيوف في ممالكها * حتى تقلقل دهرا قبل في القلل
مثل الأمير بغى أمرا فقربه * طول الرماح وأيدي الخيل والابل
وعزمة بعثتها همة زحل * من تحتها بمكان الترب من زحل
على الفرات أعاصير وفي حلب * توحش لملاقي النصر مقتبل
تتلو أسنته الكتب التي نفذت * ويجعل الخيل ابدالا من الرسل
يلقى الملوك فلا يلقى سوى جزر * وما أعدوا فلا يلقى سوى نفل
الفاعل الفعل لم يفعل لشدته * والقائل القول لم يترك ولم يقل
والباعث الجيش قد غالت عجاجته * ضوء النهار فصار الظهر كالطفل
الجو أضيق ما لاقاه ساطعها * ومقلة الشمس فيه أحير المقل
ينال أبعد منها وهي ناظرة * فما تقابله الا على وجل
قد عرض السيف دون النازلات به * وظاهر الحزم بين النفس والغيل
ووكل الظن بالاسرار فانكشفت * له ضمائر أهل السهل والجبل

هو الشجاع يعد البخل من جبن * وهو الجواد يعد الجبن من بخل

يجود من كل فتح غير مفتخر * وقد أعد اليه غير محتفل

ولا يجير عليه الدهر بغيته * ولا تحصن درع مهجة البطل

اذا خلعت على عرض له حللا * وجدتها منه في أبهى من الحلل

بذي الغباوة من انشادها ضرر * كما تضر رياح الورد بالجعل

لقد رأت كل عين منه مالئها * وجربت خير سيف خيرة الدول

فما تكشفك الأعداء من ملل * من الحروب ولا الآراء عن زلل

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم * تركت جمعهم أرضا بلا رجل

مازال طرفك يجري في دمائهم * حتى مشى بك مشي الشارب الثمل

يا من يسير وحكم الناظرين له * فيما يراه وحكم القلب في الجذل

ان السعادة فيما أنت فاعله * وفقت مرتحلا أو غير مرتحل

أجر الجياد على ما كنت مجريها * وخذ بنفسك في أخلاقك الاول

ينظرن من مقل أدمى أحجتها * قرع الفوارس بالعسالة الذبل

فلا هجمت بها الا على ظفر * ولا وصلت بها الا الى أمل

ومن جملة ما جعله للدين والدنيا زينة وعيدا ولأرباب الحروب والمحاريب موعدا ومسعدا دار الطباعة التي أنشأها ببولاق حيث لم يكن مثلها في سائر الاقطار والآفاق لان الكتب تطبع فيها من سائر العلوم بكل لغة وبكل رسم مع تلون المداد كما هو معلوم فصادف سعده المقترن من الله بالمنه وجود نسخة مطبوعة بالعربي في غير بلاد العرب من كتاب كليله ودمنه وهي التي ترجمها عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور في أيام أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وكانت ترجمتها من اللغة الفهلوية الى العربيه واتفق الناس على صحة تلك النسخة لشهرة مقصدها بالاهمية حيث قال في ديباجتها اجتمع عندي من كتاب كليله نسخ شتى متفقة السياق والانتظام مختلفة العبارة والالفاظ وكان من عددها نسخة قديمة العهد عجيبة الخط غير أنه كان يوجد فيها مع جودتها بعض الغلطات وقد ذهب منها أيضا بتصريف الشهور والايام أوراق جعلت عوضا عنها أوراق غيرها جديدة العهد رديئة الخط ليست على هيئة الباقي والنسخة المذكورة هي التي اخترتها حتى تكون هي الاصل المعتمد عليه عند

طبعه

طبع هذا الكتاب غير أني كلما عثرت فيها على غلطة أو ما اشتبه على القارئ فهمه
قابلتها بما عندي من النسخ غيرها وأثبت ما رأيت لفظه أفصح ومعناه أوضح
انتهى كلامه ثم إن تلك النسخة المطبوعة عرضت هي وغيرها على شيخ مشايخ
الإسلام وقدوة علماء الأنام مولانا الشيخ حسن العطار أدام الله عموم فضله ما دام
الليل والنهار فقال يصح أن لا يوجد لها في الصحة مثال لشهرة مصححها بالضبط
وسعة الاطلاع على الأقوال وحينئذ اتفقت الآراء على أن يكون المعول في طبع
ذلك الكتاب عليها ومنتهى اختلاف النسخ ووفاقها إليها فبادرت لإشارة الأمر
بصريح الامتثال وسرحت في رياض تلك النسخ سائم الطرف والبال فوجدت
المطبوعة أفصحها عبارة وأوضحها إشارة وأصحها معنى وأحكمها مبنى غير أن فيها
لفظات حادت عن سنن العربية وبعض معان مالت بها الركاكة عن أن تفهم
بطريقة مرضية فقربت أشتات المعاني بأي لفظ تشتهيه وصاحب البيت أدرى
بالذي فيه خصوصا مع وجود المواد التي تكشف عن وجوه الصحة نقاب الاشتباه
ومن كان ذا مكنة فلينفق مما آتاه الله مستعينا على ذلك بالذي من النسخ التي
بخط القلم معولا على عناية من علم الإنسان ما لم يعلم حتى أثمرت إشاعة ذلك الكتاب
مع غاية التحرير حديقة تلك الطبعة المشرقة بطوالع التنوير على يد مصحح ما بها
من الكتب العربية المستمد من مولاه الإعانة والمعونة راجي من الفضل يوفي عبد
الرحمن الصفتي غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه مع سائر المسلمين بحرمة
طه ويس عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام

﴿باب مقدمة الكتاب﴾

قدمها بهنود بن سحوان ويعرف بعلي بن الشاه الفارسي ذكر فيها السبب الذي من
أجله عمل بيدبا الفيلسوف الهندي رأس البراهمة لدبشليم ملك الهند كتابه الذي
سماه كليلة ودمنة وجعله على ألسن البهائم والطير صيانة لغرضه فيه من العوام
وضنا بما ضمنه عن الطغام وتنزيها للحكمة وفنونها ومحاسنها وعيونها إذ هي
للفيلسوف مندوحة ولخاطره مفتوحة ولمحبيها تثقيف ولطالبيها تشريف وذكر
السبب الذي من أجله أنفذ كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز ملك الفرس برزويه

رأس الأطباء الى بلاد الهند لأجل كتاب كليلة ودمنة وما كان من تلطف برزويه
عند دخوله الى الهند حتى حضر اليه الرجل الذي استنسخه له سرا من خزانة الملك ليلا
مع ما وجد من كتب علماء الهند وقد ذكر الذي كان من بعثة برزويه الى مملكة الهند
لأجل نقل هذا الكتاب وذكر فيها ما يلزم مطالعه من اتقان قراءته والقيام بدراسته
والنظر الى باطن كلامه وانه ان لم يكن كذلك لم يحصل على الغاية منه وذكر فيها
حضور برزويه وقراءة الكتاب جهرا وقد ذكر السبب الذي من أجله وضع بزرجمهر
بابا مفردا يسمى باب برزويه المتطبب وذكر فيه شأن برزويه من أول أمره وان
مولده الى ان بلغ التأديب وأحب الحكمة واعتبر في أقسامها وجعله قبل باب الاسد
والثور الذي هو أول الكتاب قال علي بن الشاه الفارسي كان السبب الذي من أجله
وضع بيدبا الفيلسوف لدبشليم ملك الهند كتاب كليلة ودمنة ان الاسكندر ذا القرنين
الرومي لما فرغ من أمر الملوك الذين كانوا بناحية المغرب سار يريد ملوك المشرق
من الفرس وغيرهم فلم يزل يحارب من نازعه ويواقع من واقعه ويسالم من وادعه
من ملوك الفرس وهم الطبقة الاولى حتى ظهر عليهم وقهر من ناواه وتغلب على من
حاربه فتفرقوا طرائق وتمزقوا خرائق فتوجه بالجنود نحو بلاد الصين فبدأ في
طريقه بملك الهند ليدعوه الى طاعته والدخول في ملته وولايته وكان على الهند
في ذلك الزمان ملك ذو سطوة وبأس وقوة ومراس يقال له (فور) فلما بلغه
اقبال ذي القرنين نحوه تأهب لمحاربته واستعد لمجاذبته وضم اليه اطرافه وجد
في التألب عليه وجمع له العدة في أسرع مدة من الفيلة المعدة للحروب
والسباع المضراة بالوثوب مع الخيول المسرجة والسيوف القواطع والحراب اللوامع
فلما قرب ذو القرنين من فور الهندي وبلغه ما قد أعد له من الخيل التي كأنها قطع الليل
مما لم يلقه بمثله أحد من الملوك الذين كانوا في الاقاليم تخوف ذو القرنين من تقصير
يقع به ان عجل المبارزة وكان ذو القرنين رجلا ذا حيل ومكايد مع حسن تدبير وتجربة
فرأى إعمال الحيلة والتمهل واحتفر خندقا على عسكره وأقام بمكانه لاستنباط الحيلة
والتدبير لأمره وكيف ينبغي له أن يقدم على الايقاع به فاستدعى بالمنجمين وأمرهم
بالاختيار ليوم موافق تكون له فيه سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليه فاشتغلوا
بذلك وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة الا أخذ الصناع المشهورين من صناعها بالحذق

كل صنف فأعجبته همته ودولته فطنته أن يقدم الى الصناع الذين معه أن يصنعوا
خيلا من نحاس مجوفة عليها تماثيل من الرجال على بكر تجري اذا دفعت مرت سراعا
وأمر اذا فرغوا منها ان تحشى اجوافها بالنفط والكبريت وتلبس وتقدم امام الصف
في القلب وقت ما يلتقي الجمعان تضرم فيها النيران فان الفيلة اذا لفت خراطيمها
على الفرسان وهي حامية ولت هاربة وأوعز الى الصناع بالتشمير والانكماش
والفراغ منها ففعلوا وافق ذلك وعجلوا وقرب أيضا وقت اختيار المنجمين فأعاد ذو القرنين
رسله الى فور يدعوه اليه من طاعته والاذعان لدولته فأجاب جواب مصر على
مخالفته مقيم على محاربته فلما رأى ذو القرنين عزيمته سار اليه بأهبته وقدم
فور الفيلة أمامه ودفعت الرجال تلك الخيل وتماثيل الفرسان فأقبلت الفيلة نحوها
ولفت خراطيمها عليها فلما أحست بالحرارة ألقت من كان عليها أرضا وداستهم تحت أرجلها
ومضت مهزومة هاربة لا تلوي على شيء ولا تمر بأحد الا وطئته وتقطع فور وجمعه
وتبعهم أصحاب الاسكندر وأثخنوا فيهم الجراح وصاح الاسكندر يا ملك الهند ابرز
الي وابق على عدتك وعيالك ولا تحملهم على الفناء فانه ليس من المروءة أن يرمي
الملك بعدته في المهالك المتلفة والمواضع المجحفة بل يقيهم بماله ويدفع عنهم بنفسه
فابرز الي ودع الجند فأينا قهر صاحبه فهو الاسعد فلما سمع فور من ذي القرنين ذلك
الكلام دعته نفسه الى لقائه [illegible] وظن ذلك فرصة فبرز اليه الاسكندر فتجاولا على
ظهر فرسيهما ساعات من النهار ليس يلقى أحد منهما من صاحبه فرصة ولم يزالا
يتعاركان فلما أعيا الاسكندر أمره ولم يجد له فرصة ولا حيلة أوقع ذو القرنين في عسكره
صيحة عظيمة ارتجت لها الارض والعساكر فالتفت فور [illegible] الصيحة وظن انها
مكيدة في عسكره فعاجله ذو القرنين بضربة أمالته عن سرجه وتبعه بأخرى فوقع الى
الارض فلما رأت الهند ما نزل بهم وما صار اليه ملكهم حملوا على الاسكندر فقاتلوه
قتالا أحبوا معه الموت فوعدهم من نفسه الاحسان وفتح الله اكتافهم فاستولى
على بلادهم وملك عليهم رجلا من ثقاته وأقام بالهند حتى استوثق له ما أراد من أمرهم
واتفاق كلمتهم ثم انصرف [illegible]
[illegible] ذو القرنين [illegible] كانوا [illegible]
الرجل الذي [illegible] عليهم [illegible]

يملكوا عليهم رجلا ليس هو منهم ولا من أهل بيتهم فانه لا يزال يستذلهم ويستقلهم واجتمعوا على أن يكون عليهم رجل من أولاد ملوكهم فملكوا عليهم ملكا يقال له (دبشليم) وخلعوا الرجل الذي كان خلفه عليهم الاسكندر فلما استوثق له الامر واستقر له الملك طغى وبغى وتجبر وتكبر وجعل يغزو من حوله من الملوك وكان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا فهابته الرعية فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة عبث بالرعية واستصغر أمرهم واساء السيرة فيهم وكان لا يرتقي حاله الا ازداد عتوا فمكث على ذلك برهة من دهره وكان في زمانه رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله ويرجع في الامور الى قوله يقال له بيدبا فلما رأى الملك وما هو عليه من الظلم للرعية فكر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه ورده الى العدل والانصاف فجمع لذلك تلامذته وقال اتعلمون ما أريد أن اشاوركم فيه اعلموا اني أطلت الفكرة في دبشليم وما هو عليه من الخروج عن العدل ولزوم الشر ورداءة السيرة وسوء العشرة مع الرعية ونحن ما نروض أنفسنا لمثل هذه الامور اذا ظهرت من الملوك الا لنردهم الى فعل الخير ولزوم العدل ومتى أغفلنا ذلك وأهملناه لزم وقوع المكروه بنا وبلوغ المحذورات الينا اذ كنا في أنفس الجهال اجهل منهم وفي العيون عندهم اقل منهم وليس الرأي عندي الجلاء عن الوطن ولا يسعنا في حكمتنا ابقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة وقبح الطريقة ولا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا ولو ذهبنا الى أن نستعين بغيرنا لم تتهيأ لنا معاندته وان احس منا بمخالفته وانكارنا سوء سيرته لكان في ذلك بوارنا وقد تعلمون ان مجاورة السبع والكلب والحية والثور على طيب الوطن ونضارة العيش لغرر بالنفس وان الفيلسوف لحقيق ان تكون همته مصروفة الى ما يحصن به نفسه من نوازل المكروه ولواحق المحذور ويدفع المخوف لاستجلاب المحبوب ولقد كنت أسمع ان فيلسوفا كتب لتلميذه يقول ان مجاور رجال السوء والمصاحب لهم كراكب البحر ان سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف فاذا هو أورد نفسه موارد الهلكات ومصادر المخوفات عد من الحمير التي لا انفس لها لان الحيوانات البهيمية قد خصت في طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع وتتوقى به المكروه وذلك انا لم نرها تورد أنفسها موردا فيه هلكتها وانها متى أشرفت على مورد مهلك لها مالت بطبائعها التي ركبت فيها شحا بأنفسها وصيانة لها الى النفور والتباعد عنه

وقد

وقد جمعتكم لهذا الامر لانكم اسرتي ومكان سري وموضع معرفتي وبكم أعتضد
وعليكم أعتمد فان الوحيد في نفسه والمنفرد برأيه حيث كان فهو ضائع
ولا ناصر له على ان العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ بالخيل والجنود والمثل في ذلك
ان قبرة اتخذت أدحية وباضت فيها على طريق الفيل وكان للفيل مشرب يتردد
اليه فمر ذات يوم على عادته ليرد مورده فوطئ عش القبرة وهشم بيضها وقتل
فراخها فلما نظرت ما ساءها علمت ان الذي نالها من الفيل لا من غيره فطارت
فوقعت على رأسه باكية ثم قالت أيها الملك لم هشمت بيضي وقتلت فراخي وأنا في
جوارك أفعلت هذا استصغارا منك لامري واحتقارا لشأني قال هو الذي حملني
على ذلك فتركته وانصرفت الى جماعة الطير فشكت اليها ما نالها من الفيل فقلن لها
وما عسى ان نبلغ منه ونحن طيور فقالت للعقاعق والغربان أحب منكن أن تصرن
معي اليه فتفقأن عينيه فاني أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى فأجابوها الى ذلك وذهبوا
الى الفيل فلم يزالوا ينقرون عينيه حتى ذهبوا بهما وبقي لا يهتدي الى طريق مطعمه
ومشربه الا ما يقممه من موضعه فلما علمت ذلك منه جاءت الى غدير فيه ضفادع كثيرة
فشكت اليها ما نالها من الفيل قالت الضفادع ما حيلتنا نحن في عظم الفيل وأين
نبلغ منه قالت أحب منكن أن تصرن معي الى وهدة قريبة منه فتنققن بها وتضججن
فانه اذا سمع أصواتكن لم يشك في الماء فيهوي فيها فأجابوها الى ذلك واجتمعن في
الهاوية فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد أجهده العطش فأقبل حتى وقع في الوهدة
فاصطدم فيها وجاءت القبرة ترفرف على رأسه وقالت أيها الطاغي المغتر بقوته المحتقر
لامري كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم جثتك وصغر همتك فليشر
كل واحد منكم بما يسنح له من الرأي قالوا بأجمعهم أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم
العادل انت المقدم فينا والفاضل علينا وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك
وفهمنا عند فهمك غير اننا نعلم ان السباحة في الماء مع التمساح تغرير والذنب فيه
لمن دخل عليه في موضعه والذي يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليجربه على
نفسه فليس الذنب للحية ومن دخل على الاسد في غابته لم يأمن وثبته وهذا الملك
لم تفزعه النوائب ولم تؤدبه التجارب ولسنا نأمن عليك ولا على انفسنا سطوته وانا
نخاف عليك من سورته ومبادرته بسوء اذا لقيته بغير ما يحب فقال الحكيم بيدبا

لعمري لقد قلتم فأحسنتم لكن ذا الرأي الحازم لا يدع ان يشاور من هو دونه او فوقه
في المنزلة والرأي الفرد لا يكتفى به في الخاصة ولا ينتفع به في العامة وقد صحت عزيمتي
على لقاء دبشليم وقد سمعت مقالتكم وتبين لي نصيحتكم والاشفاق علي وعليكم غير
اني قد رأيت رأيا وعزمت عزما وستعرفون حديثي عند الملك ومجاوبتي اياه فاذا اتصل
بكم خروجي من عنده فاجتمعوا الي وصرفهم وهم يدعون له بالسلامة ثم ان بيدبا
اختار يوما للدخول على الملك حتى اذا كان ذلك الوقت القى عليه مسوحه وهي لباس
البراهمة وقصد باب الملك وسأل عن صاحب اذنه وارشد اليه وسلم عليه واعلمه وقال
له اني رجل قصدت الملك في نصيحة فدخل الآذن على الملك في وقته وقال بالباب
رجل من البراهمة يقال له بيدبا ذكر ان معه للملك نصيحة فأذن له فدخل ووقف بين
يديه وكفر وسجد له واستوى قائما وسكت وفكر دبشليم في سكوته وقال ان
هذا لم يقصدنا الا لامرين اما ان يلتمس منا شيئا يصلح به حاله او لامر لحقه فلم يكن له
به طاقة ثم قال ان كان للملوك فضل في مملكتها فان للحكماء فضلا في حكمتها اعظم
لان الحكماء اغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال وقد
وجدت العلم والحياء الفين متآلفين لا يفترقان متى فقد احدهما لم يوجد الآخر
كالمتصافيين ان عدم منهما احد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسفا عليه ومن
لم يستح من الحكماء ويكرمهم ويعرف فضلهم على غيرهم ويصونهم عن مواقف
المهانة وينزههم عن المواطن الرذلة كان ممن حرم عقله وخسر دنياه وظلم الحكماء
حقوقهم وعد من الجهال ثم رفع رأسه الى بيدبا وقال له نظرت اليك يا بيدبا
ساكتا لا تعرض حاجتك ولا تذكر بغيتك فقلت ان الذي اسكته هيبة ساورته
او حيرة ادركته وتأملت عند ذلك من طول وقوفك وقلت لم يكن لبيدبا ان يطرقنا على
غير عادة الا لامر حركه لذلك فانه من افضل اهل زمانه فهلا نسأله عن سبب دخوله فان
يكن من ضيم ناله كنت أولى من اخذ بيده وسارع في تشريفه وتقدم في البلوغ الى
مراده واعزازه وان كانت بغيته غرضا من اغراض الدنيا امرت بارضائه من ذلك فيما
احب وان يكن من امر الملك ومما لا ينبغي للملوك ان يبذلوه من انفسهم ولا ينقادوا اليه
نظرت في قدر عقوبته على ان مثله لم يكن ليجترئ على ادخال نفسه في باب مسألة الملوك
وان كان شيء من امور الرعية يقصد فيه الى ان اصرف عنايتي اليهم نظرت ما هو فان

الحكماء لا يشيرون الا بالخير والجهال يشيرون بضده وانا قد فسحت لك في الكلام
فلما سمع بيدبا ذلك من الملك افرخ عنه روعه وسري عنه ما كان وقع في نفسه من خوفه
وكفر له وسجد ثم قام بين يديه وقال اول ما اقول اسأل الله تعالى بقاء الملك على الابد
ودوام ملكه على الامد لانه قد منحني الملك في مقامي هذا محلا جعله شرفا لي على جميع
من بعدي من العلماء وذكرا باقيا على الدهر عند الحكماء ثم اقبل على الملك بوجهه
مستبشرا به فرحا بما بدا له منه وقال قد عطف الملك علي بكرمه واحسانه والامر
الذي دعاني الى الدخول على الملك وحملني على المخاطرة لكلامه والاقدام عليه نصيحة
اختصصته بها دون غيره وسيعلم من يتصل به ذلك اني لم اقصر عن غاية فيما يجب للولي
على الحكماء فان فسح في كلامي ووعاه عني فهو حقيق بذلك وما يراه وان هو القاه فقد
بلغت ما يلزمني وخرجت من لوم يلحقني قال الملك يا بيدبا تكلم كيف شئت فانني مصغ
اليك ومقبل عليك وسامع منك حتى استفرغ ما عندك الى آخره واجازيك على ذلك
بما انت اهله قال بيدبا اني وجدت الامور التي اختص بها الانسان من بين سائر
الحيوان اربعة اشياء وهي جماع ما في العالم وهي الحكمة والعفة والعقل والعدل
والعلم والادب والروية داخلة في باب الحكمة والحلم والصبر والوقار داخلة في باب
العقل والحياء والكرم والصيانة والانفة داخلة في باب العفة والصدق والاحسان
والمراقبة وحسن الخلق داخلة في باب العدل وهذه هي المحاسن واضدادها هي
المساوي فمتى كملت هذه في واحد لم تخرجه الزيادة في نعمة الى سوء الحظ من دنياه ولا الى
نقص ولم يتأسف على ما لم يعن التوفيق ببقائه ولم يحزنه ما تجري به المقادير في ملكه
ولم يدهش عند مكروه فالحكمة كنز لا يفنى على انفاق وذخيرة لا يضرب لها
بالاملاق وحلة لا تخلق جدتها ولذة لا تصرم مدتها ولئن كنت عند مقامي بين يدي
الملك امسكت عن ابتدائه بالكلام فان ذلك لم يكن مني الا لهيبته والاجلال له ولعمري
ان الملوك لاهل ان يهابوا لا سيما من هو في المنزلة التي جل فيها الملك عن منازل الملوك
قبله وقد قالت العلماء الزم السكوت فان فيه سلامة وتجنب الكلام الفارغ فان
عاقبته الندامة وحكي ان اربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك فقال لهم ليتكلم كل
بكلام يكون اصلا للادب فقال احدهم افضل خلة العالم السكوت وقال الثاني ان من
انفع الاشياء للانسان ان يعرف قدر منزلته من عقله وقال الثالث انفع الاشياء

للانسان ان لا يتكلم بما لا يعنيه وقال الرابع اروح الامور على الانسان التسليم
للمقادير واجتمع في بعض الزمان ملوك الاقاليم من الصين والهند وفارس والروم وقالوا
ينبغي ان يتكلم كل واحد منا بكلمة تدون عنه على غابر الدهر قال ملك الصين انا على ما لم
اقل اقدر مني على رد ما قلت قال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة فان كانت له لم
تنفعه وان كانت عليه اوبقته قال ملك فارس انا اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا لم
اتكلم بها ملكتها قال ملك الروم ما ندمت على ما لم اتكلم به قط ولقد ندمت على
ما تكلمت به كثيرا والسكوت عند الملوك احسن من الهذر الذي لا يرجع منه الى نفع
وافضل ما استظل به الانسان لسانه ثم ان الملك اطال الله مدته لما فسح لي في الكلام
واوسع لي فيه كان اولى ما ابدأ به من الامور التي هي غرضي ان يكون ثمرة ذلك له دوني
وان اختصه بالفائدة قبلي على ان العقبى هي ما قصدت في كلامي له وغاية نفعه وشرفه
راجع اليه وأكون انا قد قضيت فرضا وجب علي فاقول ايها الملك انك في منازل آبائك
واجدادك من الجبابرة الذين اسسوا الملك قبلك وشيدوه دونك وبنوا القلاع والحصون
ومهدوا البلاد وقادوا الجيوش واستجاشوا العدة وطالت لهم المدة واستكثروا من
السلاح والكراع وعاشوا الدهور في الغبطة والسرور فلم يمنعهم ذلك من اكتساب
جميل الذكر ولا قطعهم عن ارتكاب الشكر ولا استعمال الاحسان الى من خولوه
والارفاق بمن ولوه وحسن السيرة فيما تقلدوه مع عظم ما كانوا فيه من غرة الملك وسكرة
الاقتدار وانك ايها الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده قد ورثت ارضهم
وديارهم واموالهم ومنازلهم التي كانت عدتهم فاقمت فيما خولت من الملك وورثت من
الاموال والجنود فلم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك بل طغيت وبغيت وعلوت على
الرعيه واسأت السيرة وعظمت منك البليه وكان الاولى والاشبه بك ان تسلك
سبيل اسلافك وتتبع آثار الملوك قبلك وتقفو محاسن ما ابقوه لك وتقلع عما عاره لازم
لك وشينه واقع بك وتحسن النظر برعيتك وتسن لهم سنن الخير الذي يبقى بعدك ذكره
ويعقبك الجميل ثمره ويكون ذلك ابقى على السلامه وادوم على الاستقامه فان
الجاهل المغتر من استعمل في اموره البطر والامنية والحازم اللبيب من ساس الملك
بالمداراة والرفق فانظر ايها الملك ما القيت اليك ولا يشغلك ذلك عليك فلم اتكلم بهذا
ابتغاء غرض تجازيني به ولا التماس معروف تكافيني به لكني اتيتك ناصحا مشفقا

عليك فلما فرغ بيدبا من مقالته وقضى مناصحته ارعب قلب الملك فاغلظ له في الجواب
استصغارا لأمره وقال لقد تكلمت بكلام ما كنت اظن ان أحدا من أهل مملكتي
يستقبلني بمثله ولا يقدم على ما اقدمت عليه فكيف انت مع صغر شأنك وضعف منتك
وعجز قوتك ولقد أكثرت اعجابي من اقدامك علي وتسلطك بلسانك فيما جاوزت فيه
حدك وما اجد شيئا في تأديب غيرك ابلغ من التنكيل بك فذلك عبرة وموعظة لمن
عساه ان يبلغ ويروم ما رمت انت من الملوك اذا أوسعوا لهم في مجالسهم ثم امر به ان
يقتل ويصلب فلما مضوا به فيما أمر فكر فيما امر به فاحجم عنه ثم امر بحبسه وتقييده
فلما حبس انفذ في طلب تلامذته ومن كان يجتمع اليه فهربوا في البلاد واعتصموا
بجزائر البحار فمكث بيدبا في محبسه اياما لا يسأل الملك عنه ولا يلتفت اليه ولا يجسر
احد أن يذكره عنده حتى اذا كان ليلة من الليالي سهر الملك سهرا شديدا فطال سهره
ومد الى الفلك بصره وتفكر في تفلك الفلك وحركات الكواكب فأغرق الفكر فيه
فسلك به الى استنباط شيء عرض له من أمور الفلك والمسألة عنه فذكر عند ذلك بيدبا
وتفكر فيما كلمه به فارعوى لذلك وقال في نفسه لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف
وضيعت واجب حقه وحملني على ذلك سرعة الغضب وقد قالت العلماء أربعة لا ينبغي
أن تكون في الملوك الغضب فانه أجدر الاشياء بصاحبه مقتا والبخل فان صاحبه
ليس بمعذور مع ذات يده والكذب فانه ليس لاحد أن يجاوره وعدم الرفق
في المحاورة فان السفه ليس من شأنها واني أتى الي رجل نصح لي ولم يكن بلاغا فعاملته
بضد ما يستحق وكافأته بخلاف ما يستوجب وما كان هذا جزاؤه مني بل كان الواجب
ان أسمع كلامه وانقاد لما يشير به ثم أنفذ في ساعته من يأتيه به فلما مثل بين يديه
قال له يا بيدبا الست الذي قصدت الى تقصير همتي وعجزت رأيي في سيرتي بما تكلمت به
آنفا فقال له بيدبا يا أيها الملك الناصح الشفيق والصادق الرفيق انما أنبأتك بما فيه
صلاح لك ولرعيتك ودوام ملكك لك فقال له الملك يا بيدبا أعد علي كلامك كله ولا
تدع منه حرفا الا جئت به فجعل بيدبا ينثر كلامه والملك مصغ اليه وجعل دبشليم كلما
سمع منه شيئا ينكت الارض بشيء كان في يده ثم رفع طرفه الى بيدبا وأمره بالجلوس
وقال له يا بيدبا اني قد استعذبت كلامك وحسن موقعه من قلبي وأنا ناظر في الذي
أشرت به وعامل بما أمرت ثم أمر بقيوده فحلت وألقى عليه من لباسه وتلقاه بالقبول

فقال بيدبا يا أيها الملك انى فى دون ما كلمتك به نهاية امالى قال صدقت أيها الحكيم
الفاضل وقد وليتك من مجلسى هذا الى جميع أقاصى مملكتى فقال له أيها الملك
اعفنى عن هذا الامر فانى غير مضطلع بتقويمه الا بك فأعفاه من ذلك فلما انصرف
علم ان الذى فعله ليس برأى فبعث فرده وقال انى فكرت فى اعفائك فيما عرضته
عليك فوجدته لا يقوم الا بك ولا ينهض به غيرك ولا يضطلع به سواك فلا تخالفنى
فيه فأجابه بيدبا الى ذلك وكان عادة ذلك الزمان اذا استكتبوا وزيرا أن يعقدوا
على رأسه تاجا ويركب فى أهل المملكة ويطاف به فى المدينة فأمر الملك أن يفعل
ببيدبا ذلك فوضع التاج على رأسه وركب فى المدينة ورجع فجلس بمجلس
العدل والانصاف يأخذ للدنى من الشريف ويساوى بين القوى والضعيف ورد
المظالم ووضع سنن العدل وأكثر من العطاء والبذل واتصل الخبر بتلامذته فجاؤه
من كل مكان فرحين بما جدد الله له من جديد رأى الملك فى بيدبا وشكروا الله تعالى
على توفيق بيدبا فى ازالة دبشليم عما كان عليه من سوء السيرة واتخذوا ذلك اليوم
عيدا يعيدون فيه فهو الى اليوم عيد عندهم فى بلاد الهند ثم ان بيدبا لما أخلى فكره
من اشتغاله بدبشليم تفرغ لوضع كتب السياسة ونشط لها فعمل كتبا كثيرة فيها دقائق
الحيل ومضى الملك على ما رسم له بيدبا من حسن السيرة والعدل فى الرعية فرغبت
اليه الملوك الذين كانوا فى نواحيه وانقادت له الامور على استوائها وفرحت به رعيته
وأهل مملكته ثم ان بيدبا جمع تلامذته فأحسن صلتهم ووعدهم وعدا جميلا وقال لهم
لست أشك انه وقع فى نفوسكم وقت دخولى على الملك انكم قلتم ان بيدبا قد ضاعت
حكمته وبطلت فكرته اذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغى فقد علمتم نتيجة
رأيى وصحة فكرى وانى لم آته جهلا به لانى كنت أسمع من الحكماء قبلى تقول ان
الملوك لها سكرة وكذلك الشباب فالملوك لا تفيق من السكرة الا بمواعظ العلماء
وآداب الحكماء والواجب على الملوك أن يتعظوا بمواعظ العلماء والواجب على العلماء
تقويم الملوك بألسنتها وتأديبها بحكمتها واظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم
عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل فوجدت ما قالت العلماء فرضا واجبا على
الحكماء لملوكهم ليوقظوهم من سنة سكرتهم كالطبيب الذى يجب عليه فى
صناعته حفظ الاجساد على صحتها أو ردها الى الصحة فكرهت أن يموت أو أموت وما

يبقى على الأرض الا من يقول انه كان بيدبا الفيلسوف في زمان دبشليم الطاغي
فلم يرد عما كان عليه فان قال قائل انه لم يمكنه كلامه خوفا على نفسه قالوا كان الهرب
منه ومن جواره أولى به والانزعاج عن الوطن شديد فرأيت ان أسود بحياتي فأكون
قد أتيت فيما بيني وبين الحكماء بعدي بعذر فحملتها على التغرير والظفر بما أريده
وكان من ذلك ما أنتم معاينوه فانه يقال في بعض الامثال انه لم يبلغ أحد مرتبة الا
باحدى ثلاث اما بمشقة تناله في نفسه واما بوضيعة في ماله أو وكس في دينه ومن لم يركب
الاهوال لم ينل الرغائب وان الملك دبشليم قد بسط لساني في أن أضع كتابا فيه ضروب
الحكمة فليضع كل واحد منكم في أي فن شاء وليعرضه على لانظر مقدار عقله وأين
بلغ من الحكمة فهمه قالوا أيها الحكيم الفاضل والاديب العاقل والذي وهب لك
ما وهب لك من الحكمة والعقل والادب والفضيلة ما خطر هذا ببالنا ساعة قط وأنت
رئيسنا وفاضلنا وبك شرفنا وعلى يدك انتعاشنا ولكن سنجهد أنفسنا فيما
أمرت ومكث الملك على ذلك من حسن السيرة زمانا يتولى ذلك له بيدبا ويقوم به ثم ان
الملك دبشليم لما استقر له الملك وسقط عنه النظر في أمور الاعداء بما قد كفاه ذلك
بيدبا صرف همته الى النظر في الكتب التي وضعتها فلاسفة الهند لآبائه وأجداده
فوقع في نفسه ان يكون له أيضا كتاب مشروح ينسب اليه تذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه
وأجداده من قبله فلما عزم على ذلك علم انه لا يقوم بذلك الا بيدبا فدعاه وخلا به وقال
له يا بيدبا انك حكيم الهند وفيلسوفها واني فكرت ونظرت في خزائن الحكمة التي
كانت للملوك قبلي فلم أر فيهم أحدا الا وقد وضع له كتاب تذكر فيه أيامه وسيرته
وينبئ عن أدبه وأهل مملكته فمنه ما وضعه الملوك لانفسها وذلك لفضل حكمة فيها ومنه
ما وضعته حكماؤها وأخاف أن يلحقني ما لحق أولئك مما لا حيلة لي فيه ولا يوجد في
خزائني كتاب أذكر به بعدي وأنسب اليه كما ذكر من كان قبلي بكتبهم وقد أحببت أن
تضع لي كتابا بليغا تستفرغ فيه عقلك يكون ظاهره سياسة العامة وتأديبها وباطنه
أخلاق الملوك وسياستها الرعية على طاعة الملك وخدمته فيسقط بذلك عني وعنهم كثير
مما نحتاج اليه في معاناة الملك وأريد أن يبقى لي هذا الكتاب بعدي ذكرا على غابر
الدهور فلما سمع بيدبا كلامه خر له ساجدا ورفع رأسه وقال أيها الملك السعيد
جده علا نجمك وغاب نحسك ودامت أيامك ان الذي قد طبع عليه الملك من جودة

القريحة وذو العقل حركه لمعالي الامور وسمت به نفسه وهمته الى أشرف المراتب
منزلة وأبعدها غاية فأدام الله سعادة الملك وأعانه على ما عزم من ذلك وأعانني على
بلوغ مراده فليأمر الملك بما شاء من ذلك فاني صائر الى غرضه مجتهد فيه برأيي قال
له الملك يا بيدبا لم تزل موصوفا بحسن الرأي وطاعة الملوك في أمورهم وقد اختبرت
منك ذلك واخترت ان تضع هذا الكتاب وتعمل فيه فكرك وتجهد فيه نفسك بغاية
ما تجد اليه السبيل وليكن مشتملا على الجد والهزل واللهو والحكمة والفلسفة فكفر له
بيدبا وسجد وقال قد أجبت الملك أدام الله أيامه الى ما أمرني به وجعلت بيني وبينه
أجلا قال وكم هو الاجل قال سنة قال قد أجلتك وأمر له بجائزة سنية تعينه على عمل
الكتاب فبقي بيدبا مفكرا في الاخذ فيه وفي أي صورة يبتدئ بها فيه وفي وضعه ثم ان
بيدبا جمع تلامذته وقال لهم ان الملك قد ندبني لامر فيه فخري وفخركم وفخر بلادكم وقد
جمعتكم لهذا الامر ثم وصف لهم ما سأل الملك من أمر الكتاب والغرض الذي قصد
فيه فلم يقع لهم الفكر فيه فلما لم يجد عندهم ما يريده فكر بفضل حكمته وعلم
ان ذلك أمر انما يتم باستفراغ العقل واعمال الفكر وقال أرى السفينة لا تجري
في البحر الا بالملاحين لانهم يعدلونها وانما تسلك اللجة بمدبرها الذي تفرد بامرتها
ومتى شحنت بالركاب الكثيرين وكثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق ولم يزل يفكر
فيما يعمله في باب الكتاب حتى وضعه على الانفراد بنفسه مع رجل من تلامذته كان
يثق به فخلا به منفردا معه بعد أن أعد من الورق الذي كانت تكتب فيه الهند شيأ ومن
القوت ما يقوم به وتلميذه تلك المدة وجلسا في مقصورة وردا عليهما الباب ثم بدأ في
نظم الكتاب وتصنيفه ولم يزل هو يملي وتلميذه يكتب ويرجع هو فيه حتى استقر
الكتاب على غاية الاتقان والاحكام ورتب فيه أربعة عشر بابا كل باب منها قائم
بنفسه وفي كل باب مسئلة والجواب عنها ليكون لمن نظر فيه حظ وضمن تلك الابواب
كتابا واحدا وسماه كليلة ودمنة ثم جعل كلامه على ألسن البهائم والسباع
والطير ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام وباطنه رياضة لعقول الخاصة وضمنه أيضا
ما يحتاج اليه الانسان من سياسة نفسه واهله وخاصته وجميع ما يحتاج اليه من أمر
دينه ودنياه وآخرته واولاه ويحضه على حسن طاعته للملوك ويجنبه ما تكون مجانبته
خيرا له ثم جعله باطنا وظاهرا كرسم سائر الكتب التي برسم الحكمة فصار الحيوان

لهوا وما يتعلق به حكمة وأدبا فلما ابتدأ بيدبا بذلك جعل أول الكتاب وصف الصديق
وكيف يكون الصديق وكيف تقطع المودة الثابتة بينهما بحيلة ذي النميمة وأمر
تلامذته أن يكتبوا على لسان بيدبا مثل ما كان الملك شرطه في أن جعله لهوا وحكمة
فذكر بيدبا أن الحكمة متى دخلها كلام الغفلة أفسدها واستجهل حكمتها فلم يزل هو
وتلامذته يعملون الفكر فيما سأله الملك حتى فتق لهما العقل أن يكون كلامهما على
لسان بهيمتين فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم وكانت الحكمة ما نطقا به
فأصغت الحكماء إلى حكمه وتركوا البهائم واللهو وعلموا أنها السبب في الذي وضع لهم
ومالت إليه الجهال عجبا من محاورة بهيمتين ولم يشكوا في ذلك واتخذوه لهوا
وتركوا معنى الكلام أن يفهموه ولم يعلموا الغرض الذي وضع له لأن الفيلسوف إنما
كان غرضه في الباب الأول أن يخبر عن تواصل الإخوان كيف تتأكد المودة بينهم
على التحفظ من أهل السعاية والتحرز ممن يوقع العداوة بين المتحابين ليجر بذلك
نفعا إلى نفسه فلم يزل بيدبا وتلامذته في المقصورة حتى استتم عمل الكتاب في مدة سنة
فلما تم الحول أنفذ إليه الملك أن قد جاء الوعد فماذا صنعت فأنفذ إليه بيدبا أني على
ما وعدت الملك فليأمرني بحمله بعد أن يجمع أهل المملكة لتكون قراءتي هذا الكتاب
بحضرتهم فلما رجع الرسول إلى الملك سر بذلك ووعده يوما يجمع فيه أهل المملكة ثم
نادى في أقصى بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب فلما كان ذلك اليوم أمر الملك أن
ينصب لبيدبا سرير مثل سريره وكراسي لأبناء الملوك والعلماء وأنفذ فأحضره فلما
جاءه الرسول قام فلبس الثياب التي كان يلبسها إذا دخل على الملوك وهي المسوح
السود وحمل الكتاب تلميذه فلما دخل على الملك وثب الخلائق بأجمعهم وقام الملك
شاكرا فلما قرب من الملك كفر له وسجد ولم يرفع رأسه فقال له الملك يا بيدبا ارفع رأسك
فإن هذا يوم هناء وفرح وسرور وأمره الملك أن يجلس حين جلس لقراءة الكتاب
سأله الملك عن معنى كل باب من أبواب الكتاب وإلى أي شيء قصد فيه فأخبره بغرضه
فيه وفي كل باب فازداد الملك منه تعجبا وسرورا فقال له يا بيدبا ما عدوت الذي في
نفسي وهذا الذي كنت أطلب فاطلب ما شئت وتحكم فدعا له بيدبا بالسعادة وطول
الجد وقال أيها الملك أما المال فلا حاجة لي فيه وأما الكسوة فلا أختار على لباسي هذا
ولست أخلي الملك من حاجة فقال الملك يا بيدبا ما حاجتك فكل حاجة لك قبلنا

مقضية قال يأمر الملك أن يدون كتابي هذا كما دون آباؤه وأجداده كتبهم ويأمر بالمحافظة عليه فاني أخاف أن يخرج من بلاد الهند فيتناوله أهل فارس اذا علموا به فالملك يأمر أن لا يخرج من بيت الحكمة ثم دعا الملك بتلامذته وأحسن لهم الجوائز ثم انه لما ملك كسرى أنوشروان وكان مستبشرا بالكتب والعلم والادب والنظر في أخبار الاوائل ووقع له خبر الكتاب لم يقر قراره حتى بعث برزويه الطبيب فتلطف حتى أخرجه من بلاد الهند فأقره في خزائن فارس

(باب بعثة برزويه الى بلاد الهند)

أما بعد فان الله تعالى خلق الخلق برحمته ومن على عباده بفضله وكرمه ورزقهم ما يقدرون به على اصلاح معايشهم في الدنيا ويدركون به استنقاذ أرواحهم من العذاب في الآخرة وأفضل ما رزقهم الله تعالى ومن به عليهم العقل الذي هو الدعامة لجميع الاشياء فلا يقدر أحد في الدنيا على اصلاح معيشته ولا احراز نفع ولا دفع ضرر الا به وكذلك طالب الآخرة المجتهد في العمل المنجي به روحه لا يقدر على اتمام عمله واكماله الا بالعقل الذي هو سبب كل خير ومفتاح كل سعادة فليس لاحد غنى عن العقل والعقل مكتسب بالتجارب والادب وله غريزة مكنونة في الانسان كامنة كالنار في الحجر لا تظهر ولا يرى ضوءها حتى يقدحها قادح من الناس فاذا قدحت ظهرت طبيعتها وكذلك العقل كامن في الانسان لا يظهر حتى يظهره الادب وتقويه التجارب ومن رزق العقل ومن به عليه وأعين على صدق قريحته بالادب حرص على طلب سعده وأدرك في الدنيا أمله وحاز في الآخرة ثواب الصالحين وقد رزق الله الملك السعيد أنوشروان من العقل أفضله ومن العلم أجزله ومن المعرفة بالامور أصوبها وسدده من الافعال أسدها ومن البحث عن الاصول والفروع أنفعه وبلغه من فنون اختلاف العلم وبلوغ منزلة الفلسفة ما لم يبلغه ملك قط من الملوك قبله حتى كان فيما طلب وبحث عنه من العلم ان بلغه عن كتاب بالهند علم أنه أصل كل أدب ورأس كل علم والدليل على كل منفعة ومفتاح عمل الآخرة وعلمها ومعرفة النجاة من هولها فأمر الملك وزيره بزرجمهر أن يبحث له عن رجل أديب عاقل من أهل مملكته بصير باللسان الفارسية ماهر في كلام الهند ويكون بليغا باللسانين جميعا حريصا على طلب العلم مجتهدا في

استعمال الادب بادراك طلب العلم والبحث عن كتب الفلسفة فأتاه برجل اديب
كامل العقل والادب معروف بصناعة الطب ماهر في الفارسية والهندية يقال له
برزويه فلما دخل عليه كفر له وسجد بين يديه فقال له الملك يا برزويه اني قد اخترتك
لما بلغني من فضلك وعلمك وعقلك وحرصك على طلب العلم حيث كان وقد بلغني عن
كتاب بالهند مخزون في خزائنهم وقص عليه ما بلغه عنه وقال له تجهز فاني مرحلك الى
أرض الهند فتلطف بعقلك وحسن أدبك وناقد رأيك لاستخراج هذا الكتاب من
خزائنهم ومن قبل علمائهم فتستفيد بذلك وتفيدنا وما قدرت عليه من كتب الهند مما
ليس في خزائننا منه شيء فاحمله معك وخذ معك من المال ما تحتاج اليه وعجل ذلك ولا
تقصر في طلب العلوم وان أكثرت فيه النفقة فان جميع ما في خزائني مبذول لك في
طلب العلوم وأمر باحضار المنجمين فاختار له يوما يسير فيه وساعة صالحة يخرج فيها
وحمل معه من المال عشرين جرابا كل جراب فيه عشرة آلاف دينار فلما قدم برزويه
بلاد الهند طاف بباب الملك ومجالس السوقة وسأل عن خواص الملك والاشراف
والعلماء والفلاسفة فجعل يغشاهم في منازلهم ويتلقاهم بالتحية ويخبرهم بانه رجل
غريب قدم بلادهم لطلب العلوم والادب وأنه محتاج الى معاونتهم في ذلك فلم يزل
كذلك زمانا طويلا يتأدب عن علماء الهند بما هو عالم بجميعه وكأنه لا يعلم منه شيأ وهو
فيما بين ذلك يستر بغيته وحاجته واتخذ في تلك الحال لطول مقامه أصدقاء كثيرة من
الاشراف والعلماء والفلاسفة والسوقة ومن أهل كل طبقة وصناعة وكان قد اتخذ
من بين أصدقائه رجلا واحدا قد اتخذه لسره وما يحب مشاورته فيه للذي ظهر له من
فضله وأدبه واستبان له من صحة اخائه وكان يشاوره في الامور ويرتاح اليه في جميع
ما أهمه الا أنه كان يكتم منه الامر الذي قدم من أجله لكي يبلوه ويخبره وينظر هل هو
أهل ان يطلعه على سره فقال له يوما وهما جالسان يا أخي ما اريد أن أكتمك من أمري
فوق الذي كتمتك فاعلم اني لامر قدمت وهو غير الذي يظهر مني والعاقل يكتفي من
الرجل بالعلامات من نظره حتى يعلم سر نفسه وما ينطوي قلبه عليه فقال له الهندي اني
وان لم أكن بدأتك واخبرتك بما جئت له واياه تريد وانك تكتم أمرا تطلبه وتظهر
غيره فما خفي علي ذلك منك ولكني لرغبتي في أخائك كرهت ان أواجهك به وانه قد
استبان ما تخفيه مني فاما اذ قد أظهرت ذلك وافصحت به وبالكلام فيه فاني مخبرك

عن نفسك ومظهرك سريرتك ومعاملك بحالك التي قدمت لها فانك قدمت بلادنا
لتسلبنا كنوزنا النفيسة فتذهب بها الى بلادك وتسر بها ملكك وكان قدومك بالمكر
والخديعة ولكني لما رأيت صبرك ومواظبتك على طلب حاجتك والتحفظ من أن
يسقط منك الكلام مع طول مكثك عندنا بشيء يستدل به على سريرتك وامورك
ازددت رغبة في اخائك وثقة بعقلك فاحببت مودتك فاني لم أر في الرجال رجلا هو
أرصن منك عقلا ولا أحسن ادبا ولا أصبر على طلب العلم ولا أكتم لسره منك ولاسيما
في بلاد غربة وفي مملكة غير مملكتك وعند قوم لا تعرف سنتهم وان عقل الرجل ليبين في
ثمان خصال الاولى منها الرفق الثانية أن يعرف الرجل نفسه فيحفظها والثالثة طاعة
الملوك والتحري لما يرضيهم الرابعة معرفة الرجل موضع سره وكيف ينبغي أن يطلع
عليه صديقه والخامسة أن يكون على أبواب الملوك أديبا ملق اللسان والسادسة
أن يكون لسره وسر غيره حافظا والسابعة أن يكون على لسانه قادرا فلا يتكلم
الا بما يأمن تبعته والثامنة ان كان بالمحفل لا يتكلم الا بما يسئل عنه فمن اجتمعت
فيه هذه الخصال كان هو الداعي الخير الى نفسه وهذه الخصال كلها قد
اجتمعت فيك وبانت لي منك فالله تعالى يحفظك ويعينك على ما قدمت له فصادقتك
اياي وان كانت لتسلبني كنزي وفخري وعلى فانك أهل لان تسعف بحاجتك
وتشفع بطلبتك وتعطى سؤلك فقال له برزويه اني قد كنت هيأت كلاما كثيرا
وشعبت له شعوبا وانشأت له أصولا وطرقا فلما انتهيت الى ما بدأتني به من اطلاعك
على أمري والذي قدمت له وألقيته علي من ذات نفسك ورغبتك فيما ألقيت من
القول اكتفيت باليسير من الخطاب معك وعرفت الكبير من أموري بالصغير من
الكلام واقتصرت به معك على الايجاز ورأيت من اسعافك اياي بحاجتي ما دلني
على كرمك وحسن وفائك فان الكلام اذا ألقي الى الفيلسوف والسر اذا استودع
اللبيب الحافظ فقد حصن وبلغ به نهاية أمل صاحبه كما يحصن الشيء النفيس في
القلاع الحصينة قال له الهندي لا شيء أفضل من المودة ومن خلصت مودته كان أهلا
أن يخلطه الرجل بنفسه ولا يدخر عنه شيأ ولا يكتمه سرا فان حفظ السر رأس الادب
فاذا كان السر عند الامين الكتوم فقد احترز من التضييع مع انه خليق أن
لا يتكلم به ولا يتم سر بين اثنين قد علماه وتفاوضاه فاذا تكلم بالسر اثنان فلا بد من

ثالث

ثالث من جهة أحدهما أو من جهة الآخر فاذا صار الى الثلاثة فقد شاع وذاع حتى
لا يستطيع صاحبه أن يجحده ويكابر عنه كالغيم اذا كان متقطعا فى السماء فقال
قائل هذا غيم متقطع لا يقدر أحد على تكذيبه وأنا فقد يداخلنى من مودتك
وخلطتك سرور لا يعدله شئ وهذا الامر الذى تطلبه منى أعلم أنه من الاسرار التى
لا تكتم فلا بد أن يفشو ويظهر حتى يتحدث به الناس فاذا فشا فقد سعيت فى
هلاكى هلاكا لا أقدر على الفداء منه بالمال وان كثر لان ملكنا فظ غليظ يعاقب على
الذنب الصغير أشد العقاب فكيف مثل هذا الذنب العظيم واذا حملتنى المودة التى
بينى وبينك فأسعفتك بحاجتك لم يرد عقابه عنى شئ قال برزويه ان العلماء قد
مدحت الصديق اذا كتم سر صديقه وأعانه على الفوز وهذا الامر الذى قد هيأت له
لمثلك ذخرته وبك أرجو بلوغه وأنا واثق بكرم طباعك ووفور عقلك وأعلم انك
لا تخشى منى ولا تخاف أن أبديه بل تخشى أهل بيتك الطاعنين بك وبالملك أن يسعوا
بك وأنا أرجو ان لا يشيع شئ من هذا الامر لانى أنا ظاعن وأنت مقيم وما أقيم فلا
ثالث بيننا فتعاهدا على هذا جميعا فأجابه الهندى الى ذلك الكتاب والى غيره من
الكتب فأكب على تفسيره ونقله من اللسان الهندى الى اللسان الفارسى وأتعب
نفسه وأنصب بدنه ليلا ونهارا وهو مع ذلك وجل وفزع من ملك الهند خائف على نفسه
من أن يذكر الملك الكتاب فى وقت ولا يصادفه فى خزانته فلما فرغ من انتساخ
الكتاب وغيره مما أراد من سائر الكتب كتب الى أنوشروان يعلمه بذلك فلما وصل
اليه الكتاب سر بذلك سرورا شديدا ثم تخوف معاجلة المقادير أن تنغص عليه فرحه
فكتب الى برزويه يأمره بتعجيل القدوم فسار برزويه متوجها نحو كسرى فلما
رأى الملك ما قد مسه من الشحوب والتعب والنصب قال له أيها العبد الناصح الذى
يأكل ثمرة ما قد غرس أبشر وقر عينا فانى مشرفك وبالغ بك أفضل درجة وأمره ان
يريح بدنه سبعة أيام فلما كان اليوم السابع أمر الملك أن يجتمع اليه الامراء والعلماء
فلما اجتمعوا أمر برزويه بالحضور فحضر ومعه الكتب ففتحها وقرأها على من
حضر من أهل المملكة فلما سمعوا ما فيها من العلم فرحوا فرحا شديدا وشكروا الله
على ما رزقهم ومدحوا برزويه وأثنوا عليه وأمر الملك أن تفتح لبرزويه خزائن اللؤلؤ
والزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأمره أنه يأخذ من الخزائن ما شاء من مال أو

كسوة وقال يا برزويه اني قد أمرت أن تجلس على مثل سريري هذا وتلبس تاجا
وتترأس على جميع الاشراف فسجد برزويه للملك ودعا له وطلب من الله وقال أكرم
الله تعالى الملك كرامة الدنيا والآخرة وأحسن عني ثوابه وجزاءه فاني بحمد الله مستغن
عن المال بما رزقني الله على يد الملك السعيد الجد العظيم الملك ولا حاجة لي بالمال
لكن لما كلفني ذلك علمت انه يسره ان امضي الى الخزائن فآخذ منها طلبا لمرضاته
وامتثالا للامر ثم قصد خزانة الثياب فأخذ منها تختا من طرائف خراسان من ملابس
الملوك فلما قبض برزويه ما اختاره ورضيه من الثياب قال أكرم الله الملك ومد
في عمره ابد الابد ان الانسان اذا أكرم وجب عليه الشكر وان كان قد استوجبه
بعنائه ومشقة فقد كان فيه مرضاة الملك وأما أنا فالقيته من عناء وتعب ومشقة يسير لما أعلم
أن لكم فيه الشرف يا أهل هذا البيت فاني لم أزل الى هذا اليوم تابعا مرضاتكم أرى
العسير فيه يسيرا والشاق هينا والنصب والاذى سرورا ولذة لما اعلم ان لكم فيه رضا
وقربة عندكم ولكني أسألك أيها الملك حاجة تسعفني بها وتعطيني فيها سؤلي فان
حاجتي يسيرة وفي قضائها فائدة كثيرة قال أنوشروان قل فكل حاجة لك قبلنا
مقضية فانك عندنا عظيم ولو طلبت مشاركتنا في ملكنا لفعلنا ولم نرد طلبتك فكيف
ما سوى ذلك فقل ولا تحتشم فان الامور كلها مبذولة لك قال برزويه أيها الملك
لا تنظر الى عنائي في رضاك وانكماشي في طاعتك فانما أنا عبدك يلزمني بذل
مهجتي في رضاك ولو لم تجزني لم يكن ذلك عندي عظيما ولا واجبا على الملك ولكن
لكرمه وشرف منصبه عمد الى مجازاتي وخصني وأهل بيتي بعلو المرتبة ورفع الدرجة
حتى لو قدر أن يجمع لنا بين شرف الدنيا والآخرة لفعل فجزاه الله عنا أفضل الجزاء
قال أنوشروان اذكر حاجتك فعلي ما يسرك فقال برزويه حاجتي أن يأمر الملك
أعلاه الله تعالى وزيره بزرجمهر ابن البختكان ويقسم عليه أن يعمل فكره ويجمع
رأيه ويجهد طاقته ويفرغ قلبه في نظم تأليف كلام متقن محكم ويجعله بابا يذكر
فيه أمري ويصف حالي ولا يدع من المبالغة في ذلك أقصى ما يقدر عليه ويأمره اذا
استتم أن يجعله أول الابواب التي تقرأ قبل باب الاسد والثور فان الملك اذا فعل
ذلك فقد بلغني وأهلي غاية الشرف وأعلى المراتب وأبقى لنا ما لا يزال ذكره باقيا
على الابد حيثما قرئ هذا الكتاب فلما سمع كسرى أنوشروان والعظماء مقالته

وما

وما سمت اليه نفسه من محبة ابقاء الذكر واستحسنوا طلبته واختياره قال كسرى
حبا وكرامة لك يا برزويه انك لاهل أن تسعف بحاجتك فما أقل ما قنعت به وأيسره
عندنا وان كان خطره عندك عظيما ثم أقبل انوشروان على وزيره بزرجمهر فقال
له قد عرفت مناصحة برزويه لنا وتجشمه المخاوف والمهالك فيما يقربه منا واتعابه
بدنه فيما يسرنا وما أتى به الينا من المعروف وما افادنا الله على يديه من الحكمة
والادب الباقي لنا فخره وما عرضنا عليه من خزائننا ليجزيه بذلك على ما كان منه فلم
تمل نفسه الى شيء من ذلك وكان بغيته وطلبته منا أمرا يسيرا رآه هو الثواب منا له
والكرامة الجليلة عنده فاني أحب أن تتكلم في ذلك وتسعفه بحاجته وطلبته واعلم
ان ذلك مما يسرني ولا تدع شيأ من الاجتهاد والمبالغة الا بلغته وان نالتك فيه مشقة
وهو أن تكتب بابا مضارعا لتلك الابواب التي في الكتاب وتذكر فيه فضل برزويه
وكيف كان ابتداء أمره وشأنه وتنسبه اليه والى حسبه وصناعته وتذكر فيه بعثته
الى بلاد الهند في حاجتنا وما أفادنا على يديه من هناك وشرفنا به وفضلنا على غيرنا
وكيف كان حال برزويه وقدومه من بلاد الهند فقل ما تقدر عليه من التقريظ
والاطناب في مدحه وبالغ في ذلك أفضل المبالغة واجتهد في ذلك اجتهادا يسر برزويه
وأهل المملكة وان برزويه أهل لذلك مني ومن جميع أهل المملكة ومنك أيضا لمحبتك
للعلوم واجهد أن يكون غرض هذا الكتاب الذي ينسب الى برزويه أفضل من
اغراض تلك الابواب عند الخاص والعام وأشد مشاكلة لجمال هذا العلم فانك أسعد
الناس كلهم بذلك لانفرادك بهذا الكتاب واجعله أول الابواب فاذا أنت عملته
ووضعته في موضعه أعلمني لاجمع أهل المملكة وتقرأه عليهم فيظهر فضلك واجتهادك
في محبتنا فيكون لك بذلك فخر فلما سمع بزرجمهر مقالة الملك خر له ساجدا وقال أدام
الله لك أيها الملك البقاء وبلغك أفضل منازل الصالحين في الآخرة والاولى لقد شرفتني
بذلك شرفا باقيا الى الابد ثم خرج بزرجمهر من عند الملك فوصف برزويه من أول
يوم دفعه أبواه الى المعلم ومضيه الى بلاد الهند في طلب العقاقير والادوية وكيف
تعلم خطوطهم ولغتهم والى أن بعثه أنوشروان الى الهند في طلب الكتاب ولم يدع من
فضائل برزويه وحكمته وخلائقه ومذهبه أمرا الا وثقه وأتى به بأجود ما يكون من
الشرح ثم أعلم الملك بفراغه منه فجمع أنوشروان أشراف قومه وأهل مملكته

وأدخلهم اليه وأمر بزرجمهر بقراءة الكتاب وبرزويه قائم الى جانب بزرجمهر
وابتدأ بوصف برزويه حتى انتهى الى آخره ففرح الملك بما أتى به بزرجمهر من
الحكمة والعلم ثم أثنى الملك وجميع من حضره على بزرجمهر وشكروه وحمدوه وأمر
له الملك بمال جزيل وكسوة وحلي وأوان فلم يقبل من ذلك شيأ غير كسوة كانت من
ثياب الملوك ثم شكر له ذلك برزويه وقبل رأسه ويده وأقبل برزويه على الملك وقال
أدام الله لك الملك والسعادة فقد بلغت بي وبأهلي غاية الشرف بما أمرت به بزرجمهر
من صنعة الكتاب في أمري وابقاء ذكري

باب عرض الكتاب ترجمة عبد الله بن المقفع

هذا كتاب كليلة ودمنة وهو مما وضعته علماء الهند من الامثال والاحاديث التي ألهموا
أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا ولم تزل العلماء من
أهل كل ملة يلتمسون أن يعقل عنهم ويحتالون في ذلك بصنوف الحيل ويبتغون
اخراج ما عندهم من العلل حتى كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على افواه
البهائم والطير فاجتمع لهم بذلك خلال اما هم فوجدوا منصرفا في القول وشعوبا
يأخذون منها واما الكتاب فجمع حكمة ولهوا فاختاره الحكماء لحكمته والسفهاء للهوه
والمتعلم من الاحداث ناشط في حفظ ما صار اليه من أمر يربط في صدره ولا يدري
ماهو بل عرف انه قد ظفر من ذلك بمكتوب مرقوم وكان كالرجل الذي لما استكمل
الرجولية وجد أبويه قد كنزا له كنوزا وعقدا له عقودا استغنى بها عن الكدح
فيما يعمله من أمر معيشته فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة الى غيرها
من وجوه الادب وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له والى
أي غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه الى البهائم وأضافه الى غير مفصح وغير ذلك من
الاوضاع التي جعلها أمثالا فان قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني
ولاي ثمرة يجتني منها ولاي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب وانه
وان كان غايته استتمام قراءته الى آخره دون معرفة ما يقرأ منه لم يعد عليه شيء
يرجع اليه نفعه ومن استكثر من جمع العلوم وقراءة الكتب من غير اعمال
الروية فيما يقرؤه كان خليقا أن لا يصيبه الا ما أصاب الرجل الذي زعمت العلماء

انه

أنه اجتاز ببعض المفاوز فظهر له موضع آثار الكنوز فجعل يحفر ويطلب فوقع على
شيء من عين وورق فقال في نفسه ان أنا أخذت في نقل هذا المال قليلا قليلا طال
على وقطعني الاشتغال بنقله واحرازه عن اللذة بما أصبت منه ولكن سأستأجر أقواما
يحملونه الى منزلي وأكون أنا آخرهم ولا يكون بقي ورائي شيء يشغل فكري بنقله
وأكون قد استظهرت لنفسي في اراحة بدني من الكد بيسير أجرة أعطيها لهم ثم جاء
بالحمالين فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق به الى منزله فيفوز به حتى اذا
لم يبق من الكنز شيء انطلق خلفهم الى منزله فلم يجد فيه من المال شيئا لا قليلا
ولا كثيرا واذا كل واحد من الحمالين قد فاز بما حمله لنفسه ولم يكن له من ذلك
الا العناء والتعب لانه لم يفكر في آخر أمره وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم
ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهرا وباطنا لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه كما لو أن رجلا قدم
له جوز صحيح لم ينتفع به الا أن يكسره وكان أيضا كالرجل الذي طلب علم الفصيح من
كلام الناس فأتى صديقا له من العلماء له علم بالفصاحة فأعلمه حاجته الى علم الفصيح
فرسم له صديقه في صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه فانصرف المتعلم
الى منزله فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ثم انه جلس ذات يوم في محفل من
أهل العلم والادب فأخذ في محاورتهم فجرت له كلمة أخطأ فيها فقال له بعض الجماعة
انك قد أخطأت والوجه غير ما تكلمت به فقال كيف اخطئ وقد قرأت الصحيفة
الصفراء وهي في منزلي فكانت مقالته لهم أوجب للحجة عليه وزاده ذلك قربا من الجهل
وبعدا من الادب ثم ان العاقل اذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له أن
يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالا لا يحيد عنه فاذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل
الذي زعموا ان سارقا تسور عليه وهو نائم في منزله فعلم به فقال والله لأسكتن
حتى أنظر ماذا يصنع ولا اذعره ولا أعلمه اني قد علمت به فاذا بلغ مراده قمت اليه فنغصت
ذلك عليه ثم انه أمسك عنه وجعل السارق يتردد وطال تردده في جمعه ما يجده فغلب
الرجل النعاس فنام وفرغ اللص مما أراد وأمكنه الذهاب واستيقظ الرجل فوجد
اللص قد أخذ المتاع وفاز به فأقبل على نفسه يلومها وعرف انه لم ينتفع بعلمه باللص
اذ لم يستعمل في أمره ما يجب وقد يقال ان العلم لا يتم الا بالعمل وان العلم كالشجرة
والعمل به كالثمرة وانما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به وان لم يستعمل ما يعلم فليس

يسمى عالما ولو أن رجلا كان عالما بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمي جاهلا
ولعله أن يكون قد حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء هجمت بها فيما هو أعرف
بضررها فيه وأذاها من ذلك السالك في الطريق المخوف الذي قد عرفه ومن ركب
هواه ورفض ما ينبغي أن يعمل بما جربه هو أو أعلمه به غيره كان كالمريض العالم
برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله ثم يحمله الشره على أكل رديئه وترك
ما هو أقرب الى النجاة والتخلص من علته وأقل الناس عذرا في اجتناب محمود
الأفعال وارتكاب مذمومها من أبصر ذلك وميزه وعرف فضل بعضه على بعض كما أنه
لو أن رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى ساقهما الأجل الى حفرة فوقعا فيها كانا اذا
صارا في قعرها بمنزلة واحدة غير أن البصير أقل عذرا عند الناس من الضرير اذا كانت
له عينان يبصر بهما وذلك بما صار اليه جاهل غير عارف وعلى العالم أن يبدأ بنفسه
ويؤدبها بعلمه ولا تكون غايته اقتناءه العلم لمعاونة غيره ويكون كالعين التي يشرب
الناس ماءها وليس لها في ذلك شيء من المنفعة وكدودة القز التي تحكم صنعته
ولا تنتفع به فينبغي لمن طلب العلم أن يبدأ بعظة نفسه ثم عليه بعد ذلك أن يقتبسه فان
خلالا ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتنيها ويقتبسها منها العلم والمال ومنها اتخاذ المعروف
وليس للعالم أن يعيب امرأ بشيء فيه مثله ويكون كالأعمى الذي يعير الأعمى بعماه
وينبغي لمن طلب أمرا أن يكون له فيه غاية ونهاية ويعمل بها ويقف عندها ولا يتمادى
في الطلب فانه يقال من سار الى غير غاية يوشك أن تنقطع به مطيته وان كان حقيقا
أن لا يعني نفسه في طلب ما لا حد له وما لم ينله أحد قبله ولا يتأسف عليه ولا يكون
لدنياه مؤثرا على آخرته فان من لم يعلق قلبه بالغايات قلت حسرته عند مفارقتها وقد
يقال في أمرين انهما يجملان بكل أحد أحدهما النسك والآخر المال وقد يقال في
أمرين انهما لا يجملان بكل أحد الملك أن يشاركه في ملكه والرجل أن يشاركه في
زوجته فالخلتان الأوليان مثلهما مثل النار التي تحرق كل حطب يقذف فيها
والخلتان الأخريان كالماء والنار اللذين لا يمكن اجتماعهما وليس ينبغي للعاقل أن
يغبط أحدا ساق الله اليه نفعا وقد كان مرتقبا منه غير ذلك ومن أمثال هذا أن
رجلا كان به فاقة وجوع وعري فألجأه ذلك الى أن سأل أقاربه وأصدقاءه فلم يكن
عند أحد منهم فضل يعود به عليه فبينما هو ذات ليلة في منزله اذ بصر بسارق في منزله

فقال

فقال والله ما في منزلي شيء أخاف عليه فليجهد السارق جهده فبينما السارق يجول إذ
وقعت يده على خابية فيها حنطة فقال السارق والله ما أحب أن يكون عنائي الليلة
باطلا ولعلي لا أصل إلى موضع آخر ولكن سأحمل هذه الحنطة ثم بسط قميصه ليصب
عليه الحنطة فقال الرجل أيذهب هذا بالحنطة وليس ورائي سواها فيجتمع علي مع
العري ذهاب ما كنت أقتات به وما تجتمع والله هاتان الخلتان على
أحد إلا أهلكتاه ثم صاح بالسارق وأخذ هراوة كانت عند رأسه فلم يكن للسارق
حيلة إلا الهرب وترك قميصه ونجا بنفسه وغدا الرجل به كاسيا وليس ينبغي أن
يركن إلى مثل هذا ويدع ما يجب عليه من الحذر والعمل في مثل هذا لصلاح معاشه
ولا ينظر إلى من تؤاتيه المقادير وتساعده على غير التماس منه لأن أولئك في الناس
قليل والجمهور منهم من أتعب نفسه في الكد والسعي فيما يصلح أمره وينال به ما أراد
وينبغي أن يكون حرصه على ما طاب كسبه وحسن نفعه ولا يتعرض لما جلب عليه
العناء والشقاء فيكون كالحمامة التي تفرخ الفراخ فتؤخذ وتذبح ثم لا يمنعها ذلك أن
تعود فتفرخ موضعها وتقيم بمكانها فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح وقد يقال إن
الله تعالى قد جعل لكل شيء حدا يوقف عليه ومن تجاوز في الأشياء حدها أوشك
أن يلحقه التقصير عن بلوغها ويقال من كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه
ومن كان سعيه لدنياه خاصة فحياته عليه ويقال في ثلاثة أشياء يجب على صاحب
الدنيا إصلاحها وبذل جهده فيها منها أمر معيشته ومنها ما بينه وبين الناس ومنها
ما يكسبه الذكر الجميل بعده وقد قيل في أمور من كن فيه لم يستقم له عمل منها التواني
ومنها تضييع الفرص ومنها التصديق لكل مخبر ورب مخبر بشيء عقله ولا يعرف
استقامته فيصدقه وينبغي للعاقل أن يكون لهواه متهما ولا يقبل من كل أحد حديثا
ويتمادى في الخطأ إذا التبس عليه أمره حتى يتبين له الصواب وتستوضح له الحقيقة
ولا يكون كالرجل الذي يحيد عن الطريق فيستمر على الضلال فلا يزداد في السير إلا
جهدا وعن القصد إلا بعدا وكالرجل الذي تقذى عينه فلا يزال يحكها حتى ربما كان
ذلك الحك سببا لذهابها ويجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر ويأخذ بالحزم
ويحب للناس ما يحب لنفسه ولا يلتمس صلاح نفسه بفساد غيره فإنه من فعل ذلك كان
خليقا أن يصيبه ما أصاب التاجر من رفيقه فإنه يقال إنه كان رجل تاجر وكان له شريك

فاستأجرا حانوتا وجعلا متاعهما فيه وكان احدهما قريب المنزل من الحانوت فأضمر
في نفسه أن يسرق عدلا من أعدال رفيقه ومكر الحيلة في ذلك وقال ان أتيت ليلا لم
آمن أن احمل عدلا من أعدالي أو رزمة من رزمي ولا أعرفها فيذهب عنائي وتعبي
باطلا فأخذ رداءه وألقاه على العدل الذي أضمر أخذه ثم انصرف الى منزله وجاء رفيقه
بعد ذلك ليصلح أعداله فوجد رداء شريكه على بعض أعداله فقال والله هذا رداء
صاحبي ولا أحسبه الا قد نسيه وما الرأي أن أدعه ههنا ولكن أجعله على رزمه فلعله
يسبقني الى الحانوت فيجده حيث يحب ثم أخذ الرداء فألقاه على عدل من أعدال
رفيقه وقفل الحانوت ومضى الى منزله فلما جاء الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد واطأه على
ما عزم عليه وضمن له جعلا على حمله فصار الى الحانوت فالتمس الازار في الظلمة
فوجده على العدل فاحتمل ذلك العدل وأخرجه والرجل وجعلا يتراوحان على
حمله حتى أتى منزله ورمى نفسه تعبا فلما أصبح افتقده فاذا هو بعض أعداله فندم أشد
الندامة ثم انطلق نحو الحانوت فوجد شريكه قد سبقه اليه ففتح الحانوت وفقد العدل
فاغتم لذلك غما شديدا وقال واسوأتاه من رفيق صالح قد ائتمنني على ماله وخلفني
فيه ماذا يكون حالي عنده ولست اشك في تهمته اياي ولكن قد وطنت نفسي على
غرامته ثم أتى صاحبه فوجده مغتما فسأله عن حاله فقال اني قد افتقدت الاعدال
وفقدت عدلا من أعدالك ولا أعلم بسببه واني لا اشك في تهمتك اياي واني قد
وطنت نفسي على غرامته فقال له يا أخي لا تغتم فان الخيانة شر ما عمله الانسان والمكر
والخديعة لا يؤديان الى خير وصاحبهما مغرور أبدا وما عاد وبال البغي الا على صاحبه
وانا احد من مكر وخدع واحتال فقال له صاحبه وكيف كان ذلك فأخبره بخبره وقص
عليه قصته فقال له رفيقه ما مثلك الا مثل اللص والتاجر فقال له وكيف كان ذلك
قال زعموا أن تاجرا كان له في منزله خابيتان احداهما مملوءة حنطة والأخرى مملوءة
ذهبا فترقبه بعض اللصوص زمانا حتى اذا كان بعض الايام تشاغل التاجر عن المنزل
فاستغفله اللص ودخل المنزل وكمن في بعض نواحيه فلما هم بأخذ الخابية التي فيها
الدنانير أخذ التي فيها الحنطة وظنها التي فيها الذهب ولم يزل في كد وتعب حتى أتى بها
منزله فلما فتحها وعلم ما فيها ندم فقال له الخائن ما أبعدت المثل ولا تجاوزت القياس وقد
اعترفت بذنبي وخطئي عليك وعزيز علي أن يكون هذا كهذا غير أن النفس الرديئة

تأمر

تأمر بالفحشاء فقبل الرجل معذرته وأضرب عن توبيخه وعن الثقة به وندم هو عند
ما بان من سوء فعله وتقديم جهله وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا أن لا تكون غايته
التصفح لتزاويقه بل يشرف على ما يتضمن من الامثال حتى يأتي الى آخره ويقف
عند كل مثل وكلمة ويعمل فيها رويته ويكون مثل الاخوة الثلاثة الذين خلف لهم أبوهم
المال الكثير فتنازعوه بينهم فأما الاثنان الكبيران فانهما اسرعا في اتلافه وانفاقه
في غير وجهه وأما الصغير فانه عندما نظر ما صار اليه اخواه من اسرافهما وتخليهما من
المال أقبل على نفسه يشاورها وقال يا نفسي انما المال يطلبه صاحبه ويجمعه من
كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته في أعين الناس واستغنائه
عما في أيديهم وصرفه في وجوهه من صلة الرحم والانفاق على الولد والافضال على
الاخوان فمن كان له مال ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يعد فقيرا وان كان موسرا
وان هو أحسن امساكه والقيام عليه لم يعدم الامرين جميعا من دنيا تبقى عليه وحمد
يضاف اليه ومتى قصد انفاقه على غير الوجوه التي علمت لم يلبث أن يتلفه ويبقى على
حسرة وندامة ولكن الرأي ان أمسك هذا المال فاني أرجو أن ينفعني الله به ويغني
اخوي على يدي فانما هو مال أبي ومال أبيهما وان أولى الانفاق على صلة الرحم وان
بعد فكيف باخوي فأنفذ فأحضرهما وشاطرهما في ماله وكذلك يجب على قارئ هذا
الكتاب أن يديم النظر فيه من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ولا يظن أن نتيجته
الاخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود
ويكون مثله مثل الصياد الذي كان في بعض الخلجان يصيد فيه السمك في زورق
فرأى ذات يوم في أرض الماء صدفة تتلألأ حسنا فتوهمها جوهرا له قيمة وكان قد القى
شبكته في البحر فاشتملت على سمكة كانت قوت يومه فخلاها وقذف نفسه في الماء
ليأخذ الصدفة فلما أخرجها وجدها فارغة لا شيء فيها مما ظن فندم على ترك ما في يده
للطمع وتأسف على ما فاته فلما كان في اليوم الثاني تنحى عن ذلك المكان والقى
شبكته فأصاب حوتا صغيرا ورأى أيضا صدفة سنية فلم يلتفت اليها وساء ظنه بها
فتركها فاجتاز بها بعض الصيادين فأخذها فوجد فيها درة تساوي أموالا وكذلك
الجهال على اغفال أمر التفكر والاغترار في أمر هذا الكتاب وترك الوقوف على
أسرار معانيه والاخذ بظاهره دون الاخذ بباطنه ومن صرف همته الى النظر في أبواب

الهزل كرجل أصاب أرضا طيبة حرة وحبا صحيحا فزرعها وسقاها حتى اذا قرب
خيرها وأينعت تشاغل عنها بجمع ما فيها من الزهر وقطع الشوك فأهلك بتشاغله
ما كان أحسن فائدة وأجمل عائدة وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم على
أربعة أغراض أحدها ما قصد فيه الى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة ليسارع
الى قراءته أهل الهزل من الشبان فتستمال به قلوبهم لأن الغرض بالنوادر من حيل
الحيوانات الثاني اظهار خيالات الحيوانات بصنوف الاصباغ والالوان ليكون
أنسا لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور والثالث أن يكون
على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على
مرور الأيام ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا والغرض الرابع الأقصى وذلك
مخصوص بالفيلسوف خاصة انقضى باب غرض الكتاب

﴿ باب برزويه ترجمة بزرجمهر البختكان ﴾

قال برزويه رأس أطباء فارس وهو الذي تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب
الهند وقد مضى ذكر ذلك من قبل فيما مضى ان أبي كان من المقاتلة وكانت أمي من
عظماء بيوت الزمازمة وكان منشئي في نعمة كاملة وكنت أكرم ولد أبوي عليهما وكانا
بي أشد احتفاظا من دون اخوتي حتى اذا بلغت سبع سنين اسلماني الى المؤدب فلما
حذقت في الكتابة شكرت أبوي ونظرت في العلم فكان أول ما ابتدأت به وحرصت
عليه علم الطب لأني كنت عرفت فضله وكلما ازددت منه علما ازددت فيه حرصا وله
أتباعا فلما همت نفسي بمداواة المرضى وعزمت على ذلك آمرت نفسي ثم خيرتها بين
الأمور الاربعة التي يطلبها الناس وفيها يرغبون ولها يسعون فقلت أي هذه الخلال
أبتغي في علمي وأيها أحرى بي فأدرك منه حاجتي المال أم الذكر أم اللذات أم الآخرة
وكنت وجدت في كتب الطب أن أفضل الأطباء من واظب على طبه لا يبتغي الا
الآخرة فرأيت أن أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة لئلا أكون كالتاجر الذي
باع ياقوتة ثمينة بخرزة لا تساوي شيئا مع أني قد وجدت في كتب الأولين ان الطبيب
الذي يبتغي بطبه أجر الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من الدنيا وان مثله مثل الزارع الذي
يعمر أرضه ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ثم هي لا محالة نابت فيها ألوان العشب مع يانع

الزرع فاقبلت على مداواة المرضى ابتغاء اجر الآخرة فلم أدع مريضا أرجو له البرء
وآخر لا أرجو له ذلك الا انى أطمع أن يخف عنه بعض المرض الا بالغت فى مداواته
ما أمكننى القيام عليه بنفسى ومن لم أقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح وأعطيته
من الدواء ما يتعالج به ولم أرد ممن فعلت معه ذلك جزاء ولا مكافأة ولم أغبط أحدا من
نظرائى الذين هم دونى فى العلم وفوقى فى الجاه والمال وغيرهما مما لا يعود بصلاح
ولا حسن سيرة قولا ولا عملا ولما تاقت نفسى الى غشيانهم وتمنت منازلهم أثبت لها
الخصومة فقلت لها يا نفس أما تعرفين نفعك من ضرك الا تنتهين عن تمنى ما لا يناله
أحد الا قل انتفاعه به وكثر عناؤه فيه واشتدت المؤنة عليه وعظمت المشقة لديه
بعد فراقه يا نفس أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين اليه منها الا تستحيين
من مشاركة الفجار فى حب هذه العاجلة الفانية التى من كان فى يده شىء منها فليس له
وليس بباق عليه فلا يألفها الا المغترون الجاهلون يا نفس انظرى فى أمرك وانصرفى
عن هذا السفه واقبلى بقوتك وسعيك على تقديم الخير واياك والشر واذكرى ان هذا
الجسد موجود لآفات وأنه مملوء اخلاطا فاسدة قذرة تعقدها الحياة والحياة الى نفاد
كالصنم المفصلة أعضاؤه اذا ركبت ووضعت يجمعها مسمار واحد ويشد بعضها بعضا
فاذا أخذ ذلك المسمار تساقطت الأوصال يا نفس لا تغترى بصحبة أحبائك وأصحابك
ولا تحرصى على ذلك كل الحرص فان صحبتهم على ما فيها من السرور كثيرة المؤنة
وعاقبة ذلك الفراق ومثلها مثل المغرفة التى تستعمل فى جدتها لسخونة المرق فاذا
انكسرت صارت وقودا يا نفس لا يحملنك أهلك وأقاربك على جمع ما تهلكين فيه
ارادة صلتهم فاذا أنت كالدخنة الارجة التى تحترق ويذهب آخرون بريحها يا نفس
لا يبعد عليك أمر الآخرة فتميلى الى العاجلة فى استعجال القليل وبيع الكثير باليسير
كالتاجر الذى كان له ملء بيت من الصندل فقال ان بعته وزنا طال على فباعه جزافا
بأبخس الثمن وقد وجدت آراء الناس مختلفة وأهواءهم متباينة وكل على كل راد وله
عدو ومغتاب ولقوله مخالف فلما رأيت ذلك لم أجد الى متابعة أحد منهم سبيلا وعرفت
انى ان صدقت أحدا منهم لا علم لى بحاله كنت فى ذلك كالمصدق المخدوع الذى زعموا فى
شأنه ان سارقا علا ظهر بيت رجل من الأغنياء وكان معه جماعة من أصحابه فاستيقظ
صاحب المنزل من وطئهم فعرف امرأته ذلك فقال لها رويدا انى لأحسب اللصوص

علوا على البيت فاستيقظي بصوت يسمعه اللصوص وقولي الا تخبرني أيها الرجل من
أموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة فاذا نهيتك عن هذا السؤال فألحي علي
بالسؤال ففعلت المرأة ذلك وسألته كما أمرها وانصتت اللصوص الى سماع قولهما فقال
لها الرجل أيتها المرأة قد ساقك القدر الى رزق واسع كثير فكلي واسكتي ولا تسألي عن
أمر ان أخبرتك به لم آمن أن يسمعه أحد فيكون في ذلك ما أكره وتكرهين ثم قالت
المرأة أخبرني أيها الرجل فلعمري ما يقربنا أحد يسمع كلامنا فقال لها فاني أخبرك
اني لم أجمع هذه الاموال الا من السرقة قالت وكيف كان ذلك وما كنت تصنع قال
ذلك لعلم أصبته في السرقة وكان الامر علي يسيرا وانا آمن من ان يتهمني أحد أو يرتاب
بي قالت فاذكر لي ذلك قال كنت اذهب في الليلة المقمرة أنا وأصحابي حتى اعلو دار
بعض الاغنياء مثلنا فأنتهي الى الكوة التي يدخل منها الضوء فارقي بهذه الرقية وهي
شولم شولم سبع مرات واعتنق الضوء فلا يحس بوقوعي أحد فلا ادع مالا ولا متاعا
الا أخذته ثم أرقي بتلك الرقية سبع مرات واعتنق الضوء فيجذبني فاصعد الى أصحابي
فنمضي سالمين آمنين فلما سمع اللصوص ذلك قالوا قد ظفرنا الليلة بما نريد من المال
ثم انهم اطالوا المكث حتى ظنوا ان صاحب الدار وزوجته قد هجعا فقام قائدهم الى
مدخل الضوء وقال شولم شولم سبع مرات ثم اعتنق الضوء لينزل الى أرض المنزل
فوقع الى ام رأسه منكسا فوثب اليه الرجل بهراوته وقال له من أنت قال انا المصدق
المخدوع المغتر بما لا يكون أبدا وهذه ثمرة رقيتك فلما تحرزت من تصديق ما لا يكون
ولم آمن ان صدقته ان يوقعني في مهلكة عدت الى طلب الاديان والتماس العدل
منها فلم أجد عند أحد ممن كلمته جوابا فيما سألته عنه فيها ولم أر فيما كلموني به شيئا يحق
لي في عقلي ان أصدق به ولا ان أتبعه فقلت لما لم أجد ثقة آخذ منه فالرأي ان الزم
دين آبائي وأجدادي الذي وجدتهم عليه فلما ذهبت التمس العذر لنفسي في لزوم
دين الآباء والاجداد لم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة بل وجدتها تريد
ان تتفرغ للبحث عن الاديان والمسألة عنها والنظر فيها فهجس في قلبي وخطر على
بالي قرب الاجل وسرعة انقطاع الدنيا واعتباط أهلها وتخرم الدهر حياتهم ففكرت
في ذلك وقلت اما انا فكأني الرجل الذي زعموا أنه علق بامرأة ذات بعل وان تلك
المرأة حفرت له سربا من بيتها الى الطريق وجعلت باب ذلك السرب عند حب الماء

وفعلت

وفعلت ذلك خوفاً من بعلها أو غيره ممن تخافه فتكون اذا ارتابت من احد تخرج
الرجل من ذلك السرب فاتفق ذات يوم ان الرجل كان عندها اذ بلغها ان زوجها
بالباب فقالت للرجل على عجل منها وخيفة بادر اخرج من السرب الذي عند
حب الماء فانطلق الرجل الى ذلك المكان فلم يجد حب الماء فرجع اليها وقال
ما ان الجب الذي ذكرت لي ان السرب عنده ليس هنالك فقالت له ايها المائق
وما تصنع بالجب انما ذلك لتعرف به السرب حيث قد عرفته فاذهب عاجلا فقال
لها لم ذكرت الجب وليس هو هنالك فقالت له ايها الاحمق انج ودع عنك الحمق
والتردد فقال لها كيف امضي وقد خلطت علي وذكرت الجب وليس هنالك
فلم يزل على مثل هذه الحال حتى دخل رب البيت فاخذه واوجعه ضربا ورفعه الى
السلطان فلما خفت من التردد والتحول رأيت ان لا أتعرض لما اتخوف منه المكروه
وان اقتصر على عمل تشهد النفس انه يوافق كل الاديان وكففت فكري عن القتل
والضرب وطرحت نفسي عن المكروه والغضب والسرقة والخيانة والكذب
والبهتان والغيبة واضمرت في نفسي ان لا ابغي على احد ولا اكذب بالبعث ولا
القيامة ولا الثواب ولا العقاب وزايلت الاشرار بقلبي وحاولت الجلوس مع الاخيار
بجهدي ورأيت الصلاح ليس كمثله صاحب ولا قرين ووجدت مكسبه اذ وفق الله
واعان يسيرا ووجدته يدل على الخير ويشير بالنصح فعل الصديق بالصديق ووجدته
لا ينقص على الانفاق منه بل يزداد جدة وحسنا ووجدته لا خوف عليه من السلطان
ان يغصبه ولا من الماء ان يغرقه ولا من النار ان تحرقه ولا من اللصوص ان
تسرقه ولا من السباع وجوارح الطير ان تمزقه ووجدت الرجل الساهي اللاهي
المؤثر اليسير يناله في يومه ويعدمه في غده على الكثير الباقي نعيمه يصيبه ما اصاب
التاجر الذي زعموا انه كان له جوهر نفيس فاستأجر لثقبه رجلا في اليوم بمائة دينار
وانطلق به الى منزله ليعمل واذا في ناحية البيت صنج موضوع فقال التاجر للصانع هل
تحسن ان تلعب بالصنج قال نعم وكان بلعبه ماهرا فقال التاجر دونك والصنج فاسمعنا
ضربك به فاخذ الرجل الصنج ولم يزل يسمع التاجر الضرب الصحيح والصوت الرفيع
والتاجر يشير بيده وراسه طربا حتى امسى فلما حان الغروب قال الرجل للتاجر اؤمر
لي بالاجرة فقال له التاجر وهل عملت شيئا تستحق به الاجرة فقال له عملت ما أمرتني به

يخف من هذه الأمور شيئا وكان قد أمن ووثق بالسلامة منها فلم يتفكر فيها
لوجب عليه ان يعتبر بالساعة التي يحضره فيها الموت فيفارق الدنيا ويتذكر ما هو نازل
به في تلك الساعة من فراق الاحبة والاهل والاقارب وكل مضنون به من الدنيا
والاشراف على الهول العظيم بعد الموت فلو لم يفعل ذلك لكان حقيقا ان يعد عاجزا
مفرطا محبا للدناءة مستحقا اللوم فمن ذا الذي يعلم ولا يحتال لغد جهده في الحيلة ويرفض
ما يشغله ويلهيه من شهوات الدنيا وغرورها ولا سيما في هذا الزمان الشبيه بالصافي
وهو كدر فانه وان كان الملك حازما عظيم القدر رفيع الهمة بليغ الفحص عدلا
مرجوا صدوقا شكورا رحب الذراع مثقفا مواظبا مستمرا عالما بالناس والامور محبا
للعلم والخير والاخيار شديدا على الظلمة غير جبان ولا خفيف القياد رفيقا بالتوسع
على الرعية فيما يحبون والدفع لما يكرهون فانا قد نرى الزمان مدبرا بكل مكان فكان
أمور الصدق قد نزعت من الناس فاصبح ما كان عزيزا فقده مفقودا وما كان ضائرا
وجوده موجودا وكان الخير أصبح ذابلا والشر ناضرا وكان الفهم أصبح قد زالت
سبله وكان الحق ولى كسيرا وأقبل الباطل تابعه وكان اتباع الهوى واضاعة الحكم
أصبح بالحكام موكلا وأصبح المظلوم بالحيف مقرا والظالم لنفسه مستطيلا وكان
الحرص أصبح فاغرا فاه من كل جهة يتلقف ما قرب منه وما بعد وكان الرضا أصبح
مجهولا وكان الاشرار يقصدون السماء صعودا وكان الاخيار يريدون بطن
الارض وأصبحت المروءة مقذوفا بها من أعلى شرف الى أسفل درك وأصبحت الدناءة
مكرمة ممكنة وأصبح السلطان منتقلا عن أهل الفضل الى أهل النقص وكان
الدنيا جذلة مسرورة تقول قد غيبت الخيرات وأظهرت السيئات فلما فكرت في الدنيا
وامورها وان الانسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله ثم هو لا يتقلب الا في الشرور
والهموم عرفت انه ليس انسان ذو عقل الا وقد أغفل هذا ولم يعمل لنفسه ويحتل
لنجاتها فعجبت من ذلك كل العجب ثم نظرت فاذا الانسان لا يمنعه عن الاحتيال
لنفسه الا لذة صغيرة حقيرة غير كبيرة من الشم والذوق والنظر والسمع واللمس لعله
ان يصيب منها الطفيف أو يقتني منها اليسير فاذا ذلك يشغله ويذهب به عن
الاهتمام لنفسه وطلب النجاة لها فالتمست للانسان مثلا فاذا مثله مثل رجل
نجا من خوف فيل هائج الى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها فوقعت

رجليه على شيء في طي البئر فاذا حيات أربع قد اخرجن رؤوسهن من اجحارهن ثم نظر فاذا في قعر البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه فرفع بصره الى الغصنين فاذا في أصلهما جرذان اسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران فبينما هو في النظر لأمره والاهتمام لنفسه اذ أبصر قريبا منه كوارة فيها عسل نحل فذاق العسل فشغلته حلاوته والهته لذته عن الفكرة في شيء من أمره وان يلتمس الخلاص لنفسه ولم يذكر ان رجليه على حيات أربع لا يدري متى يقع عليهن ولم يذكر ان الجرذين دائبان في قطع الغصنين ومتى انقطعا وقع على التنين فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك فشبهت البئر بالدنيا المملوأة آفات وشرورا ومخافات وعاهات وشبهت الحيات الاربع بالاخلاط الاربعة التي في البدن فانها متى هاجت أو احدها كانت كحمة الافاعي والسم المميت وشبه الجرذان الاسود والابيض بالليل والنهار اللذين هما دائبان في افناء الاجل وشبه التنين بالمصير الذي لا بد منه وشبه العسل بهذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الانسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسه ويلهو عن شأنه ويصد عن سبيل قصده فحينئذ صار أمري الى الرضا بحالي واصلاح ما استطعت اصلاحه من عملي لعلي ان اصادف باقي ايامي زمانا أصيب فيه دليلا على هداي وسلطانا على نفسي وقواما على أمري فأقمت على هذه الحال وانتسخت كتبا كثيرة وانصرفت من بلاد الهند وقد نسخت هذا الكتاب انقضى باب برزويه المتطبب

﴿باب الاسد والثور وهو أول الكتاب﴾

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة اضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء قال بيدبا اذا ابتلي المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا ان يتقاطعا ويتدابرا ومن أمثال ذلك انه كان بأرض دستاوند رجل شيخ وكان له ثلاثة بنين فلما بلغوا أشدهم اسرعوا في مال أبيهم ولم يكونوا احترفوا حرفة يكسبون لانفسهم بها خيرا فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم وكان من قوله لهم يا بني ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها الا بأربعة اشياء أما الثلاثة التي يطلب فالسعة في الرزق والمنزلة

في الناس والزاد للآخرة وأما الاربعة التي يحتاج اليها في درك هذه الثلاثة
فاكتساب المال من أحسن وجه يكون ثم حسن القيام فيما اكتسب منه ثم استثماره
ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان فيعود عليه نفعه في الآخرة
فمن ضيع شيئا من هذه الاحوال لم يدرك ما أراد من حاجته لانه ان لم يكتسب لم يكن
له مال يعيش به وان هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يحسن القيام به أوشك المال
ان يفنى ويبقى معدما وان هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة
الذهاب كالكحل الذي لا يؤخذ منه الا غبار الميل ثم هو مع ذلك سريع فناؤه وان
أنفقه في غير وجهه ووضعه في غير موضعه وأخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة
الفقير الذي لا مال له ثم لم يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل التي تجري عليه
كحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه فان لم يكن له مخرج ومغاض ومتنفس
يخرج الماء منه بقدر ما ينبغي خرب وسال ونز من نواح كثيرة وربما انبثق البثق
العظيم فذهب الماء ضياعا ثم ان بني الشيخ اتعظوا بقول أبيهم وأخذوا به وعلموا ان فيه
الخير وعولوا عليه فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها ميون فأتى في طريقه على
مكان فيه وحل كثير وكان معه عجلة يجرها ثوران يقال لاحدهما شتربه وللآخر
بندبه فوحل شتربه في ذلك المكان فعالجه الرجل وأصحابه حتى بلغ منهم الجهد فلم
يقدروا على اخراجه فذهب التاجر وخلف عنده رجلا يشارفه لعل الوحل ينشف
فيتبعه بالثور فلما بات الرجل بذلك المكان تبرم به واستوحش فترك الثور والتحق
بالتاجر فأخبره ان الثور قد مات وقال له ان الانسان اذا انقضت مدته وحانت منيته
فهو وان اجتهد في التوقي من الامور التي يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يغن ذلك عنه
شيئا وربما عاد اجتهاده في توقيه وحذره وبالا عليه كالذي قيل ان رجلا سلك مفازة
فيها خوف من السباع وكان الرجل خبيرا بوعث تلك الارض وخوفها فلما سار غير
بعيد اعترض له ذئب من أحد الذئاب وأضراها فلما رأى الرجل ان الذئب قاصد نحوه
خاف منه ونظر يمينا وشمالا ليجد موضعا يتحرز فيه من الذئب فلم ير الا قرية خلف
واد فذهب مسرعا نحو القرية فلما أتى الوادي لم ير عليه قنطرة ورأى الذئب قد أدركه
فألقى نفسه في الماء وهو لا يحسن السباحة وكاد ان يغرق الا أنه بصر به قوم من أهل
القرية فتواقعوا لاخراجه فأخرجوه وقد أشرف على الهلاك فلما حصل الرجل عندهم

وأمن

وأمن على نفسه من غائلة الذئب رأى على شط الوادي بيتا مفردا فقال ادخل هذا
البيت فاستريح فيه فلما دخل وجد جماعة من اللصوص قد قطعوا الطريق على
رجل من التجار وهم يقتسمون ماله ويريدون قتله فلما رأى الرجل ذلك خاف على
نفسه ومضى نحو القرية فأسند ظهره الى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به
من الهول والاعياء اذ سقط الحائط عليه فمات قال التاجر صدقت قد بلغني هذا
الحديث وأما الثور فانه خلص من مكانه وانبعث فلم يزل في مرج مخصب كثير الماء
والكلأ فلما سمن وأمن جعل يخور ويرفع صوته بالخوار بطلب البقرات وكان قريبا
منه اجمة فيها أسد عظيم وهو ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة وذئاب وبنو آوى
وثعالب وفهود ونمور وكان هذا الاسد منفردا برأيه غير آخذ برأي احد من أصحابه
فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثورا قط ولا سمع خواره لانه كان مقيما مكانه لا يبرح
ولا ينشط بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى
يقال لاحدهما كليلة والآخر دمنة وكانا ذوي دهاء وعلم وأدب فقال دمنة لاخيه
كليلة يا أخي ما شأن الاسد مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط قال له كليلة
ما شأنك أنت والمسألة عن هذا نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب وتاركين ما يكره
ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم فامسك
عن هذا واعلم انه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شأنه اصابه ما أصاب
القرد من النجار قال دمنة وكيف كان ذلك قال كليلة زعموا ان قردا رأى
نجارا يشق خشبة بين وتدين وهو راكب عليها فاعجبه ذلك ثم ان النجار ذهب لبعض
شأنه فقام القرد وتكلف ما ليس من شغله فركب الخشبة وجعل ظهره قبل
الوتد ووجهه قبل الخشبة فتدلت خصيتاه في الشق ونزع الوتد فلزم الشق عليهما
فخر مغشيا عليه ثم ان النجار وافاه فرآه وضعه فاقبل عليه يضربه فكان ما لقي
من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة قال دمنة قد سمعت ما ذكرت لكن
اعلم ان كل من يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنه وانما يدنو منهم ليسر الصديق
ويكبت العدو وان من الناس من لا مروأة له وهم الذين يفرحون بالقليل ويرضون
بالدون كالكلب الذي يصيب عظما يابسا فيفرح به وأما أهل الفضل والمروأة فلا
يقنعهم القليل ولا يرضون به دون ان تسمو به نفوسهم الى ما هم أهل له وهو أيضا لهم

أهل كالأسد الذي يفترس الارنب فاذا رأى البعير تركها وطلب البعير الا ترى
أن الكلب يبصبص بذنبه حتى ترمى له الكسرة وان الفيل المعترف بفضله وقوته اذا
قدم اليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح ويتملق له فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل وافضال
على أهله واخوانه فهو وان قل عمره طويل العمر ومن كان في عيشه ضيق وقلة
وامساك على نفسه وذويه فالمقبور احيى منه ومن عمل لبطنه وقنع وترك ما سوى
ذلك عد من البهائم قال كليلة قد فهمت ما قلت فراجع عقلك واعلم ان لكل
انسان منزلة وقدرا فان كان في منزلته التي هو فيها متماسكا كان حقيقا أن يقنع
وليس لنا من المنزلة ما يحط حالنا التي نحن عليها قال دمنة ان المنازل متنازعة مشتركة
على قدر المروأة فالمرء ترفعه مروأته من المنزلة الوضيعة الى المنزلة الرفيعة ومن
لا مروأة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة الى المنزلة الوضيعة وان الارتفاع الى المنزلة
الشريفة شديد والانحطاط منها هين كالحجر الثقيل رفعه من الارض الى العاتق
عسر ووضعه الى الارض هين فنحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل وان نلتمس
ذلك بمروأتنا ثم كيف نقنع بها ونحن نستطيع التحول عنها قال كليلة فما الذي
اجتمع عليه رأيك قال دمنة اريد أن اتعرض للاسد عند هذه الفرصة فان الاسد
ضعيف الرأى ولعلى على هذه الحال أدنو منه فاصيب عنده منزلة ومكانة قال كليلة
وما يدريك أن الاسد قد التبس عليه أمره قال دمنة بالحس والرأى اعلم ذلك منه
فان الرجل ذا الرأى يعرف حال صاحبه وباطن أمره بما يظهر له من دله وشكله
قال كليلة فكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولست بصاحب السلطان ولا لك علم
بخدمة السلاطين قال دمنة الرجل الشديد القوى لا يعجزه الحمل الثقيل وان لم
تكن عادته الحمل والرجل الضعيف لا يستقل به وان كان ذلك من صناعته قال
كليلة فان السلطان لا يتوخى بكرامته فضلاء من بحضرته ولكنه يؤثر الادنى ومن
قرب منه ويقال ان مثل السلطان في ذلك مثل شجر الكرم الذي لا يعلق الا بأكرم
الشجر وكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولست تدنو منه قال دمنة قد فهمت كلامك
جميعه وما ذكرت وانت صادق لكن اعلم ان الذي هو قريب من السلطان ولا ذلك
موضعه ولا تلك منزلته ليس كمن دنا منه بعد البعد وله حق وحرمة وأنا ملتمس بلوغ
مكانتهم بجهدى وقد قيل لا يواظب على باب السلطان الا من يطرح الانفة ويحمل

الاذى

الاذى ويكظم الغيظ ويرفق بالناس فاذا وصل الى ذلك فقد بلغ مراده قال كليله
هبك وصلت الى الاسد فما توفيقك عنده الذى ترجو ان تنال به المنزلة عنده والحظوة
لديه قال دمنه لو دنوت منه وعرفت أخلاقه رفقت فى متابعته وقلة الخلاف له
واذا أراد أمرا هو فى نفسه صواب زينته له وصبرته عليه وعرفته بما فيه من النفع والخير
وشجعته عليه وعلى الوصول اليه حتى يزداد به سرورا واذا أراد أمرا يخاف عليه
ضره وشينه بصرته بما فيه من الضر والشين وأوقفته على ما فى تركه من النفع والزين
بحسب ما أجد اليه السبيل وانا ارجو أن ازداد بذلك عند الاسد مكانة ويرى
منى ما لا يراه من غيرى فان الرجل الاديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقا أو يحق
باطلا لفعل كالمصور الماهر الذى يصور فى الحيطان صورا كأنها خارجة وليست
خارجة وأخرى كأنها داخلة وليست بداخلة قال كليله اما ان قلت هذا او قلت هذا
فانى أخاف عليك من السلطان فان صحبته خطرة وقد قالت العلماء ان أمورا ثلاثة
لا يجترئ عليهن الا أهوج ولا يسلم منهن الا القليل وهى صحبة السلطان وائتمان
النساء على الاسرار وشرب السم للتجربة وانما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب
المرتقى الذى فيه الثمار الطيبة والجواهر النفيسة والادوية النافعة وهو مع ذلك
معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد
قال دمنه صدقت فيما ذكرت غير أنه من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ومن ترك
الامر الذى لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله أن يتوقاه فليس ببالغ جسيما
وقد قيل ان خصالا ثلاثة لن يستطيعها أحد الا بمعونة من علو همة وعظيم خطر وهى
السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو وقد قالت العلماء فى الرجل الفاضل الرشيد انه
لا يرى الا فى مكانين ولا يليق به غيرهما اما مع الملوك مكرما أو مع النساك متعبدا
كالفيل انما جماله وبهاؤه فى مكانين اما أن تراه وحشيا أو مركبا للملوك قال كليله خار
الله لك فيما عزمت عليه ثم ان دمنه انطلق حتى دخل على الاسد فسلم عليه فقال
الاسد لبعض جلسائه من هذا فقال فلان بن فلان قال قد كنت اعرف أباه ثم سأله
اين تكون قال لم أزل مرابطا الباب الملك رجاء ان يحضر أمر فأعين الملك فيه بنفسى
ورأيى فان ابواب الملوك تكثر فيها الامور التى ربما يحتاج فيها الى الذى لا يؤبه
به وليس احد يصغر أمره الا وقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع على قدره حتى العود

الملقى فى الارض ربما انتفع فيأخذه الرجل فيكون عدته عند الحاجة اليه فلما سمع الاسد
قول دمنة أعجبه وظن ان عنده نصيحة ورأيا فاقبل على من حضر فقال ان الرجل
ذا العلم والمروءة يكون خامل الذكر خافض المنزلة فتأبى منزلته الا أن تشب وترتفع
كالشعلة من النار يضرمها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا فلما عرف دمنة ان الاسد قد عجب
منه قال ان رعية الملك تحضر باب الملك رجاء أن يعرف ما عندها من علم وافر وقد يقال
ان الفضل فى أمرين فضل المقاتل على المقاتل والعالم على العالم وان كثرة الاعوان
اذا لم يكونوا مختبرين ربما تكون مضرة على العمل فان العمل ليس رجاؤه بكثرة
الاعوان ولكن بصالحى الاعوان ومثل ذلك مثل الرجل الذى يحمل الحجر الثقيل
فيقتل به نفسه ولا يجد له ثمنا والرجل الذى يحتاج الى الجذوع لا يجزئه القصب وان
كثر فانت الآن أيها الملك حقيق أن لا تحقر مروءة انت تجدها عند رجل صغير المنزلة
فان الصغير ربما عظم كالعصب يؤخذ من الميتة فاذا عمل منه القوس اكرم فتقبض
عليه الملوك وتحتاج اليه فى البأس واللهو وأحب دمنة أن يرى القوم ان ما ناله من
كرامة الملك انما هو لرأيه ومروءته وعقله لانهم عرفوا قبل ذلك ان ذلك لمعرفته آباه
فقال ان السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم ولكن ينبغى ان
ينظر الى كل رجل بما عنده لانه لا شىء اقرب الى الرجل من جسده فمن جسده ما يدوى
حتى يؤذيه ولا يدفع ذلك عنه الا بالدواء الذى يأتيه من بعد فلما فرغ دمنة من مقالته
هذه أعجب الملك به اعجابا شديدا وأحسن الرد عليه وزاد فى كرامته ثم قال لجلسائه
ينبغى للسلطان ان لا يلج فى تضييع حق ذوى الحقوق والناس فى ذلك رجلان رجل
طبعه الشراسة فهو كالحية ان وطئها الواطئ فلم تلدغه لم يكن جديرا أن يغره ذلك منها
فيعود الى وطئها ثانيا فتلدغه ورجل اصل طباعه السهولة فهو كالصندل البارد الذى
اذا أفرط فى حكه صار حارا مؤذيا ثم ان دمنة استأنس بالاسد وخلا به فقال له يوما أرى
الملك قد أقام فى مكان واحد لا يبرح منه فما سبب ذلك فبينما هما فى هذا الحديث اذ
خار شتربه خوارا شديدا فهيج الاسد وكره أن يخبر دمنة بما ناله وعلم دمنة ان ذلك
الصوت قد أدخل على الاسد ريبة وهيبة فسأله هل راب الملك سماع هذا الصوت قال
لم يربنى شىء سوى ذلك قال دمنة ليس الملك بحقيق أن يدع مكانه لاجل صوت فقد

قالت العلماء انه ليس من كل الاصوات تجب الهيبة قال الاسد وما مثل ذلك قال دمنة زعموا أن ثعلبا أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة وكلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم باهر فتوجه الثعلب نحوه لاجل ما سمع من عظيم صوته فلما أتاه وجده ضخما فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه فلما رآه أجوف لا شيء فيه قال لا أدري لعل افشل الاشياء أجهرها صوتا واعظمها جثة وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا اليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا فان شاء الملك بعثني وأقام بمكانه حتى آتيه ببيان هذا الصوت فوافق الاسد قوله فأذن له بالذهاب نحو الصوت فانطلق دمنة الى المكان الذي فيه شتربه فلما فصل دمنة من عند الاسد فكر الاسد في أمره وندم على ارسال دمنة حيث أرسله وقال في نفسه ما أصبت في ائتماني دمنة وقد كان ببابي مطروحا فان الرجل اذا كان يحضر باب الملك وقد أطيلت جفوته من غير جرم كان منه أو كان مبغيا عليه عند سلطانه أو كان عنده معروفا بالشره والحرص أو كان قد أصابه ضر وضيق فلم ينعشه أو كان قد اجترم جرما فهو يخاف العقوبة منه أو كان يرجو شيئا يضر الملك وله منه نفع أو يخاف شيئا مما ينفعه ضرا أو كان لعدو الملك مسالما ولسالمه محاربا فليس السلطان بحقيق أن يعجل بالاسترسال الى هؤلاء والثقة بهم والائتمان لهم فان دمنة داهية أديب وقد كان ببابي مطروحا مجفوا ولعله قد احتمل علي بذلك ضغنا ولعل ذلك يحمله على خيانتي واعانة عدوي ونقيصتي عنده ولعله صادف صاحب الصوت أقوى سلطانا مني فيرغب فيه عني ويميل معه علي ثم قام من مكانه فمشى غير بعيد فبصر بدمنة مقبلا نحوه فطابت نفسه بذلك ورجع الى مكانه ودخل دمنة على الاسد فقال له ماذا صنعت ماذا رأيت قال رأيت ثورا هو صاحب الخوار والصوت الذي سمعته قال فما قوته قال لا شوكة له وقد دنوت منه وحاورته محاورة الاكفاء فلم يستطع لي شيئا قال الاسد لا يغرنك ذلك منه ولا يصغرن عندك أمره فان الريح الشديد لا تعبأ بضعيف الحشيش لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر قال دمنة لا تهابن أيها الملك منه شيئا ولا يكبرن عليك أمره فانا آتيك به ليكون لك عبدا سامعا مطيعا قال الاسد دونك وما بدا لك فانطلق دمنة الى الثور فقال له غير هائب ولا مكترث ان الاسد أرسلني اليك لآتيه بك وأمرني ان أنت عجلت اليه طائعا أن أؤمنك على ما سلف

من ذنبك فى التأخر عنه وتركك لقاءه وان أنت تأخرت عنه واحجمت أعجل الرجعة
اليه فأخبره قال له شتربه ومن هو هذا الاسد الذى ارسلك الى واين هو وما حاله قال
دمنة هو ملك السباع وهو بمكان كذا وكذا ومعه جند كثير من جنسه فرعب شتربه
من ذكر الاسد والسباع وقال ان أنت جعلت لى الامان على نفسى أقبلت معك اليه
فاعطاه دمنة من الامان ما وثق به ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الاسد فأحسن
الاسد الى الثور وقربه وقال له متى قدمت هذه البلاد وما أقدمكها فقص شتربه عليه
قصته فقال له الاسد أصحبنى والزمنى فانى مكرمك فدعا له الثور وأثنى عليه ثم ان الاسد
قرب شتربه وأكرمه وانس به وائتمنه على اسراره وشاوره فى أمره ولم تزده الايام
الا عجابا به ورغبة فيه وتقريبا منه حتى صار أخص أصحابه عنده منزلة فلما رأى دمنة
ان الثور قد اختص بالاسد دونه ودون أصحابه وانه قد صار صاحب رأيه وخلواته
ولهوه حسده حسدا عظيما وبلغ منه غيظه كل مبلغ فشكا ذلك الى أخيه كليلة
وقال له الا تعجب يا أخى من عجز رأيى وصنعى بنفسى ونظرى فيما ينفع الاسد واغفلت
نفع نفسى حتى جلبت الى الاسد ثورا غلبنى على منزلتى قال كليلة قد أصابك ما أصاب
الناسك قال دمنة وكيف ذلك قال كليلة زعموا ان ناسكا أصاب من بعض الملوك
كسوة فاخرة فبصر به سارق فطمع فى الثياب فأتى الناسك وقال له انى أريد ان
أصحبك فأتعلم منك وآخذ عنك فأذن له الناسك فى صحبته فصحبه متشبها به ورفق له
فى خدمته حتى اذا ظفر به أخذ تلك الثياب فذهب بها فلما فقد الناسك ثيابه علم أن
صاحبه قد أخذها فتوجه فى طلبه نحو مدينة من المدن فمر فى طريقه بوعلين يتناطحان
حتى قد سالت دماؤهما فجاء ثعلب يلغ فى تلك الدماء فبينما هو فى ولوغه فى تلك الدماء
اذ أقبل عليه الوعلان بنطاحهما فقتلاه ومضى الناسك حتى دخل تلك المدينة فلم
يجد فيها قرى الا بيت امرأة فنزل بها واستضاف عندها وكانت للمرأة جارية تؤاجرها
وكانت الجارية قد علقت رجلا وهى له مريدة وقد أضر ذلك بمولاتها فاحتالت لقتل
الرجل فى تلك الليلة التى استضاف بها الناسك ثم ان الرجل وافى فسقته من الخمرة
حتى سكر ونام ونامت الجارية الى جانبه فلما استثقلا نوما عمدت الى سم كانت قد
أعدته فى قصبة لتنفخه فى دبر الرجل فلما أرادت ذلك بدرت من دبر الرجل ريح
فعكست السم الى حلق المرأة فوقعت ميتة وكل ذلك بعين الناسك وسمعه فلما رأى ذلك

خرج يبتغي منزلا غيره فاستضاف عند رجل اسكاف فأتى به امرأته وقال لها انظري
الى هذا الناسك وأكرمي مثواه وقومي بخدمته فقد دعاني بعض اصدقائي للشرب
عنده ثم انطلق ذاهبا وكان للمرأة خليل والسفير بينهما امرأة حجام فأرسلت امرأة
الاسكاف الى امرأة الحجام تأمرها بالمصير اليها وتعرف خليلها خلو وجهها وقالت ان
زوجي قد ذهب ليشرب عند بعض اصدقائه ولن يعود الا سكران فقولي له يسرع
البكرة ثم ان خليل المرأة جاء فقعد على الباب ينتظر الاذن وجاء الاسكاف سكران
فرأى الرجل وارتاب به ودخل مغضبا الى امرأته فأوجعها ضربا ثم أوثقها في
اسطوانة في المنزل وذهب فنام لا يعقل وجاءت امرأة الحجام تعلمها ان الرجل قد أطال
الجلوس فماذا تأمرين فقالت لها ان شئت فأحسني الي وحليني واربطيني مكاني
حتى انطلق الى خليلي وأعجل العودة فأجابتها امرأة الحجام الى ذلك وحلتها وانطلقت
الى خليلها وأوثقت هي نفسها مكانها فاستيقظ الاسكاف قبل أن تعود زوجته
فناداها باسمها فلم تجبه امرأة الحجام وخافت من الفضيحة أن ينكر صوتها ثم دعاها
ثانية فلم تجبه فامتلأ غيظا وحنقا وقام نحوها بالشفرة فجدع أنفها وقال خذي هذا
فأتحفي به صديقك وهو لا يشك في انها امرأته ثم جاءت امرأة الاسكاف فرأت صنع
زوجها بامرأة الحجام فساءها ذلك وأكبرته وحلت وثاقها فانطلقت الى منزلها مجدوعة
الانف وكل ذلك بعين الناسك وسمعه ثم ان امرأة الاسكاف جعلت تبتهل وتدعو على
زوجها الذي ظلمها ثم رفعت صوتها ونادت زوجها أيها الفاجر الظالم قم فانظر كيف
صنعك بي وصنع الله بي كيف رحمني ورد أنفي صحيحا كما كان فقام وأوقد المصباح
ونظر فاذا أنف زوجته صحيح فاستغفر اليها وتاب من ذنبه واستغفر الى ربه واما
امرأة الحجام فانها لما وصلت الى منزلها تفكرت في طلب العذر عند زوجها وأهلها في
جدع انفها ورفع الالتباس فلما كان عند السحر استيقظ الحجام فقال لامرأته هاتي
متاعي كله فاني أريد المضي الى بعض الاشراف فأتته بالموسى فقال لها هاتي الآلة
جميعها فلم تأته الا بالموسى فغضب حين أطالت التكرار ورماها به فألقت نفسها الى
الارض وولولت وصاحت أنفي أنفي وجلبت حتى جاء أهلها واقرباؤها فرأوها على
تلك الحال فأخذوا الحجام فانطلقوا به الى القاضي فقال له القاضي ما حملك على جدع
أنف امرأتك فلم تكن له حجة يحتج بها فأمر به القاضي ان يقتص منه فلما قدم
للقصاص وافى الناسك فتقدم الى القاضي وقال له أيها الحاكم لا يشتبهن عليك هذا

الامر فان اللص ليس هو الذى سرقنى وان الثعلب ليس الوعلان قتلاه وان البغى
ليس السم قتلها وان امرأة الحجام ليس زوجها جدع انفها وانما نحن فعلنا ذلك
بأنفسنا فسأله القاضى عن التفسير فأخبره بالقصة فأمر القاضى باطلاق الحجام قال
دمنة قد سمعت هذا المثل وهو شبيه بأمرى ولعمرى ما ضرنى أحد سوى نفسى ولكن
ما الحيلة قال كليلة أخبرنى عن رأيك وما تريد ان تعزم عليه فى ذلك قال دمنة اما انا
فلست اليوم أرجو ان تزداد منزلتى عند الاسد فوق ما كنت عليه ولكن ألتمس أن
أعود الى ما كانت حالى عليه فان أمورا ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتيال لها
بجهده منها النظر فيما مضى من الضر والنفع ان يحترس من الضر الذى أصابه فيما
سلف لئلا يعود الى ذلك الضرر ويلتمس النفع الذى مضى ويحتال لمعاودته ومنها
النظر فيما هو مقيم فيه من المنافع والمضار والاستيثاق مما ينفع والهرب مما يضر ومنها
النظر فى مستقبل ما يرجو من قبل النفع وما يخاف من قبل الضر فليستتم ما يرجو
ويتوق ما يخاف بجهده وأنى لما نظرت فى الامر الذى به أرجو ان تعود منزلتى
وما غلبت عليه مما كنت فيه لم أجد حيلة ولا وجها الا الاحتيال لآكل العشب هذا
حتى أفرق بينه وبين الحياة فانه ان فارق الاسد عادت لى منزلتى ولعل ذلك يكون
خيرا للاسد فان افراطه فى تقريب الثور خليق ان يشينه ويضره فى أمره قال كليلة
ما أرى على الأسد فى رأيه فى الثور ومكانه منه ومنزلته عنده شينا ولا شرا قال دمنة
انما يؤتى السلطان ويفسد أمره من قبل ستة اشياء الحرمان والفتنة والهوى
والفظاظة والزمان والخرق فاما الحرمان فانه يحرم صالح الأعوان والنصحاء والساسة
من أهل الرأى والنجدة والامانة وترك التفقد من هو كذلك وأما الفتنة فهو تحارب
الناس ووقوع الحرب بينهم وأما الهوى فالاغرام بالنساء والحديث واللهو والشراب
والصيد وما أشبه ذلك واما الفظاظة فهى افراط الشدة حتى يجمح اللسان بالشتم
واليد بالبطش فى غير موضعهما واما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين والموت
ونقص الثمرات والغزوات واشباه ذلك واما الخرق فاعمال الشدة فى موضع اللين
واللين فى موضع الشدة وان الاسد قد أغرم بالثور اغراما شديدا هو الذى ذكرت لك
انه خليق ان يشينه ويضره فى أمره قال كليلة وكيف تطيق الثور وهو أشد منك
وأكرم على الاسد منك وأكثر أعوانا قال دمنة لا تنظر الى صغرى وضعفى فان

الامور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر فى الجثة فرب صغير ضعيف قد
بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الاقوياء أولم يبلغك ان غرابا ضعيفا
احتال لاسود حتى قتله قال كليلة وكيف كان ذلك قال دمنة زعموا ان غرابا كان له
وكر فى شجرة على جبل وكان قريبا منه جحر ثعبان أسود فكان الغراب اذا فرخ عمد
الاسود الى فراخه فأكلها فبلغ ذلك من الغراب وأحزنه فشكا ذلك الى صديق له من
بنات آوى وقال له أريد مشاورتك فى أمر قد عزمت عليه قال وما هو قال الغراب قد
عزمت ان أذهب الى الاسود اذا نام فأنقر عينيه فافقأهما لعلى استريح منه قال ابن
آوى بئس الحيلة التى احتلت فالتمس أمرا تصيب فيه بغيتك من الاسود من غير ان
تغرر بنفسك وتخاطر بها واياك ان يكون مثلك مثل العلجوم الذى أراد قتل
السرطان فقتل نفسه قال الغراب وكيف كان ذلك قال ابن آوى زعموا ان علجوما
عشش فى أجمة كثيرة السمك فعاش بها ما عاش ثم هرم فلم يستطع صيدا فأصابه جوع
وجهد شديد فجلس حزينا يلتمس الحيلة فى أمره فمر به سرطان فرأى حالته وما هو
عليه من الكآبة والحزن فدنا منه وقال مالى أراك أيها الطائر هكذا حزينا كئيبا
قال العلجوم وكيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ما ههنا من السمك وانى قد
رأيت اليوم صيادين قد مرا بهذا المكان فقال أحدهما لصاحبه ان ههنا سمكا
كثيرا أفلا نصيده أولا فقال الآخر انى قد رأيت فى مكان كذا سمكا أكثر من
هذا السمك فلنبدأ بذلك فاذا فرغنا منه جئنا الى ههنا فأفنيناه وقد علمت انهما اذا
فرغا مما هنالك انتهيا الى هذه الاجمة فاصطادا ما فيها فاذا كان ذلك فهو هلاكى ونفاد
مدتى فانطلق السرطان من ساعته الى جماعة السمك فأخبرهن بذلك فأقبلن الى
العلجوم فاستشرنه وقلن له انا أتيناك لتشير علينا فان ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه
قال العلجوم اما مكابرة الصيادين فلا طاقة لى بها ولا أعلم حيلة الا المصير الى غدير
قريب من ههنا فيه سمك ومياه عظيمة وقصب فان استطعتن الانتقال اليه كان
فيه صلاحكن وخصبكن فقلن له ما يمن علينا بذلك غيرك فجعل العلجوم يحمل فى كل
يوم سمكتين حتى ينتهى بهما الى بعض التلال فيأكلهما حتى اذا كان ذات يوم جاء
لاخذ السمكتين فجاءه السرطان فقال له انى أيضا قد أشفقت من مكانى هذا
واستوحشت منه فاذهب بى الى ذلك الغدير فاحتمله وطار به حتى اذا دنا من التل

الذى كان يأكل السمك فيه فنظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هنالك فعلم ان
العلجوم هو صاحبها وانه يريد به مثل ذلك فقال فى نفسه اذا لقى الرجل عدوه فى
المواطن التى يعلم انه فيها هالك سواء قاتل أو لم يقاتل كان حقيقا أن يقاتل عن نفسه
كرما وحفاظا ثم أهوى بكلبتيه على عنق العلجوم فعصرها فمات وتخلص السرطان
الى جماعة السمك فاخبرهن بذلك وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان بعض الحيلة
مهلكة للمحتال ولكنى أدلك على أمر ان أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الاسود
من غير أن تهلك به نفسك وتكون فيه سلامتك قال الغراب وماذاك قال ابن آوى
تنطلق فتبصر فى طيرانك لعلك أن تظفر بشئ من حلى النساء فتخطفه ولا تزال
طائرا واقعا بحيث لا تفوت العيون حتى تأتى جحر الاسود فترمى بالحلى عنده فاذا رأى
الناس ذلك أخذوا حليهم وأراحوك من الاسود فانطلق الغراب محلقا فى السماء
فوجد امرأة من بنات العظماء فوق سطح تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليها ناحية
فانقض واختطف من حليها عقدا وطار به فتبعه الناس ولم يزل طائرا واقعا بحيث
يراه كل أحد حتى انتهى الى جحر الاسود فألقى العقد عليه والناس ينظرون اليه
فلما أتوه أخذوا العقد وقتلوا الاسود وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الحيلة
تجزى ما لا تجزى القوة قال كليلة ان الثور لو لم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول
ولكن له مع شدته وقوته حسن الرأى والعقل فماذا تستطيع له قال دمنة ان الثور لكما
ذكرت فى قوته ورأيه ولكن مقر لى بالفضل وأنا خليق ان اصرعه كما صرعت الارنب
الاسد قال كليلة وكيف كان ذلك قال دمنة زعموا ان أسدا كان فى ارض كثيرة
المياه والعشب وكان فى تلك الارض من الوحوش فى سعة المياه والمرعى شئ كثير
الا انه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الاسد فاجتمعت وأتت الى الاسد فقالت له انك
لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب وقد رأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنا فان
أنت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا فى كل يوم دابة نرسل بها اليك فى وقت غدائك فرضى
الاسد بذلك وصالح الوحوش عليه ووفين له به ثم ان أرنبا أصابتها القرعة وصارت غداء
الاسد فقالت للوحوش ان انتن رفقتن بى فيما لا يضركن رجوت ان أريحكن من
الاسد فقالت الوحوش وما الذى تكلفينا من الامور قالت تأمرن الذى ينطلق
بى الى الاسد أن يمهلنى ريثما أبطئ عليه بعض الابطاء فقلن لها ذلك لك فانطلقت

الارنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذى كان يتغدى فيه الاسد ثم تقدمت اليه
وحدها رويدا وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها من أين أقبلت قالت
أنا رسول الوحوش اليك بعثتنى ومعى أرنب لك فتبعنى أسد فى بعض تلك الطريق
فاخذها منى وقال انا أولى بهذه الارض وما فيها من الوحش فقلت ان هذا غداء
الملك أرسلت به الوحوش اليه فلا تغصبنه فسبك وشتمك فأقبلت مسرعة لاخبرك
فقال الاسد انطلقى معى فأرينى موضع هذا الاسد فانطلقت الارنب الى جب فيه ماء
غامر صاف فاطلعت فيه وقالت هذا المكان فاطلع الاسد فرأى ظله وظل الارنب
فى الماء فلم يشك فى قولها ووثب اليه ليقاتله فغرق فى الجب فانقلبت الارنب الى
الوحوش فاعلمتهن صنيعها بالاسد قال كليلة ان قدرت على هلاك الثور بشئ ليس
فيه مضرة للاسد فشأنك فان الثور قد أضر بى وبك وبغيرنا من الجند وان أنت لم
تقدر على ذلك الا بهلاك الاسد فلا تقدم عليه فانه غدر منى ومنك ثم ان دمنة ترك
الدخول على الاسد اياما كثيرة ثم اتاه على خلوة منه فقال له الاسد ما حبسك عنى
منذ زمان لم أرك ألخير كان انقطاعك قال دمنة خيرا فليكن أيها الملك قال الاسد
وهل حدث أمر قال دمنة حدث ما لم يكن الملك يريده ولا أحد من جنده قال وما ذاك
قال كلام فظيع قال أخبرنى به قال دمنة انه كلام يكرهه سامعه و يشجع
عليه قائله وانك أيها الملك لذو فضيلة ورأيك يدلك على انه يوجعنى ان أقول ما تكره
وأثق بك أن تعرف نصحى وايثارى اياك على نفسى وانه ليعرض لى انك غير
مصدقى فيما أخبرك به ولكنى اذا تذكرت ان نفوسنا معاشر الوحوش
متعلقة بك لم أجد بدا من أداء الحق الذى يلزمنى وان أنت لم تسألنى وخفت أن لا تقبل
منى فانه يقال من كتم السلطان نصيحته والاخوان رأيه فقد خان نفسه قال الاسد
فما ذاك قال دمنة حدثنى الامين الصدوق عندى ان شتربه خلا برؤوس جندك وقال
قد خبرت الاسد وبلوت رأيه ومكيدته وقوته فاستبان لى ان ذلك يؤول منه الى ضعف
وعجز وسيكون لى وله شأن من الشؤون فلما بلغنى ذلك علمت ان شتربه خوان غدار
وانك أكرمته الكرامة كلها وجعلته نظير نفسك وهو يظن انه مثلك وانك متى
زلت عن مكانك صار له ملكك ولا يدع جهدا الا بلغه فيك وقد كان يقال اذا عرف
الملك من الرجل انه قد ساواه فى المنزلة والحال فليصرعه فان لم يفعل به ذلك كان هو

المصروع وشتربه اعلم بالامور وأبلغ فيها والعاقل هو الذى يحتال للامر قبل تمامه ووقوعه فانك لا تأمن أن يكون ولا تستدركه فانه يقال الرجال ثلاثة حازم واحزم منه وعاجز فاحد الحازمين من اذا نزل به الامر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شعاعا ولم تهي به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه واحزم من هذا المتقدم ذو العدة الذى يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه اعظاما ويحتال له حيلة حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الامر قبل وقوعه وأما العاجز فهو في تردد وتمن وأمان حتى يهلك ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث قال الاسد وكيف كان ذلك قال دمنة زعموا ان غديرا كان فيه ثلاث سمكات كيسة وأكيس منها وعاجزة وكان ذلك الغدير بنجوة من الارض لا يكاد يقربه أحد وبقربه نهر جار فاتفق انه اجتاز بذلك النهر صيادان فابصرا الغدير فتواعدا أن يرجعا اليه بشباكهما فيصيدا مافيه من السمك فسمع السمكات قولهما فأما أكيسهن لما سمعت قولهما ارتابت بهما وتخوفت منهما فلم تعرج على شئ حتى خرجت من المكان الذى يدخل فيه الماء من النهر الى الغدير وأما الكيسة الاخرى فانها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء فاذا بهما قد سدا ذلك المكان فحينئذ قالت فرطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال وقلما تنجح حيلة العجلة والارهاق غير ان العاقل لا يقنط من منافع الرأى ولا ييأس على حال ولا يدع الرأى والجهد ثم انها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها فأخذها الصيادان فوضعاها على الارض بين النهر والغدير فوثبت الى النهر فنجت وأما العاجزة فلم تزل في اقبال وادبار حتى صيدت قال الاسد قد فهمت ذلك ولا أظن الثور يغشني ولا يرجو لى الغوائل وكيف يفعل ذلك ولم ير منى سوأ قط ولم أدع خيرا الا فعلته معه ولا أمنية الا بلغته اياها قال دمنة ان اللئيم لا يزال نافعا ناصحا حتى يرفع الى المنزلة التى ليس لها باهل فاذا بلغها التمس ما فوقها ولا سيما أهل الخيانة والفجور فان اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له الا من فرق فاذا استغنى وذهبت الهيبة عاد الى جوهره كذنب الكلب الذى يربط ليستقيم فلا يزال مستويا مادام مربوطا فاذا حل انحنى وتعوج كما كان واعلم ايها الملك انه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه

عما ينصحون له لم يجد رأيه كالمريض الذي يدع ما يبعث له الطبيب ويعمد الى ما يشتهيه
وحق على موازر السلطان أن يبالغ في التحضيض له على ما يزيد سلطانه قوة ويزينه
والكف عما يضره ويشينه وخير الاخوان والاعوان أقلهم مداهنة في النصيحة
وخير الاعمال احلاها عاقبة وخير النساء الموافقة لبعلها وخير الثناء ما كان على
أفواه الاخيار واشرف السلطان ما لم يخالطه بطر وخير الاخلاق أعونها على الورع
وقد قيل لو ان امرأ توسد النار وافترش الحيات كان أحق أن لا يهنئه النوم والرجل
اذا أحس من صاحبه بعداوة يريده بها لا يطمئن اليه وأعجز الملوك آخذهم بالهوينا
واقلهم نظرا في مستقبل الامور واشبههم بالفيل المغتلم الذي لا يلتفت الى شيء فان
احزنه امر تهاون به وان أضاع الامور حمل ذلك على قرنائه قال له الاسد لقد غلظت
في القول وقول الناصح مقبول محمول وان كان شتربه معاديا لي كما تقول فانه لا
يستطيع لي ضرا وكيف يقدر على ذلك وهو آكل عشب وأنا آكل لحم وانما هو لي
طعام وليس علي منه مخافة ثم ليس الى الغدر به سبيل بعد الأمان الذي جعلته له
وبعد اكرامي له وثنائي عليه وان غيرت ما كان مني وبدلته سفهت رأيي وجهلت
نفسي وغدرت بذمتي قال دمنة لا يغرنك قولك هو لي طعام وليس علي منه مخافة فان
شتربه ان لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره ويقال ان استضافك ضيف
ساعة من نهار وأنت لا تعرف اخلاقه فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن أن يصلك منه أو
بسببه ما أصاب القملة من البرغوث قال الاسد وكيف كان ذلك قال دمنة زعموا أن قملة
لزمت فراش رجل من الاغنياء دهرا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدب
دبيبا رفيقا فمكثت كذلك حينا حتى استضافها ليلة من الليالي برغوث فقالت له بت
الليلة عندنا في دم طيب وفراش لين فأقام البرغوث عندها حتى اذا آوى الرجل الى
فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته واطارت النوم عنه فقام الرجل وأمر
أن يفتش فراشه فنظر فلم ير الا القملة فأخذت فقصعت وفر البرغوث وانما ضربت
لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لا يسلم من شره أحد وان هو ضعف عن ذلك جاء
الشر بسببه وان كنت لا تخاف من شتربه فخف غيره من جندك الذين قد حملهم عليك
وعلى عداوتك فوقع في نفس الاسد كلام دمنة فقال فما الذي ترى اذا وعماذا تشير
قال دمنة ان الضرس لا يزال مأكولا ولا يزال صاحبه منه في ألم واذى حتى يفارقه

والطعام الذي قد عفن في البطن الراحة في قذفه والعدو المخوف دواؤه قتله قال الاسد
لقد تركتني اكره مجاورة شتربة اياي وانا مرسل اليه وذاكر له ما وقع في نفسي منه ثم
امره باللحاق حيث أحب فكره دمنة ذلك وعلم أن الاسد متى كلم شتربة في ذلك وسمع
منه جوابا عرف باطل ما أتى به واطلع على غدره وكذبه ولم يخف عليه أمره فقال للاسد
أما ارسالك الى شتربة فلا أراه لك رأيا ولا حزما فلينظر الملك في ذلك فان شتربة متى شعر
بهذا الامر خفت ان يعاجل الملك بالمكابرة وهو ان قاتلك قاتلك مستعدا وان فارقك
فارقك فراقا يلحقك منه النقص ويلزمك منه العار مع ان ذوي الرأي من الملوك
لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه ولكن لكل ذنب عندهم عقوبة فلذنب العلانية
عقوبة العلانية ولذنب السر عقوبة السر قال الاسد ان الملك اذا عاقب أحدا عن
ظنة ظنها من غير تيقن بجرمه فلنفسه عاقب واياها ظلم قال دمنة أما اذا كان هذا رأي
الملك فلا يدخلن عليك شتربة الا وأنت مستعد له واياك أن تصيبك منه غرة أو غفلة
فاني لا احسب الملك حين يدخل عليه الا سيعرف أنه قد هم بعظيمة ومن علامات ذلك
انك ترى لونه متغيرا وترى اوصاله ترعد وتراه ملتفتا يمينا وشمالا وتراه يهز قرنيه فعل
الذي هم بالنطاح والقتال قال الاسد سأكون منه على حذر وان رأيت منه خبرا
يدل على ما ذكرت علمت ان ما في أمره شك فلما فرغ دمنة من تحميل الاسد على
الثور وعرف أنه قد وقع في نفسه ما كان يلتمس وان الاسد سيتحذر الثور ويتهيأ له
أراد أن يأتي الثور ليغريه بالاسد واحب أن يكون اتيانه من قبل الاسد مخافة أن
يبلغه ذلك فيتأذى به فقال أيها الملك ألا آتي شتربة فأنظر الى حاله وامره واسمع
كلامه لعلي أطلع على سره فأطلع الملك على ذلك وعلى ما يظهر لي منه فأذن له الاسد في
ذلك فانطلق فدخل على شتربة كالكئيب الحزين فلما رآه الثور رحب به وقال ما كان
سبب انقطاعك عني فاني لم أرك منذ ايام ولعلك في سلامة قال دمنة ومتى كان من
أهل السلامة من لا يملك نفسه وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به ولا ينفك على خطر
وخوف حتى ما من ساعة تمر ويأمن فيها على نفسه قال شتربة وما الذي حدث قال دمنة
حدث ما قدر وهو كائن ومن ذا الذي غالب القدر ومن ذا الذي بلغ من الدنيا جسيما
من الامور فلم يبطر ومن ذا الذي بلغ مناه فلم يغتر ومن ذا الذي تبع هواه فلم يخسر
ومن ذا الذي حادث النساء فلم يصب بها ومن ذا الذي طلب من اللئام فلم يحرم ومن

ذا الذى خالط الاشرار فسلم ومن ذا الذى صحب السلطان فدام له منه الامن
والاحسان ولقد صدق الذى قال مثل السلاطين فى قلة وفائهم لمن صحبهم وسخاوة
أنفسهم عمن فقدوا من قرنائهم كمثل البغى كلما فقدت واحدا جاء آخر قال شتربه انى
أسمع منك كلاما يدل على أنه قد رابك من الاسد ريب وهالك منه أمر قال دمنه أجل
لقد رابنى منه ذلك وليس هو فى أمر نفسى قال شتربه ففى نفس من رابك قال دمنه
قد تعلم ما بينى وبينك وتعلم حقك على وما كنت جعلت لك من العهد والميثاق أيام
أرسلنى الاسد اليك فلم أجد بدا من حفظك واطلاعك على ما اطلعت عليه مما أخاف
عليك منه قال شتربه وما الذى بلغك قال دمنه حدثنى الخبير الصدوق الذى لا مرية فى
قوله ان الاسد قال لبعض أصحابه وجلسائه قد أعجبنى سمن الثور وليس لى الى حياته
حاجة فأنا آكله ومطعم أصحابى من لحمه فلما بلغنى هذا القول وعرفت غدره وسوء عهده
أقبلت اليك لاقضى حقك وتحتال أنت لامرك فلما سمع شتربه كلام دمنه وتذكر
ما كان دمنه جعل له من العهد والميثاق وفكر فى أمر الاسد ظن ان دمنه قد صدقه
ونصح له ورأى ان الامر شبيه بما قال دمنه فأهمه ذلك وقال ما كان للاسد ان يغدر بى
ولم آت اليه ذنبا ولا الى احد من جنده منذ صحبته ولا أظن الاسد الا قد حمل على
الكذب وشبه عليه أمرى فان الاسد قد صحبه قوم سوء وجرب منهم الكذب وأمورا
هى تصدق عنده ما بلغه من غيرهم فان صحبة الاشرار ربما أورثت صاحبها سوء ظن
بالاخيار وحملته تجربته على الخطا كخطا البطة التى زعموا أنها رأت فى الماء ضوء
كوكب فظنته سمكة فحاولت ان تصيدها فلما جربت ذلك مرارا علمت انه ليس بشئ
يصاد فتركته ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظنت أنها مثل الذى رأته الامس
فتركتها ولم تطلب صيدها فان كان الاسد بلغه عنى كذب فصدقه على وسمعه فى فما
جرى على غيرى يجرى على وان كان لم يبلغه شئ وأراد السوء بى من غير علة فان ذلك
لمن أعجب الامور وقد كان يقال ان من العجب كيف يطلب الرجل رضا صاحبه ولا
يرضى واعجب من ذلك ان يلتمس رضاه فيسخط فاذا كانت الموجدة عن علة كان
الرضا موجودا والعفو مأمولا واذا كانت عن غير علة انقطع الرجاء لان العلة اذا كانت
الموجودة فى ورودها كان الرضا مأمولا فى صدورها وقد نظرت فلا أعلم بينى وبين
الاسد جرما ولا صغير ذنب ولا كبيره ولعمرى ما يستطيع أحد طال صحبة صاحبه

أن يحترس في كل شيء من أمره ولا أن يتحفظ من ان يكون منه صغيرة أو كبيرة يكرهها
صاحبه ولكن الرجل ذا العقل وذا الوفاء اذا سقط عند صاحبه سقطة نظر فيها
وعرف قدر مبلغ خطئه عمدا كان أو خطأ ثم ينظر هل في الصفح أمر يخاف ضرره
وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشيء يجد فيه الى الصفح منه سبيلا فان كان الاسد قد اعتقد
ذنبا فلست أعلمه الا اني خالفته في بعض رأيه بطرا مني ونصيحة له فعسى أن يكون قد
أنزل أمري على الجراءة عليه والمخالفة له ولا أجد لي في هذا المحضر اثما الا اني لم أخالفه
في شيء الا ما قد ندر من مخالفة الرشد والمنفعة والدين ولم أجاهر بشيء من ذلك على رؤس
جنده وعند أصحابه ولكني كنت أخلو به وأكلمه سرا كلام الهائب الوقور وعلمت انه
من التمس الرخص من الاخوان عند المشاورة ومن الأطباء عند المرض ومن
الفقهاء عند الشبهة أخطأ منافع الرأي وازداد فيما وقع فيه من ذلك تورطا وحمل الوزر
وان لم يكن هذا فعسى أن يكون ذلك من بعض سكرات السلطان فان مصاحبة
السلطان خطرة وان صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة وان لم يكن هذا
فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لي فيه الهلاك وان لم يكن هذا ولا هذا فهو اذا من
مواقع القضاء والقدر الذي لا يدفع والقدر هو الذي يسلب الأسد قوته وشدته ويدخله
القبر وهو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل المغتلم وهو الذي يسلط على
الحية ذات الحمة من ينزع حمتها ويلعب بها وهو الذي يحزم العاجز ويثبط الشهم ويوسع
على المقتر ويشجع الجبان ويجبن الشجاع عندما تعتريه المقادير من العلل التي
وضعت عليها الاقدار قال دمنة ان ارادة الاسد بك ليست من تحميل الاشرار ولا
سكرة السلطان ولا غير ذلك ولكنها الغدر والفجور منه فانه فاجر خوان غدار لطعامه
حلاوة وآخره سم مميت قال شتربة فأراني قد استلذذت الحلاوة اذ ذقتها وقد انتهيت
الى آخرها الذي هو الموت ولولا الحين ما كان مقامي عند الاسد وهو آكل لحم وأنا
آكل عشب فأنا في هذه الورطة كالنحلة التي تجلس على ورق النيلوفر اذ تستلذ ريحه
وطعمه فتحبسها تلك اللذة فاذا جاء الليل ينضم عليها فترتبك فيه وتموت ومن لم يرض
من الدنيا بالكفاف الذي يغنيه وطمحت عينه الى ما سوى ذلك ولم يتخوف عاقبتها
كان كالذباب الذي لا يرضى بالشجر والرياحين ولا يقنعه ذلك حتى يطلب الماء
الذي يسيل من أذن الفيل فيضربه الفيل بآذانه فيهلكه ومن يبذل وده ونصيحته

ان لا يشكره فهو كمن يبذر فى السباخ ومن يشير على المعجب فكمن يشاور الميت أو يسارر الاصم قال دمنة دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك قال شتربة بأى شئ احتال لنفسى اذا أراد الاسد أكلى مع ما عرفتنى من رأى الاسد وسوء اخلاقه واعلم انه لو لم يرد بى الا خيرا ثم أراد أصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكى لقدروا على ذلك فانه اذا اجتمع المكرة الظلمة على البرىء الصحيح كانوا خلقاء أن يهلكوه وان كانوا ضعفاء وهو قوى كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة قال دمنة وكيف كان ذلك قال شتربة زعموا ان أسدا كان فى أجمة مجاور الطريق من طرق الناس وكان له أصحاب ثلاثة ذئب وغراب وابن آوى وان رعاة مروا بذلك الطريق ومعهم جمال فتخلف منها جمل فدخل تلك الاجمة حتى انتهى الى الاسد فقال له الاسد من أين أقبلت قال من موضع كذا قال فما حاجتك قال ما يأمرنى به الملك قال تقيم عندنا فى السعة والامن والخصب فأقام الاسد والجمل معه زمانا طويلا ثم ان الاسد مضى فى بعض الايام لطلب الصيد فلقى فيلا عظيما فقاتله قتالا شديدا وأفلت منه مثقلا مثخنا بالجراح يسيل منه الدم وقد خدشه الفيل بانيابه فلما وصل الى مكانه وقع لا يستطيع حراكا ولا يقدر على طلب الصيد فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياما لا يجدون طعاما لانهم كانوا يأكلون من فضلات الاسد وطعامه فأصابهم جوع شديد وهزال وعرف الاسد ذلك منهم فقال لقد جهدتم واحتجتم الى ما تأكلون فقالوا لا تهمنا انفسنا لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد ما يأكله ويصلحه قال الاسد ما اشك فى نصيحتكم ولكن انتشروا لعلكم تصيبون صيدا تأتونى به فيصيبنى ويصيبكم منه رزق فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الاسد فتنحوا ناحية وتشاوروا فيما بينهم وقالوا ما لنا ولهذا الآكل العشب الذى ليس شأنه من شأننا ولا رأيه من رأينا ألا نزين للاسد فيأكله ويطعمنا من لحمه قال ابن آوى هذا مما لا نستطيع ذكره للاسد لانه قد أمن الجمل وجعل له من ذمته عهدا قال الغراب انا أكفيكم امر الاسد ثم انطلق فدخل على الاسد فقال له الاسد هل أصبت شيئا قال الغراب انما يصيب من يسعى ويبصر واما نحن فلا سعى لنا ولا بصر لما بنا من الجوع ولكن قد وفقنا الرأى واجتمعنا عليه ان وافقنا الملك فنحن له مجيبون قال الاسد وما ذاك قال الغراب هذا الجمل آكل العشب المتمرغ بيننا من غير منفعة

لذا منته ولا ارد ما ثته ولا عمل يعقب مصلحة فلما سمع الاسد ذلك غضب وقال ما اخطأ
رأيك وما أعجز مقالتك وابعدك من الوفاء والرحمة وما كنت حقيقاً ان تجترئ على
هذه المقالة وتستقبلني بهذا الخطاب مع ما علمت من اني قد أمنت الجمل وجعلت له من
ذمتي أولم يبلغك انه لم يتصدق متصدق بصدقة هي أعظم أجرا ممن أمن نفسا خائفة
وحقن دما مهدرا وقد أمنته ولست بغادر به قال الغراب اني لا اعرف ما يقول الملك
ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت وأهل البيت تفتدى بهم القبيلة
والقبيلة يفتدى بها أهل المصر وأهل المصر فداء للملك وقد نزلت بالملك الحاجة وانا
أجعل له من ذمته مخرجا على ان لا يتكلف الملك ذلك ولا يليه بنفسه ولا يأمر به أحدا
ولكنا نحتال بحيلة لنا وله فيها اصلاح وظفر فسكت الاسد عن جواب الغراب عن هذا
الخطاب فلما عرف الغراب اقرار الاسد أتى أصحابه فقال لهم قد كلمت الاسد في اكله
الجمل على ان نجتمع نحن والجمل عند الاسد فنذكر ما اصابه ونتوجع له اهتماما منا
بامره وحرصا على صلاحه ويعرض كل واحد منا نفسه عليه تجملا ليأكله فيرد
الآخران عليه ويسفهان رأيه ويبينان الضرر في أكله فاذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا
ورضي الاسد عنا ففعلوا ذلك وتقدموا الى الاسد فقال الغراب قد احتجت أيها الملك
الى ما يقويك ونحن احق ان نهب أنفسنا لك فانا بك نعيش فاذا هلكت فليس لاحد
منا بقاء بعدك ولا لنا في الحياة من خيرة فليأكلني الملك فقد طبت بذلك نفسا فاجابه
الذئب وابن آوى ان اسكت فلا خير للملك في أكلك وليس فيك شبع قال ابن آوى
لكن أنا اشبع الملك فليأكلني فقد رضيت بذلك وطبت عنه نفسا فرد عليه الذئب
والغراب بقولهما انك لمنتن قذر قال الذئب اني لست كذلك فليأكلني الملك فقد
سمحت بذلك وطبت عنه نفسا فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا قد قالت الاطباء من
أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب فظن الجمل انه اذا عرض نفسه على الاكل التمسوا
له عذرا كما التمس بعضهم لبعض الاعذار فيسلم ويرضى الاسد عنه بذلك وينجو من
المهالك فقال لكن أنا في للملك شبع وري ولحمي طيب هني وبطني نظيف فليأكلني
الملك ويطعم أصحابه وخدمه فقد رضيت بذلك وطابت نفسي عنه وسمحت به فقال
الذئب والغراب وابن آوى لقد صدق الجمل وكرم وقال ما عرف ثم انهم وثبوا عليه
فمزقوه وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انه ان كان أصحاب الاسد قد اجتمعوا على

هلاكي

هلاكي فاني لست أقدر ان أمتنع منهم ولا احترس وان كان رأي الاسد لي على غير
ما هم عليه من الرأي في فلا ينفعني ذلك ولا يغني عني شيأ وقد يقال خير السلاطين
من عدل في الناس ولو ان الاسد لم يكن في نفسه لي الا الخير والرحمة لغيرته كثرة
الاقاويل فانها اذا كثرت لم تلبث دون أن تذهب الرقة والرأفة الا ترى أن الماء ليس
كالقول وان الحجر أشد من الانسان فالماء اذا دام انحداره على الحجر لم يلبث حتى يثقبه
ويؤثر فيه وكذلك القول في الانسان قال دمنه فماذا تريد أن تصنع الآن قال شتربه
ما أرى الا الاجتهاد والمجاهدة بالقتال فانه ليس للمصلي في صلاته ولا للمتصدق
في صدقته ولا للورع في ورعه من الاجر ما للمجاهد عن نفسه اذا كانت مجاهدته على
الحق قال دمنه لا ينبغي لاحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك ولكن ذا
الرأي جاعل القتال آخر الحيل وبادئ قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحل وقد قيل
لا تحقرن العدو الضعيف المهين ولا سيما اذا كان ذا حيلة ويقدر على الاعوان
فكيف بالاسد على جراءته وشدته فان من احتقر عدوه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل
البحر من الططوى قال شتربه وكيف كان ذلك قال دمنه زعموا ان طائرا من طيور
البحر يقال له الططوى كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له فلما جاء أوان
تفريخهما قالت الانثى للذكر لو التمسنا مكانا حريزا نفرخ فيه فاني أخشى من وكيل
البحر اذا مد الماء ان يذهب بفراخنا فقال لها افرخي مكانك فانه موافق لنا والماء
والزهر منا قريب قالت له يا غافل ليحسن نظرك فاني أخاف وكيل البحران يذهب
بفراخنا فقال لها افرخي مكانك فانه لا يفعل ذلك فقالت له ما أشد تعنتك اما تذكر
وعيده وتهدده اياك ألا تعرف نفسك وقدرك فأبى ان يطيعها فلما أكثرت عليه ولم
يسمع قولها قالت له ان من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع
قول البطتين قال الذكر وكيف كان ذلك قالت الانثى زعموا ان غديرا كان عنده
عشب وكان فيه بطتان وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة وصداقة
فاتفق ان غيض ذلك الماء فجاءت البطتان لوداع السلحفاة وقالتا السلام عليك فاننا
ذاهبتان عن هذا المكان لاجل نقصان الماء عنه فقالت انما يبين نقصان الماء على
مثلي التي كأني السفينة لا أقدر على العيش الا بالماء فاما أنتما فتقدران على العيش
حيث كنتما فاذهبا بي معكما قالتا لها نعم قالت كيف السبيل الى حملي قالتا نأخذ

بطرفي عود وتتعلقين بوسطه ونطير بك في الجو واياك اذا سمعت الناس يتكلمون
أن تنطقي ثم أخذتاها فطارتا بها في الجو فقال الناس عجب سلحفاة بين بطتين قد
حملتاها فلما سمعت ذلك قالت فقأ الله أعينكم أيها الناس فلما فتحت فاها بالنطق
وقعت على الارض فماتت قال الذكر قد سمعت مقالتك فلا تخافي وكيل البحر فلما مد
الماء وذهب بفراخهما فقالت الأنثى قد عرفت في بدء الامر أن هذا كائن قال الذكر
سوف أنتقم منه ثم مضى الى جماعة الطير فقال لهن انكن اخواتي وثقاتي فأعنني قلن
ماذا تريد أن نفعل قال تجتمعن وتذهبن معي الى سائر الطير فنشكوا اليهن ما لقيت
من وكيل البحر ونقول لهن انكن طير مثلنا فأعننا فقلن له جماعة الطير ان العنقاء هي
سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا اليها حتى نصيح بها فتظهر لنا فنشكوا اليها ما نالك
من وكيل البحر ونسألها أن تنتقم لنا منه بقوة ملكها ثم انهن ذهبن اليها مع الطيطوى
فاستغثنها وصحن بها فتراءت لهن فأخبرنها بقصتهن وسألنها أن تصير معهن الى محاربة
وكيل البحر فأجابتهن الى ذلك فلما علم وكيل البحر أن العنقاء قد قصدته في جماعة
الطير خاف من محاربة ملك لا طاقة له به فرد فراخ الطيطوى وصالحه فرجعت العنقاء
عنه وانما حدثتك بهذا الحديث لتعلم أن القتال مع الاسد لا أراه لك رأيا قال شتربه
فما أنا بمقاتل الاسد ولا ناصب له العداوة سرا ولا علانية ولا متغير له عما كنت عليه
حتى يبدو لي منه ما أتخوف فأغالبه فكره دمنة قوله وعلم ان الاسد ان لم ير من الثور
العلامات التي كان ذكرها له أتهمه وأساء به الظن فقال دمنة لشتربه اذهب الى
الاسد فستعرف حين ينظر اليك ما يريد منك قال شتربه وكيف أعرف ذلك قال دمنة
سترى الاسد حين تدخل عليه مقعيا على ذنبه رافعا صدره اليك مادا بصره نحوك
قد صر اذنيه وفغر فاه واستوى للوثبة قال شتربه ان رأيت هذه العلامات من الاسد
عرفت صدقك في قولك ثم ان دمنة لما فرغ من تحميل الاسد على الثور والثور على
الاسد توجه الى كليلة فلما التقيا قال كليلة الى م انتهى عملك الذي كنت فيه قال
دمنة قريبا من الفراغ على ما أحب وتحب ثم ان كليلة ودمنة انطلقا جميعا ليحضرا
قتال الاسد والثور وينظرا ما يجري بينهما ويعاينا ما يؤول اليه أمرهما وجاء شتربه
فدخل على الاسد فرآه مقعيا كما وصفه له دمنة فقال ما صاحب السلطان الا كصاحب
الحية التي في مبيته ومقيله فلا يدري متى تهيج به ثم ان الاسد نظر الى الثور فرأى

الدلالات التي ذكرها له دمنة فلم يشك أنه جاء لقتاله فواثبه ونشأ بينهما الحرب واشتد
قتال الثور والأسد وطال وسالت بينهما الدماء فلما رأى كليلة أن الأسد قد بلغ منه
ما بلغ قال لدمنة اغشا السلطان بأصحابه والبحر بأمواجه وما عظتي وتأديبي إياك إلا
كما قال الرجل للطائر لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم ولا تعالج تأديب من لا يتأدب قال
دمنة وكيف كان ذلك قال كليلة زعموا أن جماعة من القردة كانوا سكانا في جبل
فالتمسوا في ليلة باردة ذات رياح وأمطار نارا فلم يجدوا فرأوا يراعة تطير كأنها شرارة
نار فظنوها نارا وجمعوا حطبا كثيرا فألقوه عليها وجعلوا ينفخون طمعا أن يوقدوا
نارا يصطلون بها من البرد وكان قريبا منهم طائر على شجرة ينظرون إليه وينظر
إليهم وقد رأى ما صنعوا فجعل يناديهم ويقول لا تتعبوا فإن الذي رأيتموه ليس بنار
فلما طال ذلك عليه عزم على القرب منهم لينهاهم عما هم فيه فمر به رجل فعرف ما عزم
عليه فقال له لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم فإن الحجر المانع الذي لا ينقطع لا تجرب
عليه السيوف والعود الذي لا ينحني لا يعمل منه القوس فلا تتعب فأبى الطائر أن
يطيعه وتقدم إلى القردة ليعرفهم أن اليراعة ليست بنار فتناوله بعض القردة فضرب
به الأرض فمات فهذا مثلي معك في ذلك ثم قد غلب عليك الخب والفجور وهما
خلتا سوء والخب شرهما عاقبة وهذا مثل قال دمنة وما ذلك المثل قال كليلة زعموا أن
خبا ومغفلا اشتركا في تجارة وسافرا فبينما هما في الطريق إذ تخلف المغفل لبعض
حاجته فوجد كيسا فيه ألف دينار فأخذه فأحس به الخب فرجعا إلى بلدهما حتى إذا
دنيا من المدينة قعدا لاقتسام المال فقال المغفل خذ نصفها وأعطني نصفها وكان الخب
قد قرر في نفسه أن يذهب بالألف جميعها فقال له لا نقتسم فإن الشركة والمفاوضة
أقرب إلى الصفاء والمخالطة ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها وندفن الباقي في أصل هذه
الشجرة فهو مكان حريز فإذا احتجنا جئنا أنا وأنت فنأخذ حاجتنا منه ولا يعلم بموضعه
أحد فأخذا منها يسيرا ودفنا الباقي في أصل دوحة ودخلا البلد ثم إن الخب خالف
المغفل إلى الدنانير فأخذها وسوى الأرض كما كانت وجاء المغفل بعد ذلك بأشهر فقال
للخب قد احتجت إلى نفقة فانطلق بنا نأخذ حاجتنا فقام الخب معه وذهبا إلى المكان
فحفرا فلم يجدا شيئا فأقبل الخب على وجهه يلطمه ويقول لا تغتر بصحبة صاحب خالفني
إلى الدنانير فأخذها فجعل المغفل يحلف ويلعن آخذها ولا يزداد الخب إلا شدة في

الظلم وقال ما أخذها غيرك وهل شعر بها أحد سواك ثم طال ذلك بينهما فترافعا الى القاضي فاقتص القاضي قصتهما فادعى الخب ان المغفل اخذها وجحد المغفل فقال للخب ألك على دعواك بينة قال نعم الشجرة التي كانت الدنانير عندها تشهد لي ان المغفل أخذها وكان الخب قد أمر أباه ان يذهب فيتوارى في الشجرة بحيث اذا سئلت أجاب فذهب أبو الخب فدخل جوف الشجرة ثم ان القاضي لما سمع ذلك من الخب أكبره وانطلق هو وأصحابه والخب والمغفل معه حتى وافى الشجرة فسألها عن الخبر فقال الشيخ من جوفها نعم المغفل أخذها فلما سمع القاضي ذلك اشتد تعجبه فدعا بحطب وأمر ان تحرق الشجرة فأضرمت حولها النيران فاستغاث أبو الخب عند ذلك فأخرج وقد أشرف على الهلاك فسأله القاضي عن القصة فأخبره بالخبر فأوقع بالخب ضربا وبأبيه صفعا وأركبه مشهورا وغرم الخب الدنانير فأخذها واعطاها المغفل وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الخب والخديعة ربما كان صاحبهما هو المغبون وانك يا دمنة جامع للخب والخديعة والفجور واني أخشى عليك ثمرة عملك مع انك لست بناج من العقوبة لانك ذو لونين ولسانين وانما عذوبة ماء الانهار مالم تبلغ الى البحار وصلاح أهل البيت مالم يكن فيهم المفسد وانه لا شيء اشبه بك من الحية ذات اللسانين التي فيها السم فانه قد يجري من لسانك كسمها واني لم ازل لذلك السم من لسانك خائفا ولما يحل بك متوقعا والمفسد بين الاخوان والاصحاب كالحية يربيها الرجل ويطعمها ويمسحها ويكرمها ثم لا يكون له منها غير اللدغ وقد يقال الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل اليهما واياك ومفارقتهما واصحب الصاحب اذا كان عاقلا كريما أو عاقلا غير كريم فالعاقل الكريم كامل والعاقل غير الكريم اصحبه وان كان غير محمود الخليقة واحذر من سوء اخلاقه وانتفع بعقله والكريم غير العاقل الزمه ولا تدع مواصلته وان كنت لا تحمد عقله وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك والفرار كل الفرار من اللئيم الاحمق واني بالفرار منك لجدير وكيف يرجو اخوانك عندك كرما وودا وقد صنعت بملكك الذي أكرمك وشرفك ما صنعت وان مثلك مثل التاجر الذي قال ان أرضا تأكل جرذانها مائة من حديد ليس بمستنكر ان بزاتها ان تختطف الافيلة قال دمنة وكيف كان ذلك قال كليلة زعموا أنه كان بأرض كذا تاجر فأراد الخروج الى بعض الوجوه لابتغاء الرزق وكان عنده مائة من حديد

فاودعها رجلا من اخوانه وذهب فى وجهه ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتمس الحديد فقال له انه قد اكلته الجرذان فقال قد سمعت انه لا شىء اقطع من انيابها للحديد ففرح الرجل بتصديقه على ماقال وادعى ثم ان التاجر خرج فلقى ابنا للرجل فاخذه وذهب به الى منزله ثم رجع اليه الرجل من الغد فقال له هل عندك علم بابنى فقال له التاجر انى لما خرجت من عندك بالامس رأيت بازيا قد اختطف صبيا ولعله ابنك فلطم الرجل على رأسه وقال يا قوم هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تختطف الصبيان فقال نعم وان ارضا تأكل جرذانها مائة من حديد ليس بعجب أن تختطف بزاتها الافيلة قال له الرجل انا اكلت حديدك وهذا ثمنه فاردد على ابنى وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انك اذا غدرت بصاحبك لا شك عن سواه اغدر وانه اذا صاحب أحد صاحبا وغدر عن سواه فقد علم صاحبه انه ليس عنده للمودة موضع فلا شىء اضيع من مودة تمنح من لا وفاء له وحباء يصطنع عند من لا شكر له وادب يحمل الى من لا يتأدب به ولا يسمعه وسر يستودع عند من لا يحفظه فان صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا واذا مرت بالنتن حملت نتنا وقد طال وثقل كلامى عليك فانتهى كليله من كلامه الى هذا المكان وقد فرغ الاسد من الثور ثم فكر فى قتله بعد ان قتله وذهب عنه الغضب وقال لقد فجعنى شتربه بنفسه وقد كان ذا عقل ورأى وخلق كريم ولا أدرى لعله كان بريئا أو مكذوبا عليه فحزن وندم على ما كان منه وتبين ذلك فى وجهه وبصر به دمنه فترك محاورة كليله وتقدم الى الاسد فقال له ليهنك الظفر اذا أهلك الله أعداءك فما ذا يحزنك أيها الملك قال انا حزين على عقل شتربه ورأيه وادبه قال له دمنه لا ترحمه أيها الملك فان العاقل لا يرحم من يخافه وان الرجل الحازم ربما ابغض الرجل وكرهه ثم قربه وادناه لما يعلم عنده من الغنى والكفاية فعل الرجل المتكاره على الدواء الشنيع رجاء منفعته وربما أحب الرجل وعز عليه فأقصاه واهلكه مخافة ضرره كالذى تلدغه الحية فى أصبعه فيقطعها ويتبرأ منها مخافة ان يسرى سمها الى بدنه فرضى الاسد بقول دمنه ثم علم بعد ذلك بكذبه وغدره وفجوره فقتله شر قتلة * انقضى باب الاسد والثور

(باب الفحص عن امر دمنه)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد حدثتني عن الواشي الماهر بالمحال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين فحدثني حينئذ بما كان من حال دمنه وما آل أمره اليه بعد قتل شتربه وما كان من معاذيره عند الاسد واصحابه حين راجع الاسد رأيه في الثور وتحقق النميمة من دمنه وما كانت حجته التي احتج بها قال الفيلسوف انا وجدت في حديث دمنه ان الاسد حين قتل شتربه ندم على قتله وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته وانه كان أكرم أصحابه عليه واخصهم منزلة لديه وأقربهم وادناهم اليه وكان يواصل به المشورة دون خواصه وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر فاتفق انه أمسى النمر ذات ليلة عند الاسد فخرج من عنده جوف الليل يريد منزله فاجتاز على منزل كليله ودمنه فلما انتهى الى الباب سمع كليله يعاتب دمنه على ما كان منه ويلومه على النميمة واستعماله الخديعة مع الكذب والبهتان في حق الخاصة وعرف النمر عصيان دمنه وترك القبول له فوقف يستمع ما يجري بينهما فكان فيما قال كليله لدمنه لقد ارتكبت مركبا صعبا ودخلت مدخلا ضيقا وجنيت على نفسك جناية موبقة وعاقبتها وخيمة وسوف يكون مصرعك شديدا اذا انكشف للاسد امرك واطلع عليه وعرف غدرك ومحالك وبقيت لا ناصر لك فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة شرك وحذرا من غوائلك فلست بمتخذك بعد اليوم خليلا ولا مفش اليك سرا لان العلماء قد قالوا تباعد عمن لا رغبة فيه وانا جدير بمباعدتك والتماس الخلاص لنفسي مما وقع في نفس الاسد من هذا الامر فلما سمع النمر هذا من كلامهما ذهب راجعا فدخل على أم الاسد فأخذ عليها العهود والمواثيق أنها لا تفشي ما يسر اليها فعاهدته على ذلك فأخبرها بما سمع من كلام كليله ودمنه فلما أصبحت دخلت على الاسد فوجدته كئيبا حزينا مهموما لما ورد عليه من قتل شتربه فقالت له ما هذا الهم الذي قد أخذ منك وغلب عليك قال يحزنني قتل شتربه اذ تذكرت صحبته ومواظبته على خدمتي وما كنت أسمع من نصحه واسكن اليه من مشاورته وأقبل من مناصحته فقالت أم الاسد ان أشد ما شهد امرؤ على نفسه وهذا خطأ عظيم كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين ولولا ما قالت العلماء في اذاعة الاسرار وما فيها من الاثم والشنار لذكرت لك واخبرتك بما علمت قال الاسد ان أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان مختلفة واني لاعلم صواب ما تقولين وان كان

عندك رأى فلا تطويه عنى وان كان قد أسر اليك أحد سرا فأخبرينى به واطلعينى
عليه وعلى جملة الامر فأخبرته بجميع ما ألقاه اليها النمر من غير أن تخبره باسمه وقالت
انى لم أجهل قول العلماء فى تعظيم العقوبة وتشديدها وما يدخل على الرجل من العار
فى اذاعة الاسرار ولكنى أحببت ان أخبرك بما فيه المصلحة لك وان وصل خطؤه
وضرره الى العامة فاصرارهم على خيانة الملك مما لا يدفع الشر عنهم وبه تتجرأ السفهاء
ويستحسنون ما يكون من أعمالهم القبيحة وأشد مضارهم أقدامهم على ذى الحزم فلما
قضت أم الاسد هذا الكلام استدعى أصحابه وجنده فدخلوا عليه فلما وقف دمنة
بين يدى الاسد ورأى ما هو عليه من الحزن والكآبة التفت الى بعض الحاضرين
فقال ما الذى حدث وما الذى أحزن الملك فالتفتت أم الاسد اليه وقالت قد أحزن الملك
بقاؤك ولو طرفة عين ولن يدعك بعد اليوم حيا قال دمنة ما ترك الاول للآخر شيأ
لانه يقال أشد الناس فى توقى الشر يصيبه الشر قبل المستسلم فلا يكونن الملك وخاصته
وجنوده المثل السوء وقد علمت أنه قد قيل من صحب الاشرار وهو يعلم حالهم كان أذاه
من نفسه ولذلك انقطعت النساك بأنفسها عن الخلق واختارت الوحدة على المخالطة
وحب العمل لله على حب الدنيا وأهلها ومن يجزى بالخير خيرا وبالاحسان احسانا
الا الله ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقا أن يحظى بالحرمان اذ
يخطئ الصواب فى خلوص العمل لغير الله وطلب الجزاء من الناس وان أحق ما رغبت
فيه رعية الملك محاسن الاخلاق ومواقع الصواب وجميل السير وقد قالت العلماء
من صدق ما ينبغى أن يكذب وكذب ما ينبغى ان يصدق أصابه ما أصاب المرأة التى
بذلت نفسها لعبدها حتى فضحها بالتلبيس عليها قال الاسد وكيف كان ذلك قال دمنة
زعموا انه كان فى بعض المدن تاجر وكانت له امرأة ذات حسن وجمال وكان بجنب
التاجر رجل مصور ماهر وكان هو لامرأة التاجر خليلا فقالت له يوما ان استطعت
ان تحتال بحيلة اعلم بها بمجيئك من غير نداء ولا ايماء ولا ما يرتاب به من فعلك وفعلى
قال المصور عندى من الحيلة ما سألت مما يسرك ويقر عينك ان عندى ملاءة فيها من
تهاويل الصور وتماثيل الصنعة فأنا ألبسها حين مجيئى اليك وستراك فيها ثم ان
المصور لبس الملاءة وتراءى للمرأة فعلمت بمكانه فخرجت اليه وفرحت به وتهيأت له
فبصر بهما فى تلك الحالة عبد للمرأة فعجب من ذلك وتحير وكان هذا العبد لامة المصور

خليلا لا فطلب الملاءة منها وسألها ذلك وقال أريد ان أريها صديقا لى لا سره بذلك
وأسرع الكرة بردها قبل أن يعلم به مولاك فأعطته أمة المصور الملاءة فلبسها العبد
وأتى سيدته على نحو ما كان يأتيها المصور فلما رأته لم تشك فى مجيئه ولم ترتب فى أنه
خليلها فأتت اليه وبذلت له نفسها فقضى حاجته منها وبلغ غرضه ثم رجع بالملاءة
الى أمة المصور فدفعها اليها فوضعتها موضعها وكان المصور من بيته غائبا فلما جن
الليل عاد الى منزله فلبس الملاءة على عادته وتراءى للمرأة فلما شاهدت ذلك وثبت اليه
وقالت لقد أسرعت الكرة ألم تكن عندى وقد قضيت حاجتك فما هذا العود فلما سمع
المصور كلامها رجع الى منزله فدعا جاريته فأوعدها بالقتل أو تخبره بالحقيقة
فأخبرته بالقصة فأخذ الملاءة فأحرقها وانما ضربت لك هذا المثل ارادة أن لا يعجل
الملك فى أمرى بشبهة ولست أقول هذا كراهة للموت فانه وان كان كريها فلا محيد منه
وكل حى هالك ولو كانت لى مائة نفس واعلم ان هوى الملك فى اتلافهن طبت له بذلك
نفسا فقال بعض الجند لم ينطق بهذا لحبه الملك ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر
لها فقال له دمنة ويلك وهل على فى التماس العذر لنفسى عيب وهل احد اقرب الى
الانسان من نفسه واذا لم يلتمس لها العذر فمن يلتمسه لقد ظهر منك ما لم تكن تملك
كتمانه من الحسد والبغضاء ولقد عرف من سمع منك أنك لا تحب لاحد خيرا وانك
عدو نفسك فمن سواها بالاولى فمثلك لا يصلح أن يكون مع البهائم فضلا عن أن يكون مع
الملك وأن يكون ببابه فلما أجابه دمنة بذلك خرج مكتئبا حزينا مستحيا فقالت أم الاسد
لدمنة لقد عجبت منك أيها المحتال فى قلة حيائك وكثرة وقاحتك وسرعة جوابك لمن
كلمك قال دمنة لانك تنظرين الى بعين واحدة وتسمعين منى باذن واحدة مع ان شقاوة
جدى قد زوت عنى كل شىء حتى لقد سعوا الى الملك بالنميمة على ولقد صار من بباب
الملك لاستخفافه بهم وطول كرامته اياهم وما هم فيه من العيش والنعمة لا يدرون
فى أى وقت ينبغى لهم الكلام ولا متى يجب عليهم السكوت قالت الا تنظرون الى هذا
الشقى مع عظم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئا كمن لا ذنب له قال دمنة ان الذين يعملون
غير أعمالهم ليسوا على شىء كالذى يضع الرماد موضع ما ينبغى أن يضع فيه الرمل ويستعمل
فيه السرجين والرجل الذى يلبس لباس المرأة والمرأة التى تلبس لباس الرجل
والضيف الذى يقول أنا رب البيت والذى ينطق بين الجماعة بما لا يسأل عنه وانما

الشقي من لا يعرف الامور ولا أحوال الناس ولا يقدر على دفع الشر عن نفسه ولا
يستطيع ذلك قالت أم الاسد أتظن أيها الغادر المحتال بقولك هذا انك تخدع الملك
ولا يسجنك قال دمنة الغادر الذي لا يأمن عدوه مكره واذا استمكن من عدوه قتله
على غير ذنب قالت أم الاسد أيها الغادر الكذوب أتظن انك ناج من عاقبة كذبك
وأن محالك هذا ينفعك مع عظم جرمك قال دمنة الكذوب الذي يقول ما لم يكن ويأتي
بما لم يقل ولم يفعل وكلامي واضح مبين قالت أم الاسد العلماء منكم هم الذين
يوضحون أمره بفصل الخطاب ثم نهضت فخرجت فدفع الاسد دمنة الى القاضي فأمر
القاضي بحبسه فالقي في عنقه حبل وانطلق به الى السجن فلما انتصف الليل أخبر كليلة
أن دمنة في الحبس فأتاه مستخفيا فلما رآه وما هو عليه من ضيق القيود وحرج المكان
بكى وقال له ما وصلت الى ما وصلت اليه الا لاستعمالك الخديعة والمكر واضرابك
عن العظة ولكن لا بد لي فيما مضى من انذارك والنصيحة لك والمسارعة اليك في
خلوص الرغبة فيك فانه لكل مقام مقال ولكل موضع مجال ولو كنت قصرت في
عظتك حين كنت في عافية لكنت اليوم شريكك في ذنبك غير ان العجب دخل منك
مدخلا قهر رأيك وغلب على عقلك وكنت أضرب الامثال كثيرا وأذكرك قول
العلماء وقد قالت العلماء ان المحتال يموت قبل أجله قال دمنة قد عرفت صدق مقالتك
وقد قالت العلماء لا تجزع من العذاب اذا وقفت منك على خطيئة ولأن تعذب في
الدنيا بجرمك خير من أن تعذب في الآخرة بجهنم مع الاثم قال كليلة قد فهمت كلامك
ولكن ذنبك عظيم وعقاب الاسد شديد أليم وكان بقربهما في السجن فهد معتقل
يسمع كلامهما ولا يريانه فعرف معاتبة كليلة لدمنة على سوء فعله وما كان منه وان
دمنة مقر بسوء عمله وعظيم ذنبه فحفظ المحاورة بينهما وكتمها ليشهد بها ان سئل عنها
ثم ان كليلة انصرف الى منزله ودخلت أم الاسد حين اصبحت على الاسد فقالت له
يا سيد الوحوش حوشيت ان تنسى ما قلت بالامس وانك أمرت به لوقته وأرضيت به
رب العباد وقد قالت العلماء لا ينبغي للانسان أن يتوانى في الجد للتقوى بل ولا ينبغي
أن يدافع عن ذنب الاثيم فلما سمع الاسد كلام أمه امر ان يحضر النمر وهو صاحب
القضاء فلما حضر قال له ولجواش العادل اجلسا في موضع الحكم ونادوا في الجند صغيرهم
وكبيرهم أن يحضروا وينظروا في حال دمنة ويبحثوا عن شأنه ويفحصوا عن ذنبه

ويثبتوا قوله وعذره فى كتب القضاة وارفعا الى ذلك يوما فيوما فلما سمع النمر وجواش
العادل وكان هذا الجواش عم الاسد قالا سمعا وطاعة لما أمر الملك وخرجا من عنده
فعملا بمقتضى ما أمرهما به حتى اذا مضى من اليوم الذى جلسوا فيه ثلاث ساعات
أمر القاضى أن يؤتى بدمنه فأتى به فأوقف بين يديه والجماعات حضور فلما استقر به
المكان نادى سيد الجمع بأعلى صوته أيها الجمع انكم قد علمتم ان سيد السباع لم يزل
منذ قتل شتربه خاسر النفس كثير الهم والحزن يرى انه قتل شتربه بغير ذنب وانه أخذه
بكذب دمنه ونميمته وهذا القاضى قد أمر ان يجلس مجلس القضاء ويبحث عن شأن
دمنه فمن علم منكم شيئا فى أمر دمنه من خير أو شر فليقل ذلك وليتكلم به على رؤس
الجمع والاشهاد ليكون القضاء فى أمره بحسب ذلك فاذا استوجب القتل فالتثبت
فى أمره أولى والعجلة من الهوى ومتابعة الاصحاب على الباطل ذل فعند ذلك قال
القاضى أيها الجمع اسمعوا قول سيدكم ولا تكتموا ما عرفتم من أمره واحذروا فى
الستر عليه ثلاث خصال أما احداهن وهى أفضلهن لا تزدروا فعله ولا تعدوه يسيرا
فمن أعظم الخطايا قتل البرىء الذى لا ذنب له بالكذب والنميمة ومن علم من أمر هذا
الكذاب الذى أتهم البرىء بكذبه ونميمته شيئا فستر عليه فهو شريكه فى الاثم والعقوبة
والثانية اذا اعترف المذنب بذنبه كان أسلم له والاحرى للملك وجنده ان يعفوا
عنه ويصفحوا والثالثة ترك مراعاة أهل الاثم والفجور وقطع أسباب مواصلاتهم
ومودتهم من الخاصة والعامة فمن علم من أمر هذا المحتال شيئا فليتكلم به على رؤس
الاشهاد ممن حضر ليكون ذلك حجة وقد قيل انه من كتم شهادة ميت ألجم بلجام من نار
يوم القيامة فليقل كل واحد منكم ما علم فلما سمع ذلك الجمع كلامه أمسكوا عن القول
فقال دمنه ما يسكتكم تكلموا بما علمتم واعلموا أن لكل كلمة جوابا وقد قالت
العلماء من يشهد بما لم ير ويقول ما لا يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذى قال لما لا يعلمه
انى أعلمه قالت الجماعة وكيف كان ذلك قال دمنه زعموا انه كان فى بعض المدن
طبيب له رفق وعلم وكان ذا فطنة فيما يجرى على يديه من المعالجات فكبر ذلك الطبيب
وضعف بصره وكان لملك تلك المدينة ابنة فزوجها لابن أخ له فعرض لها ما يعرض
للحوامل من الاوجاع فجىء بهذا الطبيب فلما حضر سأل الجارية عن وجعها وما تجد
فأخبرته فعرف داءها ودواءها وقال لو كنت أبصر لجمعت الاخلاط على معرفتى

باجناسها

باجناسها ولا أثق فى ذلك باحد غيرى وكان فى المدينة رجل سفيه فبلغه الخبر فأتاهم وادعى علم الطب وأعلمهم انه خبير بمعرفة اخلاط الادوية والعقاقير عارف بطبائع الأدوية والمركبة والمفردة فأمره الملك أن يدخل خزانة الادوية فيأخذ من اخلاط الدواء حاجته فلما دخل السفيه الخزانة وعرضت عليه الادوية ولا يدرى ماهى ولا له بها معرفة فأخذ فى جملة ما أخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته وخلطه فى الادوية ولا علم له به ولا معرفة عنده بجنسه فلما تمت اخلاط الادوية سقى الجارية منه فماتت لوقتها فلما عرف الملك ذلك دعا بالسفيه فسقاه من ذلك الدواء فمات من ساعته وانما ضربت لكم هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الزلة بالشبهة فى الخروج من الحد فمن خرج منكم عن حده أصابه ما أصاب ذلك الجاهل ونفسه الملومة وقد قالت العلماء عما يجزى المتكلم بقوله والكلام بين أيديكم فانظروا لانفسكم فتكلم سيد الخنازير لادلاله وتيه بمنزلته عند الاسد فقال يا أهل الشرف من العلماء اسمعوا مقالتى وعوا باحلامكم كلامى فالعلماء قالوا فى شأن الصالحين انهم يعرفون بسيماهم وأنتم معاشر ذوى الاقتدار بحسن صنع الله لكم وتمام نعمته لديكم تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون الشئ الكبير بالشئ الصغير وههنا أشياء كثيرة تدل على هذا الشقى دمنه وتخبر عن شره فاطلبوها على ظاهر جسمه لتستيقنوا وتسكنوا الى ذلك قال القاضى لسيد الخنازير قد علمت وعلم الجماعة الحاضرون انك عارف بما فى الصور من علامات السوء ففسر لنا ما تقول وأطلعنا على ماترى فى صورة هذا الشقى فاخذ سيد الخنازير يذم دمنه وقال ان العلماء قد كتبوا وأخبروا انه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمنى وهى لاتزال تختلج وكان أنفه مائلا الى جنبه الايمن فهو شقى خبيث جامع للخبث والفجور فلما سمع دمنه ذلك قال ما مثلك الا مثل رجل قال لامرأته انظرى الى عورتك وبعد ذلك انظرى الى عورة غيرك قال وكيف كان ذلك قال دمنه زعموا ان مدينة اغار عليها العدو فقتل وسبى وغنم وانطلق الى بلاده فاتفق انه كان مع جندى مما وقع فى قسمته رجل حراث ومعه امرأتان له وكان هذا الجندى يسىء اليهم فى الطعام واللباس فذهب الحراث ذات يوم ومعه امرأتان يحتطبون للجندى وهم عراة فاصابت احدى المرأتين فى طريقها خرقة بالية فوضعتها على سوأتها ثم قالت لزوجها الا تنظر الى هذه الفاعلة كيف لا تستحى وتستر عورتها

فقال لها زوجها أولا بدأت بالنظر الى نفسك وان جعلت ما ذكرته لما عيرت صاحبتك بما
هو بعينه فيك وشأنك عجب أيها القذر ذو العلامات الفاضحة القبيحة ثم العجب من
جراءتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما بجسمك من القذر والقبح ومع ما تعرفه
أنت ويعرفه غيرك من عيوب نفسك أفتتكلم في النقي الجسم الذي لا عيب فيه
ولست أنا وحدي أطلع على عيبك لكن جميع من حضر قد عرف ذلك وقد كان يحجزني
عن اظهاره ما بيني وبينك من الصداقة فاما اذ قد كذبت علي وبهتني في وجهي وقت
بعداوتي فقلت ما قلت في بغير علم على رؤس الحاضرين فاني أقتصر على اظهار ما
أعرف من عيوبك وتعرفه الجماعة وحق على من عرفك حق معرفتك ان يمنع الملك
من استعماله اياك على طعامه فلو كلفت ان تعمل الزراعة لكنت جديرا بالخذلان
فيها فالاحرى بك ان لا تدنو الى عمل من الاعمال وان لا تكون دباغا ولا حجاما للعامي
فضلا عن خاص خدمة الملك قال سيد الخنازير أتقول لي هذه المقالة وتلقاني بهذا الملق
قال دمنة نعم وحقا قلت فيك وإياك أعني أيها الأعرج المكسور الذي في أسته
الناسور الأفدع الرجل المنفوخ البطن البادي الخصيتين الأفلح الشفتين السيء
المنظر والمخبر فلما قال ذلك دمنة تغير وجه سيد الخنازير واستعبر واستحى وتلجلج
لسانه واستكان وفتر نشاطه فقال دمنة حين رأى انكساره وبكاءه انما ينبغي ان
يطول بكاؤك اذا اطلع الملك على قذرك وعيوبك فعزلك عن طعامه وحال بينك وبين
خدمته وأبعدك عن حضرته ثم ان شعهرا كان الاسد قد جربه فوجد فيه أمانة وصدقا
فرتبه في خدمته وأمره ان يحفظ ما يجري بينهم ويطلعه على ذلك فقام الشعهر فدخل
على الاسد فحدثه بالحديث كله على جليته فأمر الاسد بعزل سيد الخنازير عن عمله
وأمر ان لا يدخل عليه ولا يرى وجهه وأمر بدمنة ان يسجن وقد مضى من النهار
أكثره وجميع ما جرى وقالوا وقال قد كتب وختم عليه بخاتم النمر ورجع كل واحد
منهم الى منزله ثم ان شعهرا كان يقال له روزبه كان بينه وبين كليلة اخاء ومودة وكان
عند الاسد وجيها وعليه كريما واتفق ان كليلة أخذه الوجد اشفاقا وحذرا على نفسه
وأخيه فمرض ومات فانطلق هذا الشعهر الى دمنة فاخبره بموت كليلة فبكى وحزن
وقال ما أصنع بالدنيا بعد مفارقة الاخ الصفي ولكن أحمد الله تعالى حيث لم يمت كليلة
حتى أبقى لي من ذوي قرابتي أخا مثلك فاني قد وثقت بنعمة الله تعالى واحسانه الي فيما

رأيت من اهتمامك بي ومراعاتك لي وقد علمت انك رجائي وركني فيما أنا فيه فاريد من انعامك ان تنطلق الى مكان كذا فتنظر الى ما جمعته أنا وأختي بحيلتنا وسعينا وبمشيئة الله تعالى فتأتيني به ففعل الشعهر ما أمره به دمنة فلما وضع المال بين يديه أعطاه شطره وقال له انك على الدخول والخروج على الاسد أقدر من غيرك فتفرغ لشأني واصرف اهتمامك الي واسمع ما أذكر به عند الاسد اذا رفع اليه ما يجري بيني وبين الخصوم وما يبدو من أم الاسد في حقي وما ترى من متابعة الاسد لها ومخالفته اياها في أمري واحفظ ذلك كله فأخذ الشعهر ما أعطاه دمنة وانصرف عنه على هذا العهد فانطلق الى منزله فوضع المال فيه ثم ان الاسد بكر من الغد فجلس حتى اذا مضى من النهار ساعتان استأذن عليه أصحابه فاذن لهم فدخلوا عليه ووضعوا الكتاب بين يديه فلما عرف قولهم وقول دمنة دعا أمه فقرأ عليها ذلك فلما سمعت ما في الكتاب نادت بأعلى صوتها ان أنا أغلظت في القول فلا تلمني فانك لست تعرف ضرك من نفعك أليس هذا ما كنت أنهاك عن سماعه لانه كلام هذا المجرم المسيء الينا الغادر بذمتنا ثم انها خرجت مغضبة وذلك بعين الشعهر الذي أعطاه دمنة وبسمعه جميع ما قالت أم الاسد فخرج في أثرها مسرعا حتى أتى دمنة فحدثه بالحديث فبينما هو عنده اذ جاء رسول فانطلق بدمنة الى المجمع عند القاضي فلما مثل بين يدي القاضي استفتح سيد المجلس فقال يا دمنة قد أنبأني بخبرك الامين الصادق وليس ينبغي لنا ان نفحص عن شأنك أكثر من هذا الآن لان العلماء قالوا ان الله تعالى جعل الدنيا سببا ومصداقا للآخرة لانها دار الرسل والانبياء الدالين على الخير الهادين الى الجنة الداعين الى معرفة الله تعالى وقد ثبت شأنك عندنا وأخبرنا عنك من نثق بقوله الى ان سيدنا أمرنا بالعود في أمرك والفحص عن شأنك وان كان عندنا ظاهرا بينا قال دمنة أراك أيها القاضي لم تتعود العدل في القضاء وليس في عدل الملوك دفع المظلومين ومن لا ذنب له الى قاض غير عادل بل المخاصمة عنهم والذب فكيف ترى ان أقتل ولم أخاصم وتعجل ذلك موافقة لهواك ولم يمض بعد ذلك ثلاثة أيام ولكن صدق الذي قال ان الذي تعود عمل البر هين عليه عمله وان أضر به قال القاضي انا نجد في كتب الاولين ان القاضي العدل ينبغي له ان يعرف عمل المحسن والمسيء ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته فاذا ذهب الى هذا ازداد المحسنون حرصا على الاحسان والمسيئون اجتنابا

للذنوب والرأى لك يا دمنة ان تنظر الذى وقعت فيه وتعترف بذنبك وتقر به وتتوب فاجابه دمنة ان صالحى القضاة لا يقطعون بالظن ولا يعملون به لا فى الخاصة ولا فى العامة لعلمهم ان الظن لا يغنى من الحق شيئاً وأنتم ان ظننتم انى مجرم فيما فعلت فانى أعلم بنفسى منكم وعلمى بنفسى يقين لا شك فيه وعلمكم فى غاية الشك واغا قبح أمرى عندكم انى سعيت بغيرى فما عذرى عندكم اذا سعيت بنفسى كاذباً عليها فاسلمتها للقتل والعطب على معرفة منى ببراءتى وسلامتى مما قرفت به ونفسى أعظم الانفس علىّ حرمة وأوجبها حقاً فلو فعلت هذا باقصاكم وأدناكم لما وسعنى فى دينى ولا حسن بى فى مروأتى ولا حق لى ان أفعله فكيف أفعله بنفسى فاكفف أيها القاضى عن هذه المقالة فانها ان كانت منك نصيحة فقد أخطأت موضعها وان كانت خديعة فان أقبح الخداع ما نظرته وعرفت انه من غير أهله مع ان الخداع والمكر ليس من أعمال صالحى القضاة ولا ثقات الولاة واعلم أن قولك هذا يتخذه الجهال والاشرار سنة يقتدون بها لان أمور القضاء يأخذ بصوابها اهل الصواب ويخطئها أهل الخطا والباطل والقليلو الورع وأنا أتخوف عليك أيها القاضى من مقالتك هذه أعظم الرزايا والبلايا وليس من البلاء والمصيبة انك لم تزل فى نفس الملك والجند والخاصة والعامة فاضلا فى رأيك مقنعا فى عدلك مرضيا فى حكمك وعفافك وفضلك وانما البلاء كيف أنسيت ذلك فى أمرى أو ما بلغك عن العلماء انهم قالوا من ادعى علم ما لا يعلم وشهد على الغيب اصابه ما أصاب البازيار القاذف زوجة مولاه قال القاضى وكيف كان ذلك قال دمنة زعموا انه كان فى بعض المدن رجل من المرازبة مذكور وكانت له امرأة ذات جمال وعفاف وكان للرجل بازيار ماهر خبير بعلاج البزاة وسياستها وكان هذا البازيار عند هذا الرجل بمكان جليل بحيث انه أدخله داره وأجلسه مع حرمه فاتفق ان البازيار راود زوجة مولاه عن نفسها فأبت عليه وتسخطت لذلك وغمر وجهها واحمرت خجلا وزاد امتناعها عليه وحرص عليها كل الحرص وعمل الحيلة فى بلوغ غرضه منها وضاقت عليه أبواب الحيل فخرج يوما الى الصيد على عادته فأصاب فرخى ببغا فأخذهما وجاء بهما الى منزله ورباهما فلما كبرا فرق بينهما وجعلهما فى قفصين وعلم أحدهما أن يقول رأيت البواب مضاجعا لمولاتى على فراش سيدى وعلم الآخر اما انا فلا أقول شيئاً ثم أدبهما بذلك حتى أتقناه وحذقا فيه فى ستة أشهر فلما

بلغ الذي أراد منهما حملهما الى استاذه فلما رآهما أعجباه ونطقا بين يديه فاطرباه الا انه لم يعلم ما يقولان لان الباز يار قد علمهما لغة البلخيين وان المرزبان اعجب بهما اعجابا شديدا وحظي الباز يار عنده بذلك حظوة كريمة فأمر امرأته بالاحتياط عليهما والمراعاة لهما ففعلت المرأة ذلك واتفق بعد مدة ان قدم على الرجل قوم من اعظماء بلخ فتأنق لهم في الطعام والشراب وجمع من أصناف الفواكه والتحف شيأ كثيرا وحضر القوم فلما فرغوا من الطعام وشرعوا في الحديث أشار المرزبان الى الباز يار أن يأتي بالببغاتين فاحضرهما فلما وضعتا بين يديه صاحتا عليه كانتا علمتاه فعرف أولئك العظماء ما قالتا فنظر بعضهم الى بعض ونكسوا رؤسهم حياء وخجلا فسألهم الرجل عما تقولان فامتنعوا أن يقولوا ما قالتا فألح عليهم وأكثر السؤال عما قالتا فقالوا انهما تقولان كذا وكذا وليس من شأننا أن نأكل من بيت يعمل فيه الفجور فلما قالوا ذلك أمرهم الرجل أن يكلموا الطيرين بلسان البلخية بغير ما نطقتا به ففعلوا ذلك فلم يجدوهما تعرفان غير ما تكلمتا به وبان لهم وللجماعة حصانة المرأة وبراءتها مما رميت به ووضح كذب الباز يار فأمر المرزبان بالباز يار أن يدخل عليه فدخل عليه وكان على يده باز اشهب فصاحت به المرأة من داخل البيت أيها العدو لنفسه انت رأيتني على ماذكرت وعلمت به الببغاتين قال نعم أنا رأيتك على مثل ما تقولان فوثب البازي الى وجهه ففقأ عينيه بمخاليبه فقالت المرأة بحق أصابك هذا انه لجزاء من الله تعالى بشهادتك على ما لم تر عينك وانما ضربت لك هذا المثل أيها القاضي لتزداد علما بوخامة عاقبة الشهادة بالكذب في الدنيا والآخرة فلما سمع القاضي ذلك من لفظ دمنة نهض فرفعه الى الاسد على وجهه فنظر فيه الاسد ثم دعا أمه فعرضه عليها فقالت حين تدبرت كلام دمنة للاسد لقد صار اهتمامي بما أتخوف من احتيال دمنة لك بمكره ودهائه حتى يقتلك أو يفسد عليك أمرك أعظم من اهتمامي بما سلف من ذنبه اليك في الغش والسعاية حتى قتلت صديقك بغير ذنب فوقع قولها في نفسه فقال لها اخبريني عن الذي اخبرك عن دمنة بما اخبرك فيكون حجة لي في قتل دمنة فقالت لأكره ان أفشي سر من استكتمنيه فلا يهنئني سروري بقتل دمنة اذا تذكرت اني استظهرت عليه بركوب ما نهت عنه العلماء من كشف السر ولكني أطالب الذي استودعنيه ان يحلني من ذكره لك

ويقوم هو بعينه وما سمع منه ثم انصرفت وارسلت الى النمر وذكرت له ما يحق عليه من
تزيين الاسد وحسن معاونته على الحق واخراج نفسه من الشهادة التي لا يكتمها مثله
مع ما يحق عليه من نصر المظلومين وتثبيت حجة الحق في الحيات والممات فان العلماء
قد قالت من كتم حجة ميت اخطأ حجته يوم القيامة فلم تزل به حتى قام فدخل على
الاسد فشهد عنده بما سمع من اقرار دمنة فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المحبوس
الذي سمع اقرار دمنة وحفظه الى الاسد فقال ان عندي شهادة فأخرجوه فشهد
على دمنة بما سمع من اقراره فقال لهما الاسد ما منعكما ان تقوما بشهادتكما وقد علمتما
أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة فقال كل واحد منهما قد علمنا ان شهادة
الواحد لا توجب حكما فكرهنا التعرض لغير ما يمضي به الحكم حتى اذا شهد أحدنا
قام الآخر بشهادته فقبل الاسد قولهما وأمر بدمنة أن يقتل في حبسه فقتل أشنع
قتلة فمن نظر في هذا فليعلم ان من أراد منفعة نفسه بضر غيره بالخلابة والمكر فانه
سيجزى على خلابته ومكره انقضى باب الفحص عن أمر دمنة

باب الحمامة المطوقة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما
الكذوب والى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك فحدثني ان رأيت عن أخوان الصفاء
كيف يبتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض قال الفيلسوف ان العاقل لا يعدل
بالاخوان شيئا فالاخوان هم الاعوان على الخير كله والمواسون عند ما ينوب من
المكروه ومن أمثال ذلك مثل الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب قال الملك
وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا انه كان بأرض سكاوندجين عند مدينة داهر
مكان كثير الصيد ينتابه الصيادون وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الاغصان
ملتفة الورق فيها وكر غراب فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره اذ بصر بصياد قبيح
المنظر سيء الخلق على عاتقه شبكة وفي يده عصا مقبلا نحو الشجرة فذعر منه الغراب
وقال لقد ساق هذا الرجل الى هذا المكان اما حيني واما حين غيري فلأثبتن مكاني
حتى أنظر ماذا يصنع ثم ان الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحب وكمن قريبا منها
فلم يلبث الا قليلا حتى مرت به حمامة يقال لها المطوقة وكانت سيدة الحمام ومعها

حمام كثير فعميت هي وصواحبها عن الشرك فوقعن على الحب يلتقطنه فعلقن في الشبكة كلهن وأقبل الصياد فرحا مسرورا فجعلت كل حمامة تضطرب في حبائلها وتلتمس الخلاص لنفسها قالت المطوقة لا تخاذلن في المعالجة ولا تكن نفس احداكن أهم اليها من نفس صاحبتها ولكن نتعاون جميعا فنقلع الشبكة فينجو بعضنا ببعض فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن وعلون في الجو ولم يقطع الصياد رجاءه منهن وظن انهن لا يجاوزن الا قريبا ويقعن فقال الغراب لا تبعهن وأنظر ما يكون منهن فالتفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن فقالت للحمام هذا الصياد مجد في طلبكن فان نحن أخذنا في الفضاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل يتبعنا وان نحن توجهنا الى العمران خفي عليه أمرنا وانصرف وبمكان كذا جرذ هو لي أخ فلو انتهينا اليه قطع عنا هذا الشرك ففعلن ذلك وأيس الصياد منهن وانصرف وتبعهن الغراب فلما انتهت الحمامة المطوقة الى الجرذ أمرت الحمام أن يسقطن فوقعن وكان للجرذ مائة حجر للمخاوف فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه زيرك فأجابها الجرذ من جحره من أنت قالت أنا خليلتك المطوقة فأقبل اليها الجرذ يسعى فقال لها ما أوقعك في هذه الورطة قالت له ألم تعلم انه ليس من الخير والشر شيء الا وهو مقدر على من تصيبه المقادير وهي التي أوقعتني في هذه الورطة فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني وأعظم أمرا وقد تنكسف الشمس والقمر اذا قضي ذلك عليهما ثم ان الجرذ أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوقة فقالت له المطوقة أبدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي فأعادت ذلك عليه مرارا وهو لا يلتفت الى قولها فلما أكثرت عليه القول وكررت قال لها لقد كررت القول علي كأنك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقا قالت اني أخاف ان أنت بدأت بقطع عقدي ان تمل وتكسل عن قطع ما بقي وعرفت انك ان بدأت بهن قبلي وكنت أنا الأخيرة لم ترض وان أدركك الفتور ان أبقى في الشرك قال الجرذ هذا مما يزيد الرغبة والمودة فيك ثم ان الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها فانطلقت المطوقة وحمامها معها فلما رأى الغراب صنع الجرذ رغب في مصادقته فجاء وناداه باسمه فأخرج الجرذ رأسه فقال له ما حاجتك قال اني أريد مصادقتك قال الجرذ ليس بيني وبينك تواصل وانما العاقل ينبغي له ان يلتمس ما يجد اليه سبيلا ويترك التماس ما ليس اليه سبيل فانما أنت الآكل وأنا طعام لك

قال الغراب ان أكلي اياك وان كنت لي طعاما مما لا يغني عني شيأ وان مودتك آنس لي مما ذكرت ولست بحقيق اذا جئت أطلب مودتك ان تردني خائبا فانه قد ظهر لي منك من حسن الخلق مارغبني فيك وان لم تكن تلتمس اظهار ذلك فان العاقل لا يخفى فضله وان هو أخفاه كالمسك الذي يكتم ثم لا يمنعه ذلك عن النشر الطيب والارج الفائح قال الجرذان أشد العداوة عداوة الجوهر وهي عداوتان منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والاسد فانه ربما قتل الاسد الفيل أو الفيل الاسد ومنها ما قوته من أحد الجانبين على الآخر كعداوة ما بيني وبين السنور وبيني وبينك فان العداوة التي بيننا ليست تضرك وانما ضررها عائد علي فان الماء لو أطيل اسخانه لم يمنعه ذلك من اطفائه النار اذا صب عليها وانما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها في كمه والعاقل لا يستأنس الى العدو الاريب قال الغراب قد فهمت ما تقول وأنت خليق ان تأخذ بفضل خليقتك وتعرف صدق مقالي ولا تصعب علي الامر بقولك ليس الى التواصل بيننا سبيل فان العقلاء الكرام لا يبتغون على معروف جزاء والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومثل ذلك مثل الكوز الذهب بطيء الانكسار سريع الاعادة هين الاصلاح ان أصابه ثلم أو كسر والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها ومثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من أدنى عيب ولا وصل له أبدا والكريم يود الكريم واللئيم لا يود أحدا الا عن رغبة أو رهبة وأنا الى ودك ومعروفك محتاج لانك كريم وأنا ملازم لبابك غير ذائق طعاما حتى تواخيني قال الجرذ قد قبلت اخاءك فاني لم أرد أحدا عن حاجة قط وانما بدأتك بما بدأتك به ارادة التوثق لنفسي فان أنت غدرت بي لم تقل اني وجدت الجرذ سريع الانخداع ثم خرج من جحره فوقف عند الباب فقال له الغراب ما يمنعك من الخروج الي والاستئناس بي فهل في نفسك بعد ذلك مني ريبة قال الجرذان أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما وهي ذات النفس وذات اليد فالمتباذلون ذات النفس هم الاصفياء وأما المتباذلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فانما مثله فيما يبذل ويعطي كمثل الصياد والقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير وانما يريد نفع نفسه فتعاطي ذات النفس أفضل

من تعاطى ذات العدوانى وثقت منك بذات نفسك ومحتك من نفسى مثل ذلك
وليس يمنعنى من الخروج اليك سوء ظن بك ولكن قد عرفت أن لك أصحابا جوهرهم
كجوهرك وليس رأيهم فى كرأيك قال الغراب ان من علامة الصديق أن يكون
لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا وليس لى بصاحب ولا صديق من لا يكون
لك محبا وانه يهون على قطيعة من كان كذلك من جوهرى ثم ان الجرذ خرج الى
الغراب فتصافحا وتصافيا وأنس كل واحد منهما بصاحبه حتى اذا مضت لهم أيام قال
الغراب للجرذ أن جحرك قريب من طريق الناس وأخاف أن يرميك بعض الصبيان
بحجر ولى مكان فى عزلة ولى فيه صديق من السلاحف وهو مخصب من السمك ونحن
واجدون هنالك ما نأكل فأريد أن أنطلق بك الى هنالك لنعيش آمنين قال الجرذ
ان لى أخبارا وقصصا أقصها عليك اذا انتهينا حيث تريد فافعل ما تشاء فأخذ
الغراب بذنب الجرذ وطار به حتى بلغ به حيث أراد فلما دنا من العين التى فيها السلحفاة
بصرت السلحفاة بغراب ومعه جرذ فذعرت منه ولم تعلم انه صاحبها فناداها فخرجت
اليه وسألته من أين أقبلت فأخبرها بقصته حين تبع الحمام وما كان من أمره وأمر
الجرذ حتى انتهى اليها فلما سمعت السلحفاة شأن الجرذ عجبت من عقله ووفائه
ورحبت به وقالت له ما ساقك الى هذه الارض قال الغراب للجرذ اقصص على الاخبار
الذى زعمت انك تحدثنى بها فأخبرنى بها مع جواب ما سألت السلحفاة فانها عندك
بمنزلتى فبدأ الجرذ وقال كان منزلى أول أمرى بمدينة ماروت فى بيت رجل ناسك
وكان خاليا من الاهل والعيال وكان يؤتى فى كل يوم بسلة من الطعام فيأكل منها
حاجته ويعلق الباقى وكنت أرصد الناسك حتى يخرج واثب الى السلة فلا أدع فيها
طعاما الا أكلته وأرمى به الى الجرذ ان فجهد الناسك مرارا أن يعلق السلة مكانا
لا أناله فلم يقدر على ذلك حتى نزل به ذات ليلة ضيف فأكلا جميعا ثم أخذا فى الحديث
فقال الناسك للضيف من أى أرض أقبلت وأين تريد الآن وكان الرجل قد جاب
الآفاق ورأى عجائب فانشأ يحدث الناسك عما وطئ من البلاد ورأى من العجائب
وجعل الناسك خلال ذلك يصفق بيديه لينفرنى عن السلة فغضب الضيف وقال أنا
أحدثك وأنت تهزأ بحديثى فما حملك على أن سألتنى فاعتذر اليه الناسك وقال انما
أصفق بيدى لانفر جرذا قد تحيرت فى أمرى ولست أضع فى البيت شيئا الا أكله فقال

الضيف جرذ واحد يفعل ذلك أم جرذان كثيرة فقال الناسك جرذان البيت كثير
لكن فيها جرذ واحد هو الذي غلبني فما أستطيع له حيلة قال الضيف لقد ذكرتني
قول الذي قال لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور فقال الناسك
وكيف كان ذلك قال الضيف نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ثم فرش لي
وانقلب الرجل على فراشه مع زوجته وبيني وبينهما خص من قصب فسمعت الرجل
يقول في آخر الليل لامرأته اني أريد أن أدعو غدا رهطا ليأكلوا عندنا فاصنعي لهم
طعاما فقالت المرأة كيف تدعو الناس الى طعامك وليس في بيتك فضل عن عيالك
وأنت رجل لا تبقي شيأ ولا تدخر فقال الرجل لا تندمي على شيء أطعمناه وأنفقناه فان
الجمع والادخار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذئب قالت المرأة وكيف كان ذلك قال
الرجل زعموا أنه خرج ذات يوم رجل قانص ومعه قوسه ونشابه فلم يجاوز غير بعيد
حتى رمى ظبيا فحمله ورجع طالبا منزله فاعترضه خنزير بري فرماه بنشابة نفذت فيه
فادركه الخنزير وضربه بأنيابه ضربة أطارت من يده القوس ووقعا ميتين فأتى عليهم
ذئب فقال هذا الرجل والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة ولكن أبدأ بهذا الوتر
فآكله فيكون قوت يومي فعالج الوتر حتى قطعه فلما انقطع طارت سية القوس
فضربت حلقه فمات وانما ضربت لك هذا المثل لتعلمي ان الجمع والادخار وخيم
العاقبة فقالت المرأة نعم ما قلت وعندنا من الارز والسمسم ما يكفي ستة نفر أو سبعة
فانا غادية على اصطناع الطعام فادع من أحببت وأخذت المرأة حين أصبحت سمسما
فقشرته وبسطته في الشمس ليجف وقالت لغلام لهم اطرد عنه الطير والكلاب
وتفرغت المرأة لصنعها وتغافل الغلام عن السمسم فجاء كلب فعاث فيه فاستقذرته
المرأة وكرهت أن تصنع منه طعاما فذهبت به الى السوق فأخذت به مقايضة سمسما
غير مقشور مثلا بمثل وانا واقف في السوق فقال رجل لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما
مقشورا بغير مقشور وكذلك قولي في هذا الجرذ الذي ذكرت انه على غير علة ما يقدر
على ما شكوت منه فالتمس لي فأسا لعلي أحتفر جحره فأطلع على بعض شأنه فاستعار
الناسك من بعض جيرانه فأسا فأتى به الضيف وانا حينئذ في جحر غير جحري أسمع
كلامهما وفي جحري كيس فيه مائة دينار لا أدري من وضعها فاحتفر الضيف حتى
انتهى الى الدنانير فأخذها وقال للناسك ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث

كان يثب الا بهذه الدنانير فان المال جعل قوة وزيادة في الرأي والتمكن وسترى بعد
هذا انه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب فلما كان من الغد اجتمع الجرذان التي
كانت معي فقالت قد أصابنا الجوع وأنت رجاؤنا فانطلقت وهي الجرذان الى المكان
الذي كنت أثب منه الى السلة فحاولت ذلك مرارا فلم أقدر عليه فاستبان للجرذان نقص
حالي فسمعتهن يقلن انصرفن عنه ولا تطمعن فيما عنده فانا نرى له حالا لا يحسبه الا وقد
احتاج الى من يعوله فتركنني ولحقن باعدائي وجفونني واخذن في غيبتي عند من
يعاديني ويحسدني فقلت في نفسي ما الاخوان ولا الاعوان ولا الاصدقاء الا بالمال
ووجدت من لا مال له اذا أراد أمرا قعد به العدم عما يريده كالماء الذي يبقى
في الاودية من مطر الشتاء لا يمر الى نهر ولا يجري الى مكان فتشربه أرضه ووجدت من
لا اخوان له لا أهل له ومن لا ولد له لا ذكر له ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة له
لان الرجل اذا افتقر قطعه قرابته واخوانه فان الشجرة النابتة في السباخ المأكولة
من كل جانب كحال الفقير المحتاج الى ما في أيدي الناس ووجدت الفقر رأس كل
بلاء وجالبا الى صاحبه كل مقت ومعدن النميمة ووجدت الرجل اذا افتقر اتهمه
من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن فيه حسنا فان اذنب غيره كان هو للتهمة
موضعا وليس من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير ذم فان كان شجاعا قيل أهوج
وان كان جوادا سمي مبذرا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي
بليدا فالموت أهون من الحاجة التي تحوج صاحبها الى المسألة ولا سيما مسألة الاشحاء
واللئام فان الكريم لو كلف أن يدخل يده في فم الافعى فيخرج منه سما فيبتلعه كان
ذلك أهون عليه وأحب اليه من مسألة البخيل اللئيم وقد كنت رأيت الضيف حين
أخذ الدنانير فقاسمها الناسك جعل الناسك نصيبه في خريطة عند رأسه لما جن الليل
فطمعت أن أصيب منها شيئا فأرده الى جحري ورجوت أن يزيد ذلك في قوتي ويراجعني
بعض أصدقائي فانطلقت الى الناسك وهو نائم حتى انتهيت عند رأسه ووجدت
الضيف يقظانا وبيده قضيب فضربني على رأسي ضربة موجعة فسعيت الى جحري
فلما سكن عني الالم هيجني الحرص والشره فخرجت طمعا كطمعي الاول واذا
الضيف يرصدني فضربني بالقضيب ضربة أسالت مني الدم فتقلبت ظهرا لبطن
الى جحري فخررت مغشيا علي فأصابني من الوجع ما بغض الي المال حتى لا أسمع

يذكره الا تداخلني من ذكر المال رعدة وهيبة ثم تذكرت فوجدت البلاء في الدنيا
انما يسوقه الحرص والشره ولا يزال صاحب الدنيا في بلية وتعب ونصب ووجدت
تجشم الاسفار البعيدة في طلب الدنيا أهون علي من بسط اليد الى السخي بالمال
ولم أر كالرضا شيأ فصار أمري الى أن رضيت وقنعت وانتقلت من بيت الناسك الى
البرية وكان لي صديق من الحمام فسيقت الي بصداقته صداقة الغراب ثم ذكر الغراب
ما بينك وبينه من المودة وأخبرني أنه يريد اتيانك فأحببت أن آتيك معه فكرهت
الوحدة فانه لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الاخوان ولا غم فيها يعدل البعد
عنهم وجربت فعلمت أنه لا ينبغي للعاقل أن يلتمس من الدنيا غير الكفاف الذي يدفع
به الأذى عن نفسه وهو اليسير من المطعم والمشرب اذا اشتمل على صحة البدن
ورفاهة البال ولو أن رجلا وهبت له الدنيا بما فيها لم يك ينتفع من ذلك الا بالقليل الذي
يدفع به عن نفسه الحاجة فأقبلت مع الغراب اليك على هذا الرأي وأنا لك أخ فلتكن
منزلتي عندك كذلك فلما فرغ الجرذ من كلامه أجابته السلحفاة بكلام رقيق
عذب وقالت قد سمعت كلامك وما أحسن ما تحدثت به الا أني رأيتك تذكر بقايا
أمور في نفسك واعلم أن حسن الكلام لا يتم الا بحسن العمل وأن المريض الذي
قد علم دواء مرضه ان لم يتداو به لم يغن علمه به شيأ ولم يجد لدائه راحة ولا خفة فاستعمل
رأيك ولا تحزن لقلة المال فان الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال كالاسد الذي
يهاب وان كان رابضا والغني الذي لا مروءة له يهان وان كان كثير المال كالكلب
لا يحفل به وان طوق وخلخل بالذهب فلا تكبرن عليك غربتك فان العاقل لا غربة له
كالاسد الذي لا ينقلب الا ومعه قوته فلتحسن تعاهدك لنفسك فانك اذا فعلت ذلك
جاءك الخير يطلبك كما يطلب الماء انحداره وانما جعل الفضل للحازم البصير بالامور
وأما الكسلان المتردد فان الفضل لا يصحبه كما أن المرأة الشابة لا تطيب لها صحبة
الشيخ الهرم وقد قيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء ظل الغمامة في الصيف وخلة
الاشرار وعشق النساء والبناء على غير أساس والمال الكثير فالعاقل لا يحزن لقلته
وانما مال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله فهو واثق بأنه لا يسلب ما عمل ولا يؤاخذ
بشيء لم يعمله وهو خليق أن لا يغفل عن أمر آخرته فان الموت لا يأتي الا بغتة ليس
له وقت معين وأنت عن موعظتي غني بما عندك من العلم ولكن رأيت أن أقضي مالك

من حق قبلنا الا انك أخونا وما عندنا من النصح مبذول لك فلما سمع الغراب كلام
السلحفاة للجرذ وردها عليه وملاطفتها اياه فرح بذلك وقال لقد سررتني وأنعمت على
وأنت جديرة أن تسري نفسك بمثل ما سررتني به وان أولى أهل الدنيا بشدة السرور
من لا يزال ربعه من اخوانه وأصدقائه من الصالحين معمورا ولا يزال عنده منهم
جماعة يسرهم ويسرونه ويكون من وراء أمورهم وحاجاتهم بالمرصاد فان الكريم
اذا عثر لا يأخذ بيده الا الكرام كالفيل اذا وحل لا تخرجه الا الفيلة فبينما الغراب
في كلامه اذ اقبل نحوهم ظبي يسعى فذعرت منه السلحفاة فغاصت في الماء وخرج
الجرذ الى جحره وطار الغراب فوقع على شجرة ثم ان الغراب تحلق في السماء
لينظر هل للظبي طالب فنظر فلم ير شيأ فنادى الجرذ والسلحفاة فخرجا فقالت
السلحفاة للظبي حين رأته ينظر الى الماء اشرب ان كان بك عطش ولا تخف فانه
لا خوف عليك فدنا الظبي فرحبت به السلحفاة وحيته وقالت له من أين أقبلت قال
كنت أسنح بهذه الصحارى فلم تزل الاساورة تطردني من مكان الى مكان حتى رأيت
اليوم شبحا فخفت أن يكون قانصا قالت لا تخف فانا لم نر ههنا قانصا قط ونحن نبذل
لك ودنا ومكاننا والماء والمرعى كثير عندنا فارغب في صحبتنا فأقام الظبي معهم وكان
لهم عريش يجتمعون فيه ويتذاكرون الاحاديث والاخبار فبينما الغراب والجرذ
والسلحفاة ذات يوم في العريش غاب الظبي فتوقعوه ساعة فلم يأت فلما أبطأ اشفقوا
ان يكون قد أصابه عنت فقال الجرذ والسلحفاة للغراب انظر هل ترى مما يلينا شيأ
فحلق الغراب في السماء فنظر فاذا الظبي في الحبائل مقتنصا فانقض مسرعا
فأخبرهما بذلك فقالت السلحفاة والغراب للجرذ هذا أمر لا يرجى فيه غيرك فأغث
أخاك فسعى الجرذ مسرعا فأتى الظبي فقال له كيف وقعت في هذه الورطة وأنت من
الاكياس قال الظبي هل يغني الكيس مع المقادير شيأ فبينما هما في الحديث اذ
وفتهما السلحفاة فقال لها الظبي ما أصبت بمجيئك الينا فان القانص لو انتهى الينا
وقد قطع الجرذ الحبائل استبقته عدوا وللجرذ أجحار كثيرة والغراب يطير وانت ثقيلة
لا سعي لك ولا حركة وأخاف عليك القانص قالت لا عيش مع فراق الاحبة واذا فارق
الاليف أليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشى بصره فلم ينته كلامهما حتى وافى
القانص ووافق ذلك فراغ الجرذ من قطع الشرك فنجا الظبي بنفسه وطار الغراب

متعلقا ودخل الجرذ بعض الاجحار ولم يبق غير السلحفاة ودنا الصياد فوجد حبالته
مقطعة فنظر يمينا وشمالا فلم يجد غير السلحفاة تدب فأخذها وربطها ولم يلبث الغراب
والجرذ والظبي أن اجتمعوا فنظروا القانص قد ربط السلحفاة فاشتد حزنهم وقال
الجرذ ما أرانا نجاوز عقبة من البلاء الا صرنا في أشد منها ولقد صدق الذي قال لا يزال
الانسان مستمرا في اقباله ما لم يعثر فاذا عثر لج به العثار وان مشى في جدد الارض
وحذري على السلحفاة خير الاصدقاء التي خلتها ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافاة
ولكنها خلة الكرم والشرف خلة هي أفضل من خلة الوالد لولده خلة لا يزيلها الا
الموت ويحا لهذا الجسد الموكل به البلاء الذي لا يزال في تصرف وتقلب ولا يدوم له
شيء ولا يلبث معه أمر كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع ولا للآفل منها أفول لكن
لا يزال الطالع منها آفلا والآفل طالعا وكما تكون آلام الكلوم وانتقاض الجراحات
كذلك من قرحت كلومه بفقد اخوانه بعد اجتماعهم فقال الظبي والغراب للجرذ ان
حذرنا وحذرك وكلامك وان كان بليغا فكل منها لا يغني عن السلحفاة شيئا وانه كما يقال
انما يختبر الناس عند البلاء وذو الامانة عند الاخذ والعطاء والاهل والولد عند
الفاقة كذلك تختبر الاخوان عند النوائب قال الجرذ أرى من الحيلة أن تذهب
أيها الظبي فتقع بمنظر من القانص كأنك جريح ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك
وأسعى أنا فأكون قريبا من القانص مراقبا له لعله أن يرمي ما معه من الآلة ويضع
السلحفاة ويقصدك طامعا فيك راجيا تحصيلك فاذا دنا منك ففر عنه رويدا بحيث
لا ينقطع طمعه منك ومكنه من أخذك مرة بعد مرة حتى يبعد عنا وانح منه هذا النحو
ما استطعت فاني أرجو أن لا ينصرف الا وقد قطعت الحبائل عن السلحفاة وأنجو بها
ففعل الغراب والظبي ما أمرهما به الجرذ وتبعهما القانص فاستجره الظبي حتى أبعده
عن الجرذ والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل حتى قطعها ونجا بالسلحفاة وعاد
القانص مجهودا لاغبا فوجد حبالته مقطعة ففكر في أمره مع الظبي المتطلع فظن انه
خولط في عقله وفكر في أمر الظبي والغراب الذي كأنه يأكل منه وتقريض حبالته
فاستوحش من الارض وقال هذه أرض جن أو سحرة فرجع موليا لا يلتمس شيئا ولا
يلتفت اليه واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة الى عريشهم سالمين آمنين
كأحسن ما كانوا عليه فاذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص من

مرابط الهلكة مرة بعد أخرى بمودته وخلوصها وثبات قلبه عليها واستمتاعه مع أصحابه
بعضهم ببعض فالانسان الذى قد أعطى العقل والفهم وألهم الخير والشر ومنح التمييز
والمعرفة أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد فهذا مثل اخوان الصفاء وائتلافهم فى
الصحبة انقضى باب الحمامة المطوقة

(باب البوم والغربان)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل اخوان الصفاء وتعاونهم فاضرب لى
مثل العدو الذى لا ينبغى أن يغتر به وان أظهر تضرعا وملقا قال الفيلسوف من اغتر
بالعدو الذى لم يزل عدوا أصابه ما أصاب البوم من الغربان قال الملك وكيف كان ذلك
قال بيدبا زعموا انه كان فى جبل من الجبال شجرة من شجر الدوح فيها وكر ألف غراب
وعليهن وال من أنفسهن وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة وعليهن وال
منهن فخرج ملك البوم لبعض غدواته وروحاته وفى نفسه العداوة لملك الغربان وفى
نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم فأغار ملك البوم فى أصحابه على الغربان فى
أوكارها فقتل وسبى منها خلقا كثيرا وكانت الغارة ليلا فلما أصبحت الغربان اجتمعت
الى ملكها فقلن له قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم وما منا الا من أصبح قتيلا
أو جريحا أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو مقطوع الذنب وأشد مما أصابنا ضر
جراءتهن علينا وعلمهن بمكاننا وهن عائدات الينا غير منقطعات عنا لعلمهن
بمكاننا فانما نحن لك ولك الرأى أيها الملك فانظر لنا ولنفسك وكان فى الغربان خمس
معترف لهن بحسن الرأى يسند اليهن فى الامور ويلقى عليهن أزمة الاحوال وكان
الملك كثيرا ما يشاورهن فى الامور ويأخذ آراءهن فى الحوادث والنوازل فقال الملك
للاول من الخمس ما رأيك فى هذا الامر قال رأى قد سبقنا اليه العلماء وذلك انهم قالوا
ليس للعدو الحنق الا الهرب منه قال الملك للثانى ما رأيك أنت فى هذا الامر قال رأيى
ما رأى هذا من الهرب قال الملك لا أرى لكما ذلك رأيا أن نرحل عن أوطاننا ونخليها
لعدونا من أول نكبة أصابتنا منه ولا ينبغى لنا ذلك ولكن نجمع أمرنا ونستعد لعدونا
ونذكى نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة اذا أقبل الينا فنلقاه
مستعدين ونقاتله قتالا غير مراجعين فيه ولا مقصرين عنه وتلقى أطرافنا أطراف
العدو ونتحرز بحصوننا وندافع عدونا بالاناة مرة وبالجلاد أخرى حيث نصيب فرصتنا

و بغيتنا وقد ثنينا عدونا عنا ثم قال الملك للثالث ما رأيك أنت قال ما أرى ما قالا رأيا
ولكن نبث العيون ونبعث الجواسيس ونرسل الطوالع بيننا وبين عدونا فنعلم هل
يريد صلحنا أم يريد حربنا أم يريد الفدية فان رأينا امره امر طامع في مال لم نكره
الصلح على خراج نؤديه اليه في كل سنة ندفع به عن أنفسنا ونطمئن في أوطاننا فان من
آراء الملوك اذا اشتدت شوكة عدوهم فخافوه على أنفسهم وبلادهم ان يجعلوا
الاموال جنة البلاد والملك والرعية قال الملك للرابع فما رأيك في هذا الصلح قال لا أراه
رأيا بل ان نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من ان نضيع احسابنا
ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه مع ان البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا الا
بالشطط ويقال في الامثال قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ولا تقاربه كل
المقاربة فيجترئ عليك ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك مثل الخشبة
المنصوبة في الشمس اذا أملتها قليلا زاد ظلها واذا جاوزت بها الحد في امالتها
نقص الظل وليس عدونا راضيا منا بالدون في المقاربة فالرأي لنا ولك المحاربة قال
الملك للخامس ما تقول أنت وماذا ترى القتال أم الصلح أم الجلاء عن الوطن قال أما
القتال فلا سبيل للمرء الى قتال من لا يقوى عليه وقد يقال انه من لا يعرف نفسه
وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها مع ان العاقل لا يستصغر عدوا
فان من استصغر عدوه اغتر به ومن اغتر بعدوه لم يسلم منه وأنا للبوم شديد الهيبة وان
أضربن عن قتالنا وقد كنت أهابها قبل ذلك فان الحازم لا يأمن عدوه على كل حال
فان كان بعيدا لم يأمن سطوته وان كان مكثبا لم يأمن وثبته وان كان وحيدا لم يأمن
مكره واحزم الاقوام وأكيسهم من كره القتال لاجل النفقة فيه فان ما دون القتال
النفقة فيه من الاموال والقول والعمل والقتال النفقة فيه من الانفس والابدان فلا
يكونن القتال من رأيك أيها الملك للبوم فان من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرر بنفسه
فاذا كان الملك محصنا للاسرار متخيرا للوزراء مهيبا في أعين الناس بعيدا من أن
يقدر عليه كان خليقا ان لا يسلب صحيح ما أوتي من الخير وأنت أيها الملك كذلك وقد
استشرتني في أمر جوابك مني عنه في بعضه علانية وفي بعضه سر وللاسرار منازل
منها ما يدخل فيه الرهط ومنها ما يستعان فيه بالقوم ومنها ما يدخل فيه الرجلان ولست
أرى لهذا السر على قدر منزلته أن يشارك فيه الا أربعة آذان ولسانان فنهض الملك من

ساعته

ساعته وخلا به فاستشاره فكان أول ما سأله عنه الملك انه قال هل تعلم ابتداء عداوة
ما بيننا وبين البوم قال نعم كلمة تكلم بها غراب قال الملك وكيف كان ذلك قال
الغراب زعموا ان جماعة من الكراكي لم يكن لها ملك فأجمعت أمرها على ان يملكن
عليهن ملك البوم فبينما هي في مجمعها اذ وقع لها غراب فقالت لو جاءنا هذا الغراب
لاستشرناه في أمرنا فلم يلبثن دون ان جاءهن الغراب فاستشرنه فقال لو ان الطير
بادت من الاقاليم وفقد الطاوس والبط والنعام والحمام من العالم لما اضطررتن
الى ان تملكن عليكن البوم التي هي أقبح الطير منظرا واسوأها خلقا وأقلها عقلا
واشدها غضبا وابعدها من كل رحمة مع عماها وما بها من العشاء بالنهار وأشد من ذلك
وأقبح أمورها سفهها وسوء أخلاقها الا ان ترين ان تملكنها وتكن أنتن تدبرن
الامور دونها برأيكن وعقولكن كما فعلت الارنب التي زعمت ان القمر ملكها ثم عملت
برأيها قالت الطير وكيف كان ذلك قال الغراب زعموا أن أرضا من أراضي الفيلة
تتابعت عليها السنون واجدبت وقل ماؤها وغارت عيونها وذوى نبتها ويبس شجرها
فاصاب الفيلة عطش شديد فشكون ذلك الى ملكهن فأرسل الملك رسله ورواده
في طلب الماء في كل ناحية فرجع اليه بعض الرسل فاخبره أني قد وجدت بمكان
كذا عينا يقال لها عين القمر كثيرة الماء فتوجه ملك الفيلة بأصحابه الى تلك العين
لتشرب منها هو وفيلته وكانت العين في أرض للارانب فوطئن الارانب في أجحارهن
فاهلكن منهن كثيرا فاجتمعت الارانب الى ملكها فقلن له قد علمت ما أصابنا من
الفيلة فقال ليحضر منكن كل ذي رأي رأيه فتقدمت أرنب من الارانب يقال لها فيروز
وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والادب فقالت ان رأى الملك أن يبعثني الى الفيلة
ويرسل معي أمينا ليرى ويسمع ما أقول ويرفعه الى الملك فقال لها الملك أنت أمينة
ونرضى بقولك فانطلقي الى الفيلة وبلغي عني ما تريدين واعلمي ان الرسول برأيه
وعقله وأناته وفضله يخبر عن عقل المرسل فعليك باللين والرفق والحلم والتأني فان
الرسول هو الذي يلين الصدر اذا رفق ويخشن الصدر اذا خرق ثم ان الارنب
انطلقت في ليلة قمراء حتى انتهت الى الفيلة وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها
بأرجلهن فيقتلنها وان كن غير متعمدات ثم أشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة
وقالت له ان القمر أرسلني اليك والرسول غير ملوم فيما يبلغ وان أغلظ في القول قال

ملك الفيلة فى الرسالة قالت يقول لك انه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغتر بذلك
فى شأن الاقوياء قياسا لهم على الضعفاء كانت قوته وبالا عليه وانت قد عرفت فضل
قوتك على الدواب فغرك ذلك فعمدت الى العين التى تسمى باسمى فشربت منها
وكدرتها فارسلنى اليك فأنذرك ان لا تعود الى مثل ذلك وانك ان فعلت أغشى بصرك
واتلف نفسك وان كنت فى شك من رسالتى فهلم الى العين من ساعتك فانى موافيك
بها فعجب ملك الفيلة من قول الارنب فانطلق الى العين مع فيروز الرسول فلما نظر
اليها رأى ضوء القمر فيها فقالت له فيروز الرسول خذ بخرطومك من الماء فاغسل به
وجهك واسجد للقمر فأدخل الفيل خرطومه فى الماء فتحرك فخيل للفيل أن القمر
ارتعد فقال ما شأن القمر ارتعد أتراه غضب من ادخالى جحفلتى فى الماء قالت فيروز
الارنب نعم فسجد الفيل للقمر مرة أخرى وتاب اليه مما صنع وشرط أن لا يعود الى مثل
ذلك هو ولا أحد من فيلته قال الغراب ومع ما ذكرت من أمر البوم ان فيه الخب
والمكر والخديعة وشر الملوك المخادع ومن ابتلى بسلطان مخادع وخدمه اصابه
ما اصاب الارنب والصفرد حين احتكما الى السنور قالت الكراكى وكيف كان ذلك
قال الغراب كان لى جار من الصفاردة فى أصل شجرة قريبة من وكرى وكان يكثر موا
صلتى ثم فقدته فلم اعلم اين غاب وطالت غيبته عنى فجاءت ارنب الى مكان الصفرد
فسكنته فكرهت ان اخاصم الارنب فلبثت فيه زمانا ثم ان الصفرد عاد بعد زمان فأتى
منزله فوجد فيه الارنب فقال لها هذا المكان لى فانتقلى عنه قالت الارنب المسكن لى
وتحت يدى وانت مدع له فان كان لك حق فاستعد باثباته على قال الصفرد القاضى
منا قريب فهلمى بنا اليه قالت الارنب ومن القاضى قال الصفرد ان بساحل البحر
سنورا متعبدا يصوم النهار ويقوم الليل كله ولا يؤذى دابة ولا يهريق دما عيشه
من الحشيش ومما يقذفه اليه البحر فان أحببت تحاكمنا اليه ورضينا به قالت الارنب
ما أرضانى به اذا كان كما وصفت فانطلقا اليه فتبعتهما لانظر الى حكومة الصوام القوام
ثم انهما ذهبا اليه فلما بصر السنور بالارنب والصفرد مقبلين نحوه انتصب قائما يصلى
واظهر الخشوع والتنسك فعجبا لما رأيا من حاله ودنوا منه هائبين له وسلما عليه
وسألاه ان يقضى بينهما فأمرهما ان يقصا عليه القصة ففعلا فقال لهما قد بلغنى
الكبر وثقلت أذناى فادنوا منى فأسمعانى ما تقولان فدنوا منه وأعادا عليه القصة

وسألاه الحكم فقال قد فهمت ما قلتما وانا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكومة بينكما
فأنا آمركما بتقوى الله وان لا تطلبا الا الحق فان طالب الحق هو الذي يفلح وان قضى
عليه وطالب الباطل مخصوم وان قضى له وليس لصاحب الدنيا من دنياه شيء لا مال
ولا صديق سوى العمل الصالح يقدمه فذو العقل حقيق أن يكون سعيه في طلب
ما يبقى ويعود نفعه عليه غدا وان يمقت بسعيه فيما سوى ذلك من أمور الدنيا فان
منزلة المال عند العاقل بمنزلة المدر ومنزلة النساء اللاتي عليهن بمنزلة الافاعي المخوفة
ومنزلة الناس عنده فيما يحب لهم من الخير ويكره من الشر بمنزلة نفسه ثم ان السنور
لم يزل يقص عليهما من جنس هذا واشباهه حتى انسا اليه واقبلا عليه ودنوا منه ثم وثب
عليهما فقتلهما قال الغراب ثم ان البوم تجمع مع ما وصفت لكن من الشؤم وسائر
العيوب فلا يكونن تمليك البوم من رأيكن فلما سمع الكراكي ذلك من كلام الغراب
اضربن عن تمليك البوم وكان هناك بوم حاضر قد سمع ما قالوا فقال للغراب لقد وترتني
أعظم الترة ولا أعلم انه سلف مني اليك سوء اوجب هذا وبعد فاعلم ان الفاس يقطع
به الشجر فيعود ينبت والسيف يقطع اللحم ثم يعود فيندمل واللسان لا يندمل جرحه
ولا تؤسى مقاطعه والنصل من السهم يغيب في اللحم ثم ينزع فيخرج واشباه النصل
من الكلام اذا وصلت الى القلب لم تنزع ولم تستخرج ولكل حريق مطفئ فللنار الماء
وللسم الدواء وللحزن الصبر وللعشق الفرقة ونار الحقد لا تخبو أبدا وقد غرستم معاشر
الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء فلما قضى البوم مقالته ولى
مغضبا فأخبر ملك البوم بما جرى وبكل ما كان من قول الغراب ثم ان الغراب ندم على
ما فرط منه وقال والله لقد خرقت في قولي الذي جلبت به العداوة والبغضاء على نفسي
وقومي وليتني لم أخبر الكراكي بهذه الحال ولا اعلمتها بهذا الامر ولعل اكثر الطير قد
رأى أكثر مما رأيت وعلم اضعاف ما علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت اتقاء
ما لم أتق والنظر فيما لم أنظر فيه من حذار العواقب لاسيما اذا كان الكلام افظع
كلام يلقى منه سامعه وقائله المكروه مما يورث الحقد والضغينة فلا ينبغي لاشباه هذا
الكلام ان تسمى كلاما ولكن سهاما والعاقل وان كان واثقا بقوته وفضله لا ينبغي
أن يحمله ذلك على ان يجلب العداوة لنفسه اتكالا على ما عنده من الرأي والقوة كما انه
وان كان عنده الترياق لا ينبغي له ان يشرب السم اتكالا على ما عنده وصاحب

حسن العمل وان قصر به القول فى مستقبل الامر كان فضله بينا واضحا فى العاقبة والاختبار وصاحب حسن القول وان اعجب الناس منه حسن صفته للامور لم تحمد عاقبة أمره وأنا صاحب القول الذى لا عاقبة له محمودة أليس من سفهى اجترائى على التكلم فى الامر الجسيم لا استشير فيه أحدا ولم أعمل فيه رأيا ومن لم يستشر النصحاء الاولياء وعمل برأيه من غير تكرار النظر والروية لم يغتبط بمواقع رأيه فما كان اغنانى عما كسبت يومى هذا او ما وقعت فيه من الهم وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام واشباهه وذهب فهذا ما سألتنى عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم وأما القتال فقد علمت رأيى فيه وكراهتى له ولكن عندى من الرأى والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج ان شاء الله تعالى فانه رب قوم قد احتالوا بآرائهم حتى ظفروا بما أرادوا ومن ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا بالناسك واخذوا عريضه قال الملك وكيف كان ذلك قال الغراب زعموا ان ناسكا اشترى عريضا ضخما ليجعله قربانا فانطلق به يقوده فبصر به قوم من المكرة فائتمروا بينهم ان يأخذوه من الناسك فعرض له أحدهم فقال له أيها الناسك ما هذا الكلب الذى معك ثم عرض له الآخر فقال لصاحبه ما هذا ناسكا لان الناسك لا يقود كلبا فلم يزالوا مع الناسك على هذا ومثله حتى لم يشك ان الذى يقوده كلب وان الذى باعه اياه سحر عينه فأطلقه من يده فأخذه الجماعة المحتالون ومضوا به وانما ضربت لك هذا المثل لما ارجو ان نصيب من حاجتنا بالرفق والحيلة وانى أريد من الملك أن ينقرنى على رؤس الاشهاد وينتف ريشى وذنبى ثم يطرحنى فى أصل هذه الشجرة ويرتحل الملك هو وجنوده الى مكان كذا فأرجو انى اصبر واطلع على أحوالهم ومواضع تحصينهم وابوابهم فأخادعهم وآتى اليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا ان شاء الله تعالى قال الملك اتطيب نفسك لذلك قال نعم وكيف لا تطيب نفسى لذلك وفيه أعظم الراحات للملك وجنوده ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثم ارتحل عنه فجعل الغراب يئن ويهمس حتى سمعه البوم ورأينه يئن فأخبرن ملكهن بذلك فقصد نحوه ليسأله عن الغربان فلما دنا منه أمر بوما أن يسأله فقال له من أنت وأين الغربان فقال اما اسمى ففلان وأما ما سألتنى عنه فانى احسب انك ترى ان حالى حال من لا يعلم الاسرار فقيل للملك البوم هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه فنسأله بأى ذنب صنع به ما صنع فسئل الغراب عن أمره فقال ان ملكنا استشار

جماعتنا فيكن وكنت يومئذ بمعزل من الامر فقال أيها الغربان ماترون فى ذلك فقلت أيها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم لانهن أشد بطشا واحد قلبا منا ولكن أرى ان نلتمس الصلح ثم نبذل الفدية فى ذلك فان قبلت البوم ذلك منا والا هربنا فى البلاد واذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيرا لهن وشرا لنا فالصلح أفضل من الخصومة وأمرتهن بالرجوع عن الحرب وضربت لهن الامثال فى ذلك وقلت لهن ان العدو الشديد لا يرد بأسه وغضبه مثل الخضوع له الا ترين الى الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه وميله معها حيث مالت فعصينني فى ذلك وزعمن أنهن يردن القتال واتهمنني فيما قلت وقلن انك قد مالأت البوم علينا ورددن قولى ونصيحتى وعذبنني بهذا العذاب وتركنى الملك وجنوده وارتحل ولا علم لى بهن بعد ذلك فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه ما تقول فى الغراب وما ترى فيه قال ما أرى الا المعاجلة له بالقتل فان هذا أفضل عدد الغربان وفى قتله لنا راحة من مكره وفقده على الغربان شديد ويقال من ظفر بالساعة التى فيها ينجح العمل ثم لا يعاجله بالذى ينبغى له فليس بحكيم ومن طلب الامر الجسيم فامكنه ذلك فاغفله فاته الامر وهو خليق أن لا تعود الفرصة ثانية ومن وجد عدوه ضعيفا ولم يجهز قتله ندم اذا استقوى ولم يقدر عليه قال الملك لوزير آخر ماترى أنت فى هذا الغراب قال أرى أن لا تقتله فان العدو الذليل الذى لا ناصر له أهل لان يستبقى ويرحم ويصفح عنه لا سيما المستجير الخائف فانه أهل لان يؤمن كالتاجر الذى عطف على سارق لمكان امرأته عنده قال الملك وكيف كان ذلك قال الوزير زعموا انه كان تاجر كثير المال والمتاع وكانت له امرأة ذات جمال وان سارقا تسور بيت التاجر فدخل فوجده نائما ووجد امرأته مستيقظة فذعرت من السارق ووثبت الى التاجر فالتزمته واعتنقته وقد كان يود لو دنت منه يوما ما فاستيقظ التاجر بالتزامها اياه فقال من أين لى هذه النعمة ثم بصر بالسارق فقال أيها السارق أنت فى حل مما أخذت من مالى ومتاعى ولك الفضل بما عطفت قلب زوجتى على معانقتى قال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه ما تقول فى الغراب قال أرى أن تستبقيه وتحسن اليه فانه خليق أن ينصحك والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضا ظفرا حسنا ويرى اشتغال بعض الاعداء ببعض ليبلغ خلاصا لنفسه منهم وخجاة كنجاة الناسك من اللص والشيطان

حتى اختلفا عليه قال الملك وكيف كان ذلك قال الوزير زعموا ان ناسكا أصاب من
رجل بقرة حلوبة فانطلق بها يقودها الى منزله فعرض له لص أراد سرقتها وتبعه
شيطان يريد اختطافه فقال الشيطان للص من أنت قال انا اللص أريد ان أسرق هذه
البقرة من الناسك اذا نام فمن أنت قال أنا الشيطان أريد اختطافه اذا نام واذهب
به فانتهيا على هذا الى المنزل فدخل الناسك منزله ودخلا خلفه وأدخل البقرة
فربطها في زاوية المنزل وتعشى ونام فأقبل اللص والشيطان يأتمران فيه واختلفا
على من يبدأ بشغله أولا فقال الشيطان للص ان أنت بدأت بأخذ البقرة ربما
استيقظ وصاح واجتمع الناس فلا أقدر على أخذه فأنظرني ريثما آخذه وشأنك
وما تريد فأشفق اللص ان بدأ الشيطان باختطافه ربما استيقظ فلا يقدر على أخذ
البقرة فقال لا بل أنظرني انت حتى آخذ البقرة وشأنك وما تريد فلم يزالا في المجادلة
هكذا حتى نادى اللص أيها الناسك انتبه فهذا الشيطان يريد اختطافك ونادى
الشيطان أيها الناسك انتبه فهذا اللص يريد أن يسرق بقرتك فانتبه الناسك
وجيرانه بأصواتهما وهرب الخبيثان قال الوزير الاول الذي أشار بقتل الغراب
أظن ان الغراب قد خدعكن ووقع كلامه في نفس الغبي منكن موقعه فتردن ان
تضعن الرأي في غير موضعه فمهلا مهلا أيها الملك عن هذا الرأي ولا تكونن
كالنجار الذي كذب بما رأى وصدق بما سمع وانخدع بالمحال قال الملك وكيف
كان ذلك قال الوزير زعموا انه كان رجل نجار وكان له امرأة يحبها وكانت قد
علقت رجلا وعلم النجار بذلك حين أخبره به صديق امين لكنه أحب أن يرى
ذلك عيانا فقابل امرأته بحمق فقال لها أريد الذهاب الى قرية كذا وهي منا على
فراسخ لبعض عمل السلطان فاعدي لي زادا ففرحت المرأة حيث يذهب ويخلو
وجهها لخليلها ثم لما أراد الخروج قال لامرأته استوثقي من الباب والسرق
وأراها انه يخرج وعطف الى مكان خفي خلف الباب فاختفى فيه فانسل فدخل
البيت الذي فيه مرقده واختفى تحت السرير ثم ان المرأة أرسلت الى خليلها
أن ائتنا فأتاها وخلا بها على فراش زوجها طول ليله ثم ان النجار غلبه النعاس
فنام فمد رجله فخرجت من تحت السرير فلما رأتها زوجته عرفتها فايقنت بالشر
فقالت لخليلها سلني وارفع صوتك وقل ايما أحب اليك زوجك أو أنا فسألها فقالت

ما يضطرك الى هذه المسئلة ألم تعلم انا معاشر النساء انما نريد الاخلاء لقضاء الشهوة
فقط ولا نلتفت الى احسابهم ولا انسابهم ولا الى ما يتغير من أمورهم وأما الزوج فهو
بمنزلة الوالد والاخ فقبح الله امرأة لا يكون زوجها عدل نفسها ولا متعتك بعد هذا
بلذة فلما سمع زوجها كلامها رق لها وأخذته الرحمة وغلبته العبرة ووثق منها بالمودة
ولم يبرح مكانه حتى أصبح وأيقن ان الرجل قد ذهب ثم خرج من تحت السرير فوجد
امرأته نائمة فقعد عند رأسها يروحها فلما انتبهت قال لها يا حبيبة قلبي نامي فقد بت
ساهرة ولولا كراهة ما يسوءك لكان بيني وبين ذلك الرجل خطب وأمر شديد
وانما ضربت لك هذا المثل ارادة أن لا تكون كذلك النجار الذي كذب ما رأى
وصدق بما سمع فلم يلتفت الملك الى قوله وأمر بالغراب ان يحمل الى منازل البوم
ويكرم ويستوصى به خيرا ثم ان الغراب قال للملك يوما وعنده جماعة من البوم وفيهن
الوزير الذي أشار بقتله أيها الملك قد علمت ما جرى على من الغربان وانه لا يستريح
قلبي دون أخذي بثاري منهن واني قد نظرت في ذلك فاذا بي لا أقدر على ما رمت لاني
غراب وقد روى عن العلماء انهم قالوا من طابت نفسه بان يحرقها فقد قرب لله أعظم
القربان لا يدعو عند ذلك بدعوة الا استجيب له فان رأى الملك أن يأمرني فأحرق
نفسي وادعو ربي ان يحولني بوما فاكون أشد عداوة وأقوى بأسا على الغربان لعلي
أنتقم منهن قال الوزير الذي أشار بقتله ما أشبهك في خير ما تظهر وشر ما تخفي الا
بالخمرة الطيبة الطعم والريح المنقع فيها السم أرأيت لو احرقنا جسمك بالنار كان
جوهرك وطباعك متغيرة أليست أخلاقك تدور معك حيثما درت وتصير بعد ذلك
الى أصلك وطبيعتك كالفأرة التي خيرت في الازواج بين الشمس والريح والسحاب
والجبل فلم يقع اختيارها الا على الجرذ قيل له وكيف كان ذلك قال زعموا انه كان
ناسك مستجاب الدعوة فبينما هو ذات يوم جالس على ساحل البحر اذ مرت به حدأة
في رجلها درص فأرة فوقعت منها عند الناسك وادركته لها رحمة فأخذها ولفها في
ورقة وذهب بها الى منزله ثم خاف أن تشق على أهله تربيتها فدعا ربه ان يحولها جارية
فتحولت جارية حسناء فانطلق بها الى امرأته فقال لها هذه ابنتي فاصنعي معها
صنيعك بولدي فلما بلغت مبلغ النساء قال لها الناسك يا بنية انك قد ادركت ولا بد لك
من زوج فاختاري من أحببت حتى أزوجك به فقالت أما اذا خيرتني فاني اختار

زوجا يكون اقوى الاشياء فقال الناسك لها الك تريدين الشمس ثم انطلق الى الشمس
قال أيها الخلق العظيم لي جارية وقد طلبت زوجا يكون أقوى الاشياء فهل أنت
متزوجها فقالت الشمس انا أدلك على من هو أقوى مني السحاب الذي يغطيني
ويرد حر شعاعي ويكسف اشعة أنواري فذهب الناسك الى السحاب فقال له ما قال
للشمس فقال السحاب وأنا أدلك على من هو أقوى مني فاذهب الى الريح التي تقبل بي
وتدبر وتذهب بي شرقا وغربا فجاء الناسك الى الريح فقال لها كقوله للسحاب فقالت
وأنا أدلك على من هو أقوى مني وهو الجبل الذي لا أقدر على تحريكه فمضى الى الجبل
فقال له القول المذكور فاجابه الجبل وقال له أنا أدلك على من هو أقوى مني الجرذ
الذي لا أستطيع الامتناع منه اذا خرقني واتخذني مسكنا فانطلق الناسك الى الجرذ
فقال له هل أنت متزوج هذه الجارية فقال وكيف أتزوجها وجحري ضيق وانما
يتزوج الجرذ الفارة فدعا الناسك ربه ان يحولها فارة كما كانت وذلك برضا الجارية
فاعادها الله الى عنصرها الاول فانطلقت مع الجرذ فهذا مثلك أيها المخادع فلم يلتفت
ملك البوم الى ذلك القول ورفق بالغراب ولم يزدد له الا اكراما حتى اذا طاب عيشه
ونبت ريشه واطلع على ما أراد ان يطلع عليه راغ روغة فأتى أصحابه بما رأى وسمع
فقال للملك اني قد فرغت مما كنت أريد ولم يبق الا ان تسمع وتطيع قال له أنا والجند
تحت أمرك فاحتكم كيف شئت قال الغراب ان البوم بمكان كذا في جبل كثير
الحطب وفي ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع ونحن مصيبون هناك نارا
ونلقيها في اثقاب البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتراوح عليها ضربا باجنحتنا
حتى تضطرم النار في الحطب فمن خرج منهن احترق ومن لم يخرج مات بالدخان
موضعه ففعل الغربان ذلك فاهلكن البوم قاطبة ورجعن الى منازلهن سالمات
آمنات ثم ان ملك الغربان قال لذلك الغراب كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر
للاخيار على صحبة الاشرار فقال الغراب ان ما قلته أيها الملك لكذلك ولكن العاقل
اذا أتاه الامر الفظيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمله الجائحة على نفسه وقومه
لم يجزع من شدة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير فلم
يجد لذلك ألما ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة
أمره وعاقبة صبره فقال الملك أخبرني عن عقول البوم قال الغراب لم أجد فيهن عاقلا

الا الذى كان حثهن على قتلى وكان حرضهن على ذلك مرارا فكن أضعف شئ رأيا فلم
ينظرن فى أمرى ويذكرن انى قد كنت ذا منزلة فى الغربان وانى أعد من ذوى
الرأى ولم يتخوفن مكرى وحيلتى ولا قبلن من الناصح الشفيق ولا أخفين دونى
اسرارهن وقد قالت العلماء ينبغى للملك أن يحصن أموره من أهل النميمة ولا يطلع
أحدا منهم على مواضع سره فقال الملك ما أهلك البوم فى نفسى الا البغى وضعف رأى
الملك وموافقته وزراء السوء فقال الغراب صدقت أيها الملك انه قلما ظفر احد بغنى ولم
يطغ وقلما حرص الرجل على النساء ولم يفتضح وقل من أكثر من الطعام الا مرض
وقل من وثق بوزراء السوء وسلم من أن يقع فى المهالك وكان يقال لا يطمعن ذو الكبر
فى حسن الثناء ولا الخب فى كثرة الصديق ولا السيئ الادب فى الشرف ولا الشحيح
فى البر ولا الحريص فى قلة الذنوب ولا الملك المختال المتهاون بالامور الضعيف الوزراء
فى ثبات ملكه وصلاح رعيته قال الملك لقد احتملت مشقة شديدة فى تصنعك للبوم
وتضرعك لهن قال الغراب انه من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحى عن نفسه الانفة
والحمية ووطنها على الصبر حمد غب رأيه كما صبر الاسود على حمل ملك الضفادع على
ظهره وشبع بذلك وعاش قال الملك وكيف كان ذلك قال الغراب زعموا ان أسود من
الحيات كبر وضعف بصره وذهبت قوته فلم يستطع صيدا ولم يقدر على طعام وانه
انساب يلتمس شيأ يعيش به حتى انتهى الى عين كثيرة الضفادع قد كان يأتيها قبل
ذلك فيصيب من ضفادعها رزقه فرمى نفسه قريبا منهن مظهرا للكآبة والحزن فقال له
ضفدع مالى أراك أيها الاسود كئيبا حزينا قال ومن أحرى بطول الحزن منى وانما كان
اكثر معيشتى مما كنت أصيب من الضفادع فابتليت ببلاء وحرمت على الضفادع من
أجله حتى انى اذا التقيت ببعضها لا أقدر على امساكه فانطلق الضفدع الى ملك
الضفادع فبشره بما سمع من الاسود فأتى ملك الضفادع الى الاسود فقال له كيف
كان أمرك قال سعيت منذ أيام فى طلب ضفدع وذلك عند المساء فاضطررته الى بيت
ناسك ودخلت فى أثره فى الظلمة وفى البيت ابن للناسك فأصبت أصبعه فظننت انها
الضفدع فلدغته فمات فخرجت هاربا فتبعنى الناسك فى أثرى ودعا على ولعننى وقال
كما قتلت ابنى البرىء ظلما وتعديا كذلك ادعو عليك ان تذل وتصير مركبا لملك الضفادع
فلا تستطيع اخذها ولا اكل شئ الا ما يتصدق به عليك ملكها فأتيت اليك لتركبنى

مقرا بذلك راضيا به فرغب ملك الضفادع في ركوب الاسود وظن ان ذلك فخر له وشرف
ورفعة فركبه واستطاب له ذلك فقال له الاسود قد علمت أيها الملك اني محروم فاجعل
لي رزقا أعيش به قال ملك الضفادع لعمري لا بد لك من رزق يقوم بك اذ كنت مركبي
فأمر له بضفدعين يؤخذان في كل يوم ويدفعان اليه فعاش بذلك ولم يضره خضوعه
للعدو الذليل بل انتفع بذلك وصار له رزقا ومعيشة وكذلك كان صبري على ما صبرت
عليه التماسا لهذا النفع العظيم الذي اجتمع لنا فيه الامن والظفر وهلاك العدو
والراحة منه ووجدت صرعة اللين والرفق أسرع وأشد استئصالا للعدو من صرعة
المكابرة فان النار لا تزيد بحدتها وحرها اذا أصابت الشجرة على ان تحرق ما فوق
الارض منها والماء ببرده ولينه يستأصل ما تحت الارض منها ويقال أربعة أشياء
لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والدين قال الغراب وكل ذلك كان من رأى
الملك وأدبه وسعادة جده وانه كان يقال اذا طلب اثنان أمرا ظفر به منهما أفضلهما
مروءة فان اعتدلا في المروءة فأشدهما عزما فان استويا في العزم فأسعدهما جدا
وكان يقال من حارب الملك الحازم الاريب المتضرع الذي لا تبطره السراء ولا تدهشه
الضراء كان هو داعي الحتف الى نفسه ثم لا سيما اذا كان مثلك أيها الملك العالم بفرص
الاعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضا والمعاجلة والاناة الناظر في أمر يومه
وغده وعواقب أعماله قال الملك للغراب بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويمن طالعك
كان ذلك فان رأى الرجل الواحد العاقل الحازم أبلغ في هلاك العدو من الجنود
الكثيرة من ذوي البأس والنجدة والعدد والعدة وان من عجيب أمرك عندي طول
لبثك بين ظهراني البوم تسمع الكلام الغليظ ثم لم تسقط بينهن بكلمة قال الغراب
لم أزل متمسكا بأدبك أيها الملك أصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمبالغة والاناة
قال الملك أصبحت وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء
أصحاب أقاويل ليس لها عاقبة حميدة فقد من الله علينا بك منة عظيمة لم نكن قبلها
نجد لذة الطعام ولا الشراب ولا النوم ولا القرار وكان يقال لا يجد المريض لذة الطعام
والنوم حتى يبرأ ولا الرجل الشره الذي أطمعه سلطانه في مال وعمل في يده حتى ينجزه
ولا الرجل الذي قد ألح عليه عدوه وهو يخافه صباحا ومساء حتى يستريح منه قلبه ومن
وضع الحمل الثقيل عن يده أراح نفسه ومن آمن عدوه ثلج صدره قال الغراب اسأل الله

الذى أهلك عدوك ان تمتعك بسلطانك وان يجعل فى ذلك صلاح رعيتك ويشركهم فى
قرة العين بملكك فان الملك اذا لم يكن فى ملكه قرة عيون رعيته فمثله مثل زنمة العنز التى
يمصها الجدى وهو يحسبها حلمة الضرع فلا يصادف فيها خيرا قال الملك أيها الوزير
الصالح كيف كانت سيرة البوم وملكها فى حروبها وفيما كانت فيه من أمورها قال
الغراب كانت سيرته سيرة بطر واشر وخيلاء وعجز وفخر مع ما فيه من الصفات الذميمة
وكل أصحابه ووزرائه شبيه به الا الوزير الذى كان يشير عليه بقتلى فانه كان حكيما
أديبا فيلسوفا حازما عالما قلما يرى مثله فى علو الهمة وكمال العقل وجودة الرأى قال
الملك وأى خصلة رأيت منه كانت أدل على عقله قال خلتان أحدهما رأيه فى قتلى
والاخرى انه لم يكن يكتم صاحبه نصيحته وان استثقلها ولم يكن كلامه كلام عنف
ولكنه كلام رفق ولين حتى انه ربما أخبره ببعض عيوبه ولا يصرح بحقيقة الحال
بل يضرب له الامثال ويحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه فلا يجد ملكه الى الغضب عليه
سبيلا وكان مما سمعته يقول لملكه انه قال لا ينبغى للملك ان يغفل عن أمره فانه أمر
جسيم لا يظفر به من الناس الا القليل ولا يدرك الا بالحزم فان الملك عزيز فمن ظفر به
فليحسن حفظه وتحصينه فانه قد قيل انه فى قلة بقائه بمنزلة قلة بقاء الظل عن ورق
النيلوفر وهو فى خفة زواله وسرعة اقباله وادباره كالريح وفى قلة ثباته كاللبيب مع
اللئام وفى سرعة اضمحلاله كحباب الماء من وقع المطر فهذا مثل اهل العداوة الذين
لا ينبغى ان يغتر بهم وان هم أظهروا توددا وتضرعا انقضى باب البوم والغربان

﴿باب القرد والغيلم﴾

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الرجل الذى
يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها قال الفيلسوف ان طلب الحاجة أهون من
الاحتفاظ بها ومن ظفر بحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم قال الملك
وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا ان قردا كان ملك القردة يقال له ماهر وكان قد كبر
وهرم فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه وأخذ مكانه فخرج هاربا على
وجهه حتى انتهى الى الساحل فوجد شجرة من شجر التين فارتقى اليها وجعلها مقامه
فبينما هو ذات يوم يأكل من ذلك التين اذ سقطت من يده تينة فى الماء فسمع لها صوتا

وايقاظا فجعل يأكل ويرمي في الماء فأطربه ذلك فأكثر من طرح التين في الماء وثم
غيلم كلما وقعت تينة أكلها فلما كثر ذلك ظن ان القرد انما يفعل ذلك لاجله فرغب
في مصادقته وأنس اليه وكلمه وألف كل واحد منهما صاحبه وطالت غيبة الغيلم عن
زوجته فجزعت عليه وشكت ذلك الى جارة لها وقالت قد خفت ان يكون قد عرض
له عارض سوء فاغتاله فقالت لها ان زوجك بالساحل قد ألف قردا والفه القرد فهو
مؤاكله ومشاربه وهو الذي قطعه عنك ولا يقدر ان يقيم عندك حتى تحتالي لهلاك
القرد قالت وكيف أصنع قالت جارتها اذا وصل اليك فتمارضي فاذا سألك عن حالك
فقولي ان الحكماء وصفوا لي قلب قرد ثم ان الغيلم انطلق بعد مدة الى منزله فوجد زوجته
سيئة الحال مهمومة فقال لها الغيلم مالي أراك هكذا فاجابته جارتها وقالت ان
زوجتك مريضة مسكينة وقد وصفت لها الاطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه قال
الغيلم هذا أمر عسير من أين لنا قلب قرد ونحن في الماء ولكن سأحتال لصديقي ثم
انطلق الى ساحل البحر فقال له القرد يا أخي ما حبسك عني قال له الغيلم ما حبسني عنك
الا حيائي فلم أعرف كيف أجازيك على احسانك الي واريد ان تتم احسانك الي
بزيارتك لي في منزلي فاني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة فاركب ظهري لاسبح بك
فرغب القرد في ذلك ونزل فركب ظهر الغيلم فسبح به حتى اذا سبح عرض له قبح ما أضمر
في نفسه من الغدر فنكس رأسه فقال له القرد مالي أراك مهتما قال الغيلم انما همي
لاني ذكرت ان زوجتي شديدة المرض وذلك يمنعني من كثير مما أريد أن أبلغه من
كرامتك وملاطفتك قال القرد ان الذي أعرف من حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة
التكلف قال الغيلم أجل ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية فساء ظن القرد وقال في
نفسه ما احتباس الغيلم وابطاؤه الا لامر ولست آمنا ان يكون قلبه قد تغير لي وحال
عن مودتي فأراد بي سوءا فانه لا شيء أخف وأسرع تقلبا من القلب وقد يقال ينبغي
للعاقل أن لا يغفل عن التماس ما في نفس أهله وولده واخوانه وصديقه عند كل أمر
وفي كل لحظة وكلمة وعند القيام والقعود وعلى كل حال فان ذلك كله يشهد على ما في
القلوب وقد قالت العلماء اذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة فليأخذ بالحزم في
التحفظ منه وليتفقد ذلك في لحظاته وحالاته فان كان ما يظن حقا ظفر بالسلامة وان
كان باطلا ظفر بالحزم ولم يضره ذلك [illegible]

تحدث نفسك مرة اخرى قال يمنعنى انك تأتى منزلى فلا تجد أمرى كما احب لان زوجتى مريضة قال القرد لا تهتم فان الهم لا يغنى عنك شيأ ولكن التمس ما يصلح زوجتك من الادوية والاغذية فانه يقال ليبذل ذوا المال ماله فى ثلاثة مواضع فى الصدقة وفى وقت الحاجة وعلى النساء قال الغيلم صدقت وقد قالت الاطباء انه لا دواء لها الا قلب قرد فقال القرد فى نفسه واسوأتاه لقد ادركنى الحرص والشره على كبر سنى حتى وقعت فى شر ورطة ولقد صدق الذى قال يعيش القانع الراضى مستريحا مطمئنا وذوا الحرص والشره يعيش ما عاش فى تعب ونصب وانى قد احتجت الى عقلى فى التماس المخرج مما وقعت فيه ثم قال للغيلم وما منعك ان تعلمنى عند منزلى حتى كنت أحمل قلبى معى وهذه سنة فينا معاشر القردة اذا خرج احدنا لزيارة صديق خلف قلبه عند أهله او فى موضعه لننظر اذا نظرنا الى حرم المزور وليس قلوبنا معنا قال الغيلم وأين قلبك الآن قال خلفته فى الشجرة فان شئت فارجع بى الى الشجرة حتى آتيك به ففرح الغيلم بذلك ثم رجع بالقرد الى مكانه فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة فلما ابطأ على الغيلم ناداه يا خليلى احمل قلبك وانزل فقد حبستنى فقال القرد هيهات أتظن أنى كالحمار الذى زعم ابن آوى انه لم يكن له قلب ولا اذنان قال الغيلم وكيف كان ذلك قال القرد زعموا انه كان أسد فى أجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه فأصاب الاسد جرب وضعف شديد وجهد فلم يستطع الصيد فقال له ابن آوى ما بالك يا سيد السباع قد تغيرت أحوالك قال هذا الجرب الذى قد أجهدنى وليس له دواء الا قلب حمار واذناه قال ابن آوى ما أيسر هذا وقد عرفت بمكان كذا حمارا مع قصار يحمل عليه ثيابه وأنا آتيك به ثم دلف الى الحمار فأتاه وسلم عليه فقال له مالى أراك مهزولا قال ما يطعمنى صاحبى شيأ فقال له وكيف ترضى المقام معه على هذا قال فمالى حيلة فى الهرب منه فلست أتوجه الى جهة الا اضربى انسان فكدنى واجاعنى قال ابن آوى فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به انسان خصب المرعى فيه اتان لم تر عين مثلها حسنا وسمنا وهى محتاجة الى الفحل قال الحمار وما يحبسنا عنها فاذا انت رأيتها فانطلق بنا اليها فانطلق به ابن آوى نحو الاسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الاسد فأخبره بمكان الحمار فخرج اليه [illegible] وأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه و[illegible] الحمار [illegible] فلما رأى ابن آوى ان الاسد لم يقدر على

الحمار قال له أعجزت يا سيد السباع الى هذه الغاية فقال له ان جئتني به مرة أخرى فلن
ينجو مني أبدا فمضى ابن آوى الى الحمار فقال له ما الذي جرى عليك ان الاتان
لشدة غلمتها وهيجانها وثبت عليك ولو ثبت لها لاذنت لك فلما سمع الحمار بذكر الاتان
هاجت غلمته ونهق وأخذ طريقه الى الاسد فسبقه ابن آوى الى الاسد وأعلمه بمكانه
وقال له استعد له فقد خدعته لك فلا يدركنك الضعف في هذه النوبة فانه ان
أفلت فلن يعود معي أبدا فجاش جأش الاسد لتحريض ابن آوى له وخرج الى موضع
الحمار فلما بصر به عاجله بوثبة افترسه فيها ثم قال قد ذكرت الاطباء انه لا يؤكل الا
بعد الغسل والطهور فاحتفظ به حتى أعود فآكل قلبه واذنيه واترك ما سوى ذلك
قوتا لك فلما ذهب الاسد ليغتسل عمد ابن آوى الى الحمار فأكل قلبه واذنيه رجاء أن
يتطير الاسد منه فلا يأكل منه شيأ ثم ان الاسد رجع الى مكانه فقال لابن آوى أين
قلب الحمار واذناه قال ابن آوى ألم تعلم انه لو كان له قلب واذنان لم يرجع اليك بعد
ما أفلت ونجا من الهلكة وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أني لست كذلك الحمار الذي
زعم ابن آوى انه لم يكن له قلب واذنان ولكنك احتلت علي وخدعتني فخدعتك بمثل
خديعتك واستدركت فارط أمري وقد قيل ان الذي يفسده الحلم لا يصلحه الا العلم
قال الغيلم صدقت الا ان الرجل الصالح يعترف بزلته واذا أذنب ذنبا لم يستحي أن
يؤدب لصدقه في قوله وفعله وان وقع في ورطة أمكنه التخلص منها بحيلته وعقله
كالرجل الذي يعثر على الارض ثم ينهض عليها معتمدا فهذا مثل الرجل الذي يطلب
الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها * انقضى باب القرد والغيلم

(باب الناسك وابن عرس)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل
العجلان في أمره من غير روية ولا نظر في العواقب قال الفيلسوف انه من لم يكن في
أمره متثبتا لم يزل نادما ويصير أمره الى ما صار اليه الناسك من قتل ابن عرس وقد
كان له ودودا قال الملك وكيف كان ذلك قال الفيلسوف زعموا ان ناسكا من النساك
كان بأرض جرجان وكانت له امرأة جميلة لها معه صحبة فمكثا زمانا لم يرزقا ولدا ثم
حملت منه بعد الاياس فسرت المرأة وسر الناسك بذلك فحمد الله تعالى وسأله ان يكون

الحمل ذكرا فقال لزوجته أبشري فإني أرجو أن يكون غلاما لنا فيه منافع وقرة عين
اختار له أحسن الأسماء وأحضر له سائر الأدباء فقالت المرأة ما يحملك أيها الرجل
على أن تتكلم بما لا تدري هل يكون أم لا ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب
الناسك الذي أهراق على رأسه السمن والعسل قال لها وكيف كان ذلك قالت
زعموا أن ناسكا كان يجري عليه من بيت رجل تاجر في كل يوم رزق من السمن
والعسل وكان يأكل منه قوته وحاجته ويرفع الباقي ويجعله في جرة فيعلقها في وتد في
ناحية البيت حتى امتلأت فبينما الناسك ذات يوم مستلق على ظهره والعكازة في يده
والجرة معلقة على رأسه تفكر في غلاء السمن والعسل فقال سأبيع ما في هذه الجرة
بدينار وأشتري به عشرة أعنز فيحبلن ويلدن في كل خمسة أشهر بطنا ولا تلبث إلا
قليلا حتى تصير غنما كثيرة إذا ولدت أولادها ثم حرر على هذا النحو بسنين فوجد ذلك
أكثر من أربعمائة عنز فقال أنا أشتري بها مائة من البقر بكل أربعة أعنز ثورا أو بقرة
وأشتري أرضا وبذرا وأستأجر أكرة وأزرع على الثيران وأنتفع بألبان الإناث
ونتاجها فلا يأتي علي خمس سنين إلا وقد أصبت من الزرع مالا كثيرا فأبني بيتا
فاخرا وأشتري إماء وعبيدا وأتزوج امرأة جميلة ذات حسن (وأدخل بها فتحبل) ثم تأتي
بغلام سري نجيب فأختار له أحسن الأسماء فإذا ترعرع أدبته وأحسنت تأديبه
وأشدد عليه في ذلك فإن يقبل مني وإلا ضربته بهذه العكازة وأشار بيده إلى الجرة
فكسرها فسال ما كان فيها على وجهه وإنما ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجل بذكر
ما لا ينبغي ذكره وما لا تدري هل يصح أم لا يصح فاتعظ الناسك بما حكت زوجته ثم
إن المرأة ولدت غلاما جميلا ففرح به أبوه وبعد أيام حان لها أن تتطهر فقالت المرأة
للناسك اقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود ثم إنها انطلقت إلى الحمام
وخلفت زوجها والغلام فلم يلبث أن جاءه رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يخلفه عند
ابنه غير ابن عرس داجن عنده كان قد رباه صغيرا فهو عنده عديل ولده فتركه الناسك
عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول فخرج من بعض أجحار البيت
حية سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس ثم وثب عليها فقتلها ثم قطعها وامتلأ
فمه من دمها ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل
الحية فلما رآه ملوثا بالدم وهو مذعور طار عقله وظن أنه قد خنق ولده ولم يتثبت

أمره ولم يستثبت فيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظن من ذلك ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعكاز كان في يده على أم رأسه فمات ودخل الناسك فرأى الغلام سليما حيا وعنده أسود مقطع فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه وقال ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له ما شأنك فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له فقالت هذه ثمرة العجلة فهذا مثل من لا يتثبت في أمره بل يفعل أغراضه بالسرعة والعجلة انقضى باب الناسك وابن عرس

﴿ باب الجرذ والسنور ﴾

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل رجل كثر أعداؤه وأحدقوا به من كل جانب فاشرف معهم على الهلاك فالتمس النجاة والمخرج بموالاة بعض أعدائه ومصالحته فسلم من الخوف وأمن ثم وفى لمن صالحه منهم قال الفيلسوف ان المودة والعداوة لا تثبتان على حالة واحدة أبدا ورب ما حالت المودة الى العداوة وصارت العداوة ولاية وصداقة ولهذا حوادث وعلل وتجارب وذو الرأى يحدث لكل ما يحدث من ذلك رأيا جديدا أما من قبل العدو فبالبأس وأما من قبل الصديق فبالاستئناس ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربته والاستنجاد به على دفع مخوف أو جر مرغوب ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته ومثل ذلك مثل الجرذ والسنور حين وقعا في الورطة فنجيا باصطلاحهما جميعا من الورطة والشدة قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا أن شجرة عظيمة كان في أصلها جحر سنور يقال له رومي وكان قريبا منه جحر جرذ يقال له فريدون وكان الصيادون كثيرا ما يتداولون ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطير فنزل ذات يوم صياد فنصب حبالته قريبا من موضع رومي فلم يلبث ان وقع فيها فخرج الجرذ يدب ويطلب ما يأكل وهو حذر من رومي فبينما هو يسعى اذ بصر به في الشرك فسر واستبشر ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس يريد أخذه وفي الشجرة بوما يريد اختطافه فتحير في أمره وخاف ان رجع وراءه أخذه ابن عرس وان ذهب يمينا أو شمالا اختطفه البوم وان تقدم امامه افترسه السنور فقال في نفسه هذا بلاء قد اكتنفني وشرور تظاهرت

علىّ وهن قد أحاطت بي وبعد ذلك فهي عقلي فلا يفزعني أمري ولا يهولني شأني ولا
يلحقني الدهش ولا يذهب قلبي شعاعا فالعاقل لا يفرق عند سداد رأيه ولا يعزب عنه
ذهنه على حال وانما العقل شبيه بالبحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ البلاء من ذي
الرأي مجهوده فيهلكه وتحقق الرجاء لا ينبغي أن يبلغ منه مبلغا يبطره ويسكره فيعمي
عليه أمره ولست أرى لي من هذا البلاء مخلصا الا مصالحة السنور فانه قد نزل به من
البلاء مثل ما قد نزل بي أو بعضه ولعله ان سمع كلامي الذي أكلمه به ووعى عني فصيح
خطابي ومحض صدقي الذي لا خلاف فيه ولا خداع معه ففهمه وطمع في معونتي اياه
فيخلص جميعا ثم ان الجرذ دنا من السنور فقال له كيف حالك قال له السنور كما تحب في
ضنك وضيق قال وأنا اليوم شريكك في البلاء ولست أرجو لنفسي خلاصا الا بالذي
أرجو لك فيه الخلاص وكلامي هذا ليس فيه كذب ولا خديعة وابن عرس ها هو كامن
لي والبوم يرصدني وكلاهما لي ولك عدو فان أنت جعلت لي الامان قطعت حبائلك
وخلصتك من هذه الورطة فاذا كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه
كالسفينة والركاب في البحر فبالسفينة ينجون وبهم تنجو السفينة فلما سمع السنور
كلام الجرذ وعرف أنه صادق قال له ان قولك هذا الشبيه بالحق وأنا أيضا راغب فيما
أرجوك ولنفسي به الخلاص ثم انك ان فعلت ذلك سأشكرك ما بقيت قال الجرذ
فاني سأدنو منك فأقطع الحبائل كلها الا حبلا واحدا أبقيه لاستوثق لنفسي منك
ثم أخذ في تقريض حبائله ثم ان البوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيسا
منه وانصرفا ثم ان الجرذ أبطأ على رومي في قطع الحبائل فقال له ما لي لا أراك مجدا في
قطع حبائلي فان كنت قد ظفرت بحاجتك فتغيرت عما كنت عليه وتوانيت في
حاجتي فما ذلك من فعل الصالحين فان الكريم لا يتوانى في حق صاحبه وقد كان
لك في سابق مودتي من الفائدة والنفع ما قد رأيت وأنت حقيق ان تكافئني بذلك
ولا تذكر العداوة التي بيني وبينك فالذي حدث بيني وبينك من الصلح حقيق ان
ينسيك ذلك مع ما في الوفاء من الفضل والاجر وما في الغدر من سوء العاقبة فان
الكريم لا يكون الا شكورا غير حقود تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال
الكثيرة من الاساءة وقد يقال ان أعجل العقوبة عقوبة الغدر ومن اذا تضرع
اليه وسئل العفو لم يرحم ولم يعف فقد غدر قال الجرذ ان الصديق صديقان طائع

ومضطر وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة فأما الطامع فيسترسل
اليه ويؤمن في جميع الاحوال وأما المضطر ففي بعض الاحوال يسترسل اليه
وفي بعضها يتحذر منه ولا يزال العاقل يرتهن منه بعض حاجاته لبعض ما يتقي ويخاف
وليس عاقبة التواصل من المتواصل الا لطلب عاجل النفع وبلوغ مأموله وأنا
واف لك بما عاهدتك ومحترس منك مع ذلك من حيث أخافك تخوفا ان يصيبني
منك ما ألجأني خوفه الى مصالحتك والجأك الى قبول ذلك مني فان لكل عمل حينا
فما لم يكن منه في حينه فلا حسن لعاقبته وأنا قاطع حبائلك كلها غير اني تارك عقدة
واحدة أرتهنك بها ولا أقطعها الا في الساعة التي أعلم أنك فيها عني مشغول وذلك
عند معاينتي الصياد ثم ان الجرذ أخذ في قطع حبائل السنور فبينما هو كذلك اذ وافى
الصياد فقال له السنور الآن جاء الجد في قطع حبائلي فأجهد الجرذ نفسه في القرض
حتى اذا فرغ وثب السنور الى الشجرة على دهش من الصياد ودخل الجرذ بعض
الاجحار وجاء الصياد فأخذ حبائله مقطعة ثم انصرف خائبا ثم ان الجرذ خرج بعد
ذلك وكره ان يدنو من السنور فناداه السنور أيها الصديق الناصح ذو البلاء الحسن
عندي ما منعك من الدنو الي لأجازيك بأحسن ما أسديت الي هلم الي ولا تقطع اخائي
فانه من اتخذ صديقا وقطع اخاءه وأضاع صداقته حرم ثمرة اخائه وأيس من نفعه
الاخوان والاصدقاء وان يدك عندي لا تنسى وانت حقيق ان تلتمس مكافأة ذلك
مني ومن اخواني وأصدقائي ولا تخافن مني شيأ واعلم ان ما قبلي لك مبذول ثم حلف
واجتهد على صدقه فيما قال فناداه الجرذ رب صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة وهي
أشد من العداوة الظاهرة ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل
المغتلم ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن الفيل فيدوسه ويقتله وانما سمي
الصديق صديقا لما يرجى من نفعه وسمي العدو عدوا لما يخاف من ضرره والعاقل
اذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة واذا خاف ضر الصديق أظهر له العداوة ألا ترى
تتبع البهائم أمهاتها رجاء ألبانها فاذا انقطع ذلك انصرفت عنها وربما قطع الصديق
عن صديقه بعض ما كان يصله فلم يخف شره لأن أصل أمره لم يكن عداوة فأما من كان
أصل أمره عداوة جوهرية ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فانه اذا زالت
الحاجة التي حملته على ذلك زالت صداقته فتحولت عداوة وصار الى أصل أمره كالماء

الذي يسخن بالنار فاذا رفع عنها عاد باردا وليس من أعدائي عدو اضر لي منك وقد اضطرني واياك حاجة الى ما أحدثنا من المصالحة وقد ذهب الامر الذي احتجت الى واحتجت اليك فيه وأخاف ان يكون مع ذهابه عود العداوة ولا خير للضعيف في قرب العدو القوي ولا للذليل في قرب العدو العزيز ولا أعلم لك قبلي حاجة الا ان تكون تريد اكلي ولا أعلم لي قبلك حاجة وليس عندي بك ثقة فاني قد علمت ان الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب الى السلامة من القوي اذا اغتر بالضعيف واسترسل اليه والعاقل يصالح عدوه اذا اضطر اليه ويصانعه ويظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال اليه اذا لم يجد من ذلك بدا ثم يعجل الانصراف عنه حين يجد الى ذلك سبيلا واعلم ان سريع الاسترسال لا تقال عثرته والعاقل يفي لمن صالحه من أعدائه بما جعل له من نفسه ولا يثق به كل الثقة ولا يأمنه على نفسه مع القرب منه وينبغي أن يبعد عنه ما استطاع وأنا أودك من بعيد وأحب لك البقاء والسلامة مالم أكن أحبه لك من قبل ولا عليك ان تجازيني على صنيعي الا بمثل ذلك اذ لا سبيل الى اجتماعنا والسلام انقضى باب الجرذ والسنور

﴿باب ابن الملك والطائر فنزة﴾

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل أهل الترات الذين لا بد لبعضهم من اتقاء بعض قال بيدبا زعموا ان ملكا من ملوك الهند كان يقال له بريدون وكان له طائر يقال له فنزة وكان له فرخ وكان هذا الطائر وفرخه ينطقان بأحسن منطق وكان الملك بهما معجبا فأمر بهما أن يجعلا عند امرأته وأمرها بالمحافظة عليهما واتفق ان امرأة الملك ولدت غلاما فألف الفرخ الغلام وكلاهما طفلان يلعبان جميعا وكان فنزة يذهب الى الجبل كل يوم فيأتي بفاكهة لا تعرف فيطعم ابن الملك شطرها ويطعم فرخه شطرها فأسرع ذلك في نشأتهما وزاد في شبابهما وبان عليهما أثره عند الملك فازداد لفنزة اكراما وتعظيما ومحبة حتى اذا كان يوم من الايام وفنزة غائب في اجتناء الثمرة وفرخه في حجر الغلام فذرق في حجره فغضب الغلام وأخذ الفرخ فضرب به الارض فمات ثم ان فنزة أقبل فوجد فرخه مقتولا فصاح وحزن وقال قبحا للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء وويل لمن ابتلي بصحبة الملوك الذين

لا حمية لهم ولا حرمة ولا يحبون أحدا ولا يكرم عليهم الا اذا طمعوا فيما عنده من غناء
واحتاجوا الى ما عنده من علم فيكرمونه لذلك فاذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ولا اخاء
ولا احسان ولا غفران ذنب ولا معرفة حق هم الذين أمرهم مبني على الرياء والفجور
وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب ويستعظمون اليسير اذا خولفت
فيه أهواؤهم ومنهم هذا الكفور الذي لا رحمة له الغادر بابنه وأخيه ثم وثب في شدة
حنقه على وجه الغلام ففقأ عينيه ثم طار فوقع على شرفة المنزل ثم انه بلغ الملك ذلك
فجزع أشد الجزع ثم طمع أن يحتاله فوقف قريبا منه وناداه وقال له انك آمن فانزل
يا فنزة فقال له أيها الملك ان الغادر مأخوذ بغدره وانه ان أخطأه عاجل العقوبة لم
يخطئه الآجل حتى انه يدرك الاعقاب واعقاب الاعقاب وان ابنك غدر بابني فعجلت
له العقوبة قال الملك لعمري قد غدرنا بابنك فانتقمت منا فليس لك قبلنا ولا لنا قبلك
وتر مطلوب فارجع الينا آمنا قال فنزة لست براجع اليك أبدا فان ذوي الرأي قد نهوا
عن قرب الموتور فانه لا يزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمته اياك الا وحشة منه
وسوء ظن به فانك لا تجد للحقود الموتور أمانا هو أوثق لك من الذعر منه ولا أجود من
البعد عنه والاحتراس منه أولى وقد كان يقال ان العاقل يعد أبويه أصدقاء
والاخوة رفقاء والازواج ألفاء والبنين ذكرا والبنات خصماء والأقارب غرماء
ويعد نفسه فريدا وأنا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزودت من عندكم من
الحزن عبأ ثقيلا لا يحمله معي أحد وأنا ذاهب فعليك مني السلام قال له الملك انك
لو لم تكن اجتزيت منا فيما صنعناه بك بل كان صنيعك بنا من غير ابتداء منا بالغدر
كان الامر كما ذكرت واما اذ كنا نحن بدأناك فما ذنبك وما الذي يمنعك من الثقة بنا
هلم فارجع فانك آمن قال فنزة اعلم ان الاحقاد لها في القلوب مواقع ممكنة موجعة
فالالسن لا تصدق في خبرها عن القلوب والقلب أعدل شهادة من اللسان على القلب
وقد علمت أن قلبي لا يشهد للسانك ولا قلبك للساني قال الملك ألم تعلم أن الضغائن
والاحقاد تكون بين كثير من الناس فمن كان ذا عقل كان على اماتة الحقد أحرص
منه على تربيته قال فنزة ان ذلك لكما ذكرت ولكن ليس ينبغي لذي الرأي مع ذلك
أن يظن أن الموتور الحقود ناس ما وتر به ولا مصروف عنه فكره فيه وذو الرأي
يتخوف المكر والخديعة والحيل ويعلم ان كثيرا من العدو لا يستطاع بالشدة

والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن قال
الملك ان العاقل الكريم لا يترك إلفه ولا يقطع اخوانه ولا يضيع الحفاظ وان هو
خاف على نفسه حتى ان هذا الخلق يكون فى أوضع الدواب منزلة فقد علمت ان اللاعبين
يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها ويأكلونها ويرى الكلب الذى قد ألفهم ذلك فلا يدعوه
الى مفارقتهم ولا يمنعه من الفته اياهم قال فنزة ان الاحقاد مخوفة حيثما كانت
فاخوفها وأشدها ما كان فى أنفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الدرك
والطلب بالوتر مكرمة وفخرا وان العاقل لا يغتر بسكون الحقد اذا سكن فانما مثل الحقد
فى القلب اذا لم يجد محركا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا فليس ينفك الحقد
متطلعا الى العلل كما تبتغى النار الحطب فاذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفئه
حسن كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا مصانعة ولا شئ دون تلف
الانفس مع انه رب واتر يطمع فى مراجعة الموتور بما يرجو ان يقدر عليه من النفع له
والدفع عنه ولكنى أنا أضعف عن ان أقدر على شئ يذهب به ما فى نفسك ولو كانت
نفسك منطوية لى على ما تقول ما كان ذلك عنى مغنيا ولا ازال فى خوف ووحشة
وسوء ظن ما اصطحبنا فليس الرأى بينى وبينك الا الفراق وانا أقرأ عليك السلام
قال الملك لقد علمت انه لا يستطيع أحد لاحد ضرا ولا نفعا وانه لا شئ من الاشياء
صغير ولا كبير يصيب أحدا الا بقضاء وقدر معلوم وكما ان خلق ما يخلق وولادة
ما يولد وبقاء ما يبقى ليس الى الخلائق منه شئ كذلك فناء ما يفنى وهلاك ما يهلك
وليس لك فى الذى صنعت بابنى ذنب ولا لابنى فيما صنع بابنك ذنب انما كان ذلك كله
قدرا مقدورا وكلانا له علة فلا تؤاخذنا بما أتانا به القدر قال فنزة ان القدر لكما ذكرت
لكن لا يمنع ذلك الحازم من توقى المخاوف والاحتراس من المكاره ولكنه يجمع
تصديقا بالقدر وأخذا بالحزم والقوة وأنا أعلم انك تكلمنى بغير ما فى نفسك والامر
بينى وبينك غير صغير لان ابنك قتل ابنى وأنا فقأت عينى ابنك وأنت تريد أن تشتفى
بقتلى وتختلنى عن نفسى والنفس تأبى الموت وقد كان يقال الفاقة بلاء والحزن بلاء
وقرب العدو بلاء وفراق الاحبة بلاء والسقم بلاء والهرم بلاء ورأس البلايا كلها
الموت وليس أحد بأعلم بما فى نفس الموجع الحزين ممن ذاق مثل ما به فانا بما فى
نفسى عالم بما فى نفسك للمثل الذى عندى من ذلك ولا خير لى فى صحبتك فانك لن

تذكرني بابنك وان أتذكر صنيع ابنك بي الا أحدث ذلك القلوب تغييرا
قال الملك لا خير فيمن لا يستطيع الاعراض عما في نفسه وينساه ويهمله حتى
لا يذكر منه شيأً ولا يكون له في نفسه موقع قال فنزة ان الرجل الذي في باطن قدمه
قرحة ان هو حرص على المشي لا بد انه لا يزال ينكأ قرحته والرجل الارمد العين
اذا استقبل بها الريح تعرض لان تزداد رمدا وكذلك الواتر اذا دنا من الموتور فقد
عرض نفسه للهلاك ولا ينبغي لصاحب الدنيا الا توقي المهالك والمتالف وتقدير الامور
وقلة الاتكال على الحول والقوة وقلة الاغترار بمن لا يأمن فانه من اتكل على قوته
فحمله ذلك على ان يسلك الطريق المخوف فقد سعى في حتف نفسه ومن لا يقدر طاقته
طعامه وشرابه وحمل نفسه ما لا تطيق ولا تحمل فقد قتل نفسه ومن لم يقدر لقمته
وعظمها فوق ما يسع فوه فربما غص بها فمات ومن اغتر بكلام عدوه وانخدع له
وضيع الحزم فهو أعدى لنفسه من عدوه وليس لاحد النظر في القدر الذي لا يدري
ما يأتيه منه ولا ما يصرفه عنه ولكن عليه العمل بالحزم والاخذ بالقوة ومحاسبة نفسه
في ذلك والعاقل لا يثق بأحد ما استطاع ولا يقيم على خوف وهو يجد عنه مذهبا وانا
كثير المذاهب وارجو أن لا أذهب وجها الا أصبت فيه ما يغنيني فان خلالا خمسا من
تزودهن كفينه في كل وجه وآنسنه في كل غربة وقربن له البعيد واكسبنه المعاش
والاخوان أولهن كف الاذى والثانية حسن الادب والثالثة مجانبة الريب
والرابعة كرم الخلق والخامسة النبل في العمل واذا خاف الانسان على نفسه شيأ
طابت نفسه عن المال والاهل والولد والوطن فانه يرجو الخلف من ذلك كله ولا
يرجو عن النفس خلفا وشر المال ما لا انفاق منه وشر الازواج التي لا تؤاتي بعلها وشر
الولد العاصي العاق لوالديه وشر الاخوان الخاذل لاخيه عند النكبات والشدائد
وشر الملوك الذي يخافه البريء ولا يواظب على حفظ أهل مملكته وشر البلاد بلاد
لا خصب فيها ولا أمن وانه لا آمن لي عندك أيها الملك ولا طمأنينة لي في جوارك ثم
ودع الملك وطار فهذا مثل ذوي الاوتار الذين لا ينبغي لبعضهم أن يثق ببعض انقضى
باب ابن الملك والطائر

(باب الاسد والشعهر الناسك وهو ابن آوى)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الملك الذي

يراجع

يراجع من أصابته منه عقوبة من غير جرم أو جفوة من غير ذنب قال الفيلسوف ان
الملك لو لم يراجع من أصابته منه جفوة عن ذنب أو عن غير ذنب ظلم أو لم يظلم لأضر ذلك
بالامور ولكن الملك حقيق أن ينظر في حال من ابتلى بذلك ويختبر ما عنده من المنافع
فان كان ممن يوثق به في رأيه وأمانته فان الملك حقيق بالحرص على مراجعته فان
الملك لا يستطاع ضبطه الا مع ذوى الرأى وهم الوزراء والاعوان ولا ينتفع بالوزراء
والاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا مودة ولا نصيحة الا لذوى الرأى والعفاف وأعمال
السلطان كثيرة والذين يحتاج اليهم من العمال والاعوان كثيرون ومن يجمع منهم
ما ذكرت من النصيحة والعفاف قليل والمثل في ذلك مثل الاسد وابن آوى قال الملك
وكيف كان ذلك قال الفيلسوف زعموا ان ابن آوى كان يسكن في بعض الدحال
وكان متزهدا متعففا مع بنات آوى وذئاب وثعالب ولم يكن يصنع ما يصنعن ولا يغير
كما يغرن ولا يهريق دما ولا يأكل لحما فخاصمته تلك السباع وقلن لا نرضى بسيرتك
ولا رأيك الذي أنت عليه من تزهدك مع ان تزهدك لا يغني عنك شيأ وأنت لا تستطيع
ان تكون الا كأحدنا تسعى معنا وتفعل فعلنا فما الذي كفك عن الدماء وعن أكل
اللحم قال ابن آوى ان صحبتي اياكن لا تؤثمني اذا لم أوثم نفسي لان الآثام ليست من
قبل الاماكن والاصحاب ولكنها من قبل القلوب والاعمال ولو كان صاحب المكان
الصالح يكون عمله فيه صالحا وصاحب المكان السيء يكون عمله فيه سيأ كان حينئذ
من قتل الناسك في محرابه لم يأثم ومن استحياه في معركة القتال اثم واني انما
صحبتكن بنفسي ولم أصحبكن بقلبي واعمالي لاني أعرف ثمرة الاعمال فلزمت حالي
وثبت ابن آوى على حاله تلك واشتهر بالنسك والتزهد حتى بلغ ذلك أسدا كان ذلك
تلك الناحية فرغب فيه لما بلغه عنه من العفاف والنزاهة والزهد والامانة فارسل
اليه يستدعيه فلما حضر كلمه وآنسه ثم دعاه بعد أيام الى صحبته وقال له تعلم ان أعمالي
كثيرة واعواني جم غفير وأنا مع ذلك الى الاعوان محتاج وقد بلغني عنك عفاف
فازددت فيك رغبة وأنا موليك من عملي جسيما ورافعك الى منزلة شريفة وجاعلك من
خاصتي قال ابن آوى ان الملوك احقاء باختيار الاعوان فيما يحبون به من أعمالهم
وأمورهم وهم أحرى ان لا يكرهوا على ذلك أحدا فان المكره لا يستطيع المبالغة في
العمل واني لعمل السلطان كاره وليس لي به تجربة ولا بالسلطان رفق وأنت ملك

السباع وعندك من أجناس الوحوش عدد كثير فيهم أهل نبل وقوة ولهم على العمل
حرص وعندهم به وبالسلطان رفق فان استعملتهم أغنوا عنك واغتبطوا لانفسهم
بما أصابهم من ذلك قال الاسد دع عنك هذا فاني غير معفيك من العمل قال ابن آوى
انما يستطيع خدمة السلطان رجلان لست بواحد منهما اما فاجر مصانع ينال حاجته
بفجوره ويسلم بمصانعته واما مغفل لا يحسده أحد فمن أراد ان يخدم السلطان بالصدق
والعفاف فلا يخلط ذلك بمصانعة وحينئذ قل أن يسلم على ذلك لانه يجتمع عليه عدو
السلطان وصديقه بالعداوة والحسد اما الصديق فينافسه في منزلته ويبغي عليه
فيها ويعاديه لاجلها واما عدو السلطان فيضطغن عليه لنصيحته لسلطانه واغنائه
عنه فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان فقد تعرض للهلاك قال الاسد لا يكونن في
أصحابي عليك وحسدهم اياك عما يعرض في نفسك فانت معي وأنا أكفيك ذلك وابلغ
بك من درجات الكرامة والاحسان على قدر همتك قال ابن آوى ان كان الملك
يريد الاحسان الي فليدعني في هذه البرية أعيش آمنا قليل الهم راضيا بعيشي من
الماء والحشيش فاني قد علمت ان صاحب السلطان يصل اليه من الاذى والخوف في
ساعة واحدة ما لا يصل الى غيره في طول عمره وان قليلا من العيش في أمن وطمأنينة
خير من كثير من العيش في خوف ونصب قال الاسد قد سمعت مقالتك فلا تخف
شيأ مما أراك تخاف منه ولست أجد بدا من الاستعانة بك في أمري قال ابن آوى اما
اذا أبى الملك الا ذلك فليجعل لي عهدا ان بغى علي أحد من أصحابه عنده ممن هو فوقي
مخافة على منزلته أو ممن هو دوني لينازعني في منزلتي فذكر عند الملك منهم ذكر
بلسانه أو على لسان غيره ما يريد به تحميل الملك علي ان لا يعجل في أمري وان يتثبت
فيما يرفع اليه ويذكر عنده من ذلك ويفحص عنه ثم ليصنع ما بدا له فاذا وثقت منه
بذلك أعنته بنفسي فيما يحب وعملت له فيما أولاني بنصيحة واجتهاد وحرصت على ان
لا أجعل له على نفسي سبيلا قال الاسد ذلك لك علي وزيادة ثم ولاه خزائنه واختص
به دون أصحابه وزاد في كرامته فلما رأى أصحاب الاسد ذلك غاظهم وساءهم فاجمعوا
كيدهم واتفقوا كلهم على ان يحملوا عليه الاسد وكان الاسد قد استطاب لحما
فعزل منه مقدارا وأمره بالاحتفاظ به وان يرفعه في أحصن موضع طعامه وأحرزه
ليعاد عليه فأخذوه من موضعه وحملوه الى بيت ابن آوى فخبؤه فيه ولا علم له به

ثم

ثم حضر وايكذبونه ان جرت فى ذلك حال فلما كان من الغد ودعا الأسد بغدائه
فقد ذلك اللحم فالتمسه ولم يجدوه وابن آوى لم يشعر بما صنع فى حقه من المكيدة
فحضر الذين عملوا المكيدة وقعدوا فى المجلس ثم ان الملك سأل عن اللحم وشدد فيه وفى
المسئلة عنه فنظر بعضهم الى بعض فقال أحدهم قول المخبر الناصح انه لا بد لنا من
ان نخبر الملك بما يضره وينفعه وان شق ذلك على من يشق عليه وانه بلغنى ان ابن آوى
هو الذى ذهب باللحم الى منزله قال الآخر لا أراه يفعل هذا ولكن انظروا وافحصوا
فان معرفة الخلائق شديدة فقال الآخر لعمرى ما تكاد السرائر أن تعرف واظنكم
ان فحصتم عن هذا وجدتم اللحم ببيت ابن آوى وكل شىء يذكر من عيوبه وخيانته
نحن أحق ان نصدقه قال الآخر لئن وجدنا هذا حقا فليست بالخيانة فقط ولكن
مع الخيانة كفر النعمة والجراءة على الملك قال الآخر انتم اهل العدل والفضل
لا أستطيع ان أكذبكم ولكن سيبين هذا لو ارسل الملك الى بيته من يفتشه قال آخر
ان كان الملك مفتشا منزله فليعجل فان عيونه وجواسيسه مبثوثة بكل مكان ولم
يزلوا فى هذا الكلام واشباهه حتى وقع فى نفس الاسد ذلك فأمر بابن آوى فحضر
فقال له أين اللحم الذى أمرتك بالاحتفاظ به قال دفعته الى صاحب الطعام ليقربه
الى الملك فدعا الأسد بصاحب الطعام وكان ممن شايع وبايع مع القوم على ابن آوى
فقال ما دفع الى شيأ فارسل الأسد امينا الى بيت ابن آوى ليفتشه فوجد فيه ذلك
اللحم فأتى به الأسد فدنا من الاسد ذئب لم يكن تكلم فى شىء من ذلك وكان يظهر انه
من العدول الذين لا يتكلمون فيما لا يعلمون حتى يتبين لهم الحق فقال بعد ان
أطلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفون عنه فانه ان عفا عنه لم يطلع الملك بعدها
على خيانة خائن ولا ذنب مذنب فأمر الاسد بابن آوى ان يخرج ويحتفظ به فقال
بعض جلساء الملك انى لأعجب من رأى الملك ومعرفته بالامور كيف يخفى عليه أمر
هذا ولم يعرف خبه ومخادعته واعجب من هذا انى أراه سيصفح عنه بعد الذى ظهر منه
فأرسل الاسد بعضهم رسولا الى ابن آوى يلتمس منه العذر فرجع اليه الرسول
برسالة كاذبة اخترعها فغضب الاسد من ذلك وأمر بابن آوى ان يقتل فعلمت ام
الاسد انه قد عجل فى أمره فأرسلت الى الذين أمروا بقتله ان يؤخروه ودخلت على
ابنها فقالت يا بنى بأى ذنب أمرت بقتل ابن آوى فأخبرها بالأمر فقالت يا بنى عجلت

واغـا يسلم العاقل من الندامة بترك العجـلة وبالتثبت والعجلة لا يزال صاحبها يجتنى ثمرة الندامة بسبب ضعف الرأى وليس أحـد أحوج الى التؤدة والتثبت من الملوك فان المرأة بزوجها والولد بوالديه والمتعلم بالمعلم والجند بالقائد والناسك بالدين والعامة بالملوك والملوك بالتقوى والتقوى بالعقل والعقل بالتثبت والاناة ورأس الكل الحزم ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وانزالهم منازلهم على طبقاتهم واتهامه بعضهم على بعض فانه لو وجـد بعضـهم الى هـلاك بعض سبيلا لفعل وقد جربت ابن آوى وبلوت رأيه وأمانتـه ومروأته ثم لم تزل مادحاله راضيا عنـه وليس ينبغى للملك ان يستخونه بعـد ارتضائه اياه وائتمانه له ومنـذ مجيئه الى الآن لم يطلع له عـلى خيانة الا على العفة والنصيحة وما كان من رأى الملك ان يعجل عليه لاجل طابق لحم وأنت أيها الملك حقيق ان تنظر فى حال ابن آوى وتعلم انه لم يكن يتعرض للحم استودعته اياه ولعل الملك ان فحص عن ذلك ظهر له أن ابن آوى له خصماء هـم الذين ائتمروا بهذا الامر وهم الذين ذهبوا باللحم الى بيته فوضعوه فيه فان الحدأة اذا كان فى رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطيور والكلاب اذا كان معـه عظم اجتمعت عليـه الكلاب وابن آوى منـذ كان الى اليوم نافعا وكان محتملا لكل ضرر فى جنب منفعة تصل اليك ولكل عناء يكون لك فيه راحة ولم يكن يطوى دونك سرا فبينما أم الاسد تقص عليه هذه المقالة اذ دخل على الاسد بعض ثقاته فأخبره ببراءة ابن آوى فقالت أم الاسـد بعـد ان اطلع الملك على براءة ابن آوى فهو حقيق ان لا يرخص لمن سـعى به لئلا يتجرؤا على ما هو أعظم من ذلك ولكن يعاقبهم عليـه لكى لا يعودوا الى مثله فانه لا ينبغى للعاقل ان يراجع فى أمر الكفور للحسـنى الجرى على الغدر الزاهد فى الخير الذى لا يوقن بالآخرة وينبغى انه يجزى بعمله وقـد عرفت سرعة الغضب وفرط الهفوة ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير والأولى للملك ان تراجع ابن آوى وتعطف عليه ولا يؤيسنك من مناصحته ما فرط منك اليه من الاساءة فان من الناس من لا ينبغى تركه على حال من الاحوال وهو من عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد والشكر والوفاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعـد من الاذى والاحتمال للاخوان والاصحاب وان ثقلت عليه منهـم المؤنة واما من ينبغى تركه فهو من عرف بالشراسة ولؤم العهد وقلة الشكر والوفاء والبعد من الرحمـة والورع واتصف بالجحود

لثواب الآخرة وعقابها وقد عرفت ابن آوى وجربته وأنت حقيق بمواصلته فدعا الاسد
بابن آوى واعتذر اليه مما كان منه ووعده خيرا وقال انى معتذر اليك وراد لك الى
منزلتك فقال ابن آوى ان شر الاخلاء من التمس منفعة نفسه بضر أخيه ومن كان
غير ناظر له كنظره لنفسه أو كان يريد ان يرضيه بغير الحق لاجل اتباع هواه وكثيرا
ما يقع ذلك بين الاخلاء وقد كان من الملك الى ما علم فلا يغلظن على نفسه ما أخبره به انى به
غير واثق وانه لا ينبغى لى ان أصحبه فان الملوك لا ينبغى لهم ان يصحبوا من عاقبوه أشد
العقاب ولا ينبغى لهم ان يرفضوه أصلا فان ذا السلطان اذا عزل كان مستحقا للكرامة
فى حالة ابعاده والاقصاء له فلم يلتفت الاسد الى كلامه ثم قال له انى قد بلوت طباعك
وأخلاقك وجربت أمانتك ووفاءك وصدقك وعرفت كذب من تحمل الحيل التحميل
عليك وانى منزلك من نفسى منزلة الاخيار الكرماء والكريم تنسيه الخلة الواحدة
من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة وقد عدنا الى الثقة بك فعد الى الثقة بنا
فانه كان لنا ولك بذلك غبطة وسرور فعاد ابن آوى الى ولاية ما كان يلى وضاعف له
الملك الكرامة ولم تزده الايام الا تقربا من السلطان انقضى باب الاسد وابن آوى

(باب ايلاذ وبلاذ وايراخت)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى الاشياء
التى يجب على الملك ان يلزم بها نفسه ويحفظ ملكه ويثبت سلطانه ويكون ذلك
رأس امره وملاكه ابالحلم أم بالمروأة ام بالشجاعة ام بالجود قال بيدبا ان أحق ما يحفظ
به الملك ملكه الحلم وبه تثبت السلطنة والحلم رأس الامور وملاكها واجود ما كان
فى الملوك كالذى زعموا من انه كان ملك يدعى بلاذ وكان له وزير يدعى ايلاذ وكان
متعبدا ناسكا فنام الملك ذات ليلة فرأى فى منامه ثمانية أحلام أفزعته فاستيقظ
فزعا فدعا بالبراهمة وهم النساك ليعبروا رؤياه فلما حضروا بين يديه قص عليهم
ما رأى فقالوا بأجمعهم لقد رأى الملك عجبا فان أمهلنا سبعة أيام جئناه بتأويله قال
الملك قد أمهلتكم فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا فى منزل أحدهم واتمروا بينهم
وقالوا قد وجدتم علما واسعا تدركون به ثأركم وتنتقمون من عدوكم وقد علمتم انه
قتل منا بالامس اثنى عشر ألفا وها هو قد أطلعنا على سره وسألنا تفسير رؤياه فهلموا

فنغلظ له القول ونخوفه حتى يحمله الفرق والجزع على ان يفعل الذي نريد ونأمره
فنقول ادفع الينا أحباءك ومن يكرم عليك حتى نقتلهم فانا قد نظرنا في كتبنا فلم نر ان
يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا الشر الا بقتل من نسمي لك فان قال
الملك ومن تريدون ان تقتلوا سموهم لي قلنا نريد الملكة ايراخت ام جوير المحمودة أكرم
نسائك عليك ونريد جوير أحب بنيك اليك وأفضلهم عندك ونريد ابن أخيك
الكريم وايلاذ خليلك وصاحب أمرك ونريد كالا الكاتب صاحب سرك وسيفك
الذي لا يوجد مثله والفيل الابيض الذي لا تلحقه الخيل والفرس الذي هو مركبك
في القتال ونريد الفيلين الآخرين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذكر
ونريد البختي السريع القوي ونريد كباريون الحكيم الفاضل العالم بالامور
لننتقم منه بما فعل بنا ثم نقول له انما ينبغي لك أيها الملك أن تقتل هؤلاء الذين
سميناهم لك ثم تجعل دماءهم في حوض تملؤه ثم تقعد فيه فاذا خرجت من الحوض
اجتمعنا نحن معاشر البراهمة من الآفاق الاربعة فنجول حولك فنرقيك وننفل عليك
ونمسح عنك الدم ونغسلك بالماء والدهن الطيب ثم تقوم الى منزلك البهي فيدفع
الله بذلك البلاء الذي نتخوفه عليك فان صبرت أيها الملك وطابت نفسك من أحبائك
الذين ذكرنا لك وجعلتهم فداءك تخلصت من البلاء واستقام لك ملكك وسلطانك
واستخلفت من بعدهم من أحببت وان أنت لم تفعل تخوفنا عليك أن يغصب ملكك
أو تهلك فان هو أطاعنا فيما نأمره قتلناه أي قتلة شئنا فلما اجمعوا أمرهم على
ما ائتمروا به رجعوا اليه في اليوم السابع وقالوا له أيها الملك انا نظرنا في كتبنا
في تفسير ما رأيت وفحصنا عن الرأي فيما بيننا فليكن لك أيها الملك الطاهر الصالح
الكرامة ولسنا نقدر أن نعلمك بما رأينا الا أن تخلو بنا فأخرج الملك من كان عنده
وخلا بهم فحدثوه بالذي ائتمروا به فقال لهم الموت خير لي من الحياة ان انا قتلت
هؤلاء الذين هم عديل نفسي وأنا ميت لا محالة والحياة قصيرة ولست كل الدهر
ملكا وان الموت عندي وفراق الاحباء سواء فقال له البراهمة ان أنت لم تغضب
أخبرناك فأذن لهم فقالوا أيها الملك انك لم تقل صوابا حين تجعل نفس غيرك أعز
عندك من نفسك فاحتفظ بنفسك وملكك واعمل هذا الذي لك فيه الرجاء العظيم
على ثقة و يقين وقر عينا بملكك في وجوه أهل مملكتك الذين شرفت وكرمت بهم

ولا

ولا تدع الامر العظيم وتأخذ بالضعيف فتهلك نفسك ايشار الى قصب واعلم أيها
الملك ان الانسان انما يحب الحياة محبة لنفسه وانه لا يحب من أحب من الاحباب
الا ليتمتع بهم في حياته وانما قوام نفسك بعد الله تعالى بملكك وانت لم تنل ملكك
الا بالمشقة والعناء الكثير في الشهور والسنين وليس ينبغي أن ترفضه ويهون
عليك فاستمع كلامنا فانظر لنفسك فيما هاودع ماسواها فانه لا خطر له فلما رأى
الملك ان البراهمين قد أغلظوا له في القول واجترؤا عليه في الكلام اشتد غمه
وحزنه وقام من بين ظهرانيهم ودخل الى حجرته فخر على وجهه يبكي ويتقلب كما تتقلب
السمكة اذا خرجت من الماء وجعل يقول في نفسه ما أدرى أى الامرين أعظم في
نفسي الهلكة أم قتل أحبائي ولن أنال الفرح ما عشت وليس ملكي بباق على الى
الابد ولست بالمصيب سؤلي في ملكي واني لزاهد في الحياة اذا لم أر ايراخت وكيف أقدر
على القيام بملكي اذا هلك وزيرى ايلاذ وكيف اضبط أمرى اذا هلك فيلي الابيض
وفرسى الجواد وكيف أدعى ملكا وقد قتلت من أشار البراهمة بقتله وما أصنع بالدنيا
بعدهم ثم ان الحديث فشا في الارض بحزن الملك وهمه فلما رأى ايلاذ ما نال الملك من
الهم والحزن فكر بحكمته ونظر وقال ما ينبغي لى أن أستقبل الملك فاسأله عن هذا
الامر الذي قد ناله من غير أن يدعوني ثم انطلق الى ايراخت فقال انى منذ خدمت
الملك الى الآن لم يعمل عملا الا بمشورتي ورأيي ولم أره يكتم عني أمرا الا أعلم ما هو ولا
أراه يظهر منه شيء واني رأيته خاليا مع جماعة البرهميين منذ ليال وقد احتجب عنا
فيها وأنا خائف أن يكون قد أطلعهم على شيء من أسراره فلست آمنهم أن يشيروا عليه
بما يضره ويدخل عليه منه السوء فقومي وادخلي عليه فاسأليه عن أمره وشأنه
واخبريني بما هو عليه واعلميني فاني لست أقدر على الدخول عليه فلعل البرهميين قد
زينوا له أمرا وحملوه على خطة قبيحة وقد علمت ان من خلق الملك انه اذا غضب لا يسأل
أحدا وسواء عنده صغير الامور وكبيرها فقالت ايراخت انه كان بيني وبين الملك
بعض العتاب فلست بداخلة عليه في هذا الحال فقال لها ايلاذ لا تحملي عليه الحقد
في مثل هذا ولا يخطرن ذلك على بالك فليس يقدر على الدخول عليه أحد سواك وقد
سمعته كثيرا يقول ما أشتد غمي ودخلت على ايراخت الا سرى ذلك عني فقومي اليه
واصفحي عنه وكلميه بما تعلمين انه تطيب به نفسه ويذهب الذي يجده واعلميني بما يكون

جوابه فانه لنا ولاهل المملكة أعظم الراحة فانطلقت ايراخت فدخلت على الملك
فلبثت عند رأسه فقالت ما الذى بك أيها الملك المحمود وما الذى سمعت من البراهمة
فانى أراك محزونا فاعلمنى ما بك فقد ينبغى لنا أن نحزن معك ونواسيك بأنفسنا فقال
الملك أيتها المرأة لا تسألينى عن أمرى فتزيدينى غما وحزنا فانه أمر لا ينبغى أن تسألينى
عنه قالت أوقد نزلت عندك منزلة من يستحق هذا انما أحمد الناس عقلا من اذا نزلت
به النازلة كان لنفسه أشد ضبطا وأكثرهم استماعا من أهل النصح حتى يخرجوا من
تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة فعظيم الذنب لا يقنط من الرحمة ولا
تدخلن عليك شيأ من الهم والحزن فانهما لا يردان شيأ مقضيا الا انهما ينحلان
الجسم ويشفيان العدو وقال لها الملك لا تسألينى عن شئ فقد شققت على والذى
تسألينى عنه لا خير فيه لان عاقبته هلاكى وهلاكك وهلاك كثير من أهل مملكتى
ومن هو عديل نفسى وذلك ان البراهمة زعموا انه لا بد من قتلك وقتل كثير من أهل
مودتى ولا خير فى العيش بعدكم وهل أحد يسمع بهذا الا اعتراه الحزن فلما سمعت ذلك
ايراخت جزعت ومنعها عقلها أن تظهر للملك جزعا فقالت أيها الملك لا تجزع فنحن لك
الفداء ولك فى سواى ومثلى من الجوارى ما تقر به عينك ولكنى أطلب منك أيها
الملك حاجة يحملنى على طلبها حبى لك وايثارى اياك وهى نصيحتى لك قال الملك وما
هى قالت أطلب منك ان لا تثق بعدها بأحد من البراهمة ولا تشاورهم فى أمر حتى
تتثبت فى أمرك ثم تشاور فيه ثقاتك مرارا فان القتل أمر عظيم ولست تقدر على ان
تحيى من قتلت وقد قيل فى الحديث اذا لقيت جوهرا لا خير فيه فلا تلقه من يدك حتى
تريه من يعرفه وانت أيها الملك لا تعرف أعداءك واعلم ان البراهمة لا يحبونك وقد
قتلت منهم بالامس اثنى عشر ألفا ولا تظن ان هؤلاء ليسوا من أولئك ولعمرى
ما كنت جديرا أن تخبرهم برؤياك ولا ان تطلعهم عليها وانما قالوا لك ما قالوا لاجل
الحقد الذى بينك وبينهم لعلهم يهلكونك ويهلكون احباءك ووزيرك فيبلغون
قصدهم منك فأظنك لو قبلت منهم فقتلت من أشاروا بقتله ظفروا بك وغلبوك على
ملكك فيعود الملك اليهم كما كان فانطلق الى كباريون الحكيم فهو عالم فطن فأخبره
بما رأيت فى رؤياك واسأله عن وجوهها وتأويلها فلما سمع الملك ذلك سرى عنه ما كان
يجده من الغم فأمر بفرسه فأسرج فركبه ثم انطلق الى كباريون الحكيم فلما انتهى

اليه

اليه نزل عن فرسه وسجد له وقام مطاطئ الرأس بين يديه فقال له الحكيم ما بالك أيها
الملك ومالى أراك متغير اللون فقال له الملك انى رأيت فى المنام ثمانية احلام فقصصتها
على البراهمة وأنا خائف ان يصيبنى من ذلك عظيم أمر مما سمعت من تعبيرهم لرؤياى
واخشى أن يغصب منى ملكى أوان أغلب عليه فقال له الحكيم ان شئت أن تقص
رؤياك على فاقصص عليه الملك رؤياه قال لا يحزنك أيها الملك هذا الامر ولا تخف
منه * أما السمكتان الحمراوان اللتان رأيتهما قائمتين على اذنابهما فانه يأتيك رسول
من ملك نهاوند بعلبة فيها عقدان من الدر والياقوت الاحمر قيمتهما أربعة آلاف
رطل من ذهب فيقوم بين يديك * وأما الوزتان اللتان رأيتهما طارتا من وراء ظهرك
فوقعتا بين يديك فانه يأتيك من ملك بلخ فرسان ليس على الارض مثلهما فيقومان
بين يديك * وأما الحية التى رأيتها تدب على رجلك اليسرى فانه يأتيك من ملك صنجين
من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لا يوجد مثله * وأما الدم الذى رأيت كأنه
خضب به جسدك فانه يأتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس معجب
يسمى حلة أرجوان يضيء فى الظلمة * وأما ما رأيت من غسلك جسدك بالماء فانه
يأتيك من ملك رهزين من يقوم بين يديك بثياب كتان من لباس الملوك * وأما
ما رأيت من انك على جبل أبيض فانه يأتيك من ملك كيدور من يقوم بين يديك
بفيل أبيض لا تلحقه الخيل * وأما ما رأيت على رأسك شبيها بالنار فانه يأتيك من
ملك أرزن من يقوم بين يديك باكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت * وأما الطير
الذى رأيته ضرب رأسك بمنقاره فلست مفسرا ذلك اليوم وليس بضارك فلا توجلن
منه ولكن فيه بعض السخط والاعراض عما تحبه فهذا تفسير رؤياك أيها الملك
وأما هذه الرسل والبرد فانهم يأتونك بعد سبعة أيام جميعا فيقومون بين يديك فلما سمع
الملك ذلك سجد لكباريون ورجع الى منزله فلما كان بعد سبعة أيام جاءت البشائر
بقدوم الرسل فخرج الملك فجلس على التخت وأذن للاشراف وجاءته الهدايا كما أخبره
كباريون الحكيم فلما رأى الملك ذلك اشتد عجبه وفرحه من علم كباريون وقال
ما وفقت حين قصصت رؤياى على البراهمة فأمرونى بما أمرونى به ولولا ان الله تعالى
تداركنى برحمته لكنت قد هلكت وأهلكت وكذلك لا ينبغى لكل أحد أن يسمع
الا من الاخلاء ذوى العقول وان ايراخت أشارت بالخير فقبلته ورأيت به النجاح

فضعوا الهدية بين يديه لتأخذ منها ما اختارت ثم قال لإيلاذ خذ الاكاليل والثياب
واحملها واتبعني بها الى مجلس النساء ثم ان الملك دعا ايراخت وحورقناه أكرم نسائه
بين يديه فقال لإيلاذ ضع الكسوة والاكاليل بين يدي ايراخت لتأخذ أيها شاءت
فوضعت الهدايا بين يدي ايراخت منها فأخذت منها الاكاليل وأخذت حورقناه كسوة
من أفخر الثياب وأحسنها وكان من عادة الملك ان يكون ليلة عند ايراخت وليلة عند
حورقناه وكان من سنة الملك أن تهيئ له المرأة التي يكون عندها في ليلتها
ارزا بحلاوة فتطعمه اياه فأتى الملك ايراخت في نوبتها وقد صنعت له ارزا فدخلت
عليه بالصحفة والاكليل على رأسها فعلمت حورقناه بذلك فغارت من ايراخت فلبست
تلك الكسوة ومرت بين يدي الملك وتلك الثياب تضيء عليها مع نور وجهها
كما تضيء الشمس فلما رآها الملك اعجبته ثم التفت الى ايراخت فقال انك جاهلة حين
أخذت الاكليل وتركت الكسوة التي ليس في خزائننا مثلها فلما سمعت ايراخت
مدح الملك لحورقناه وثناءه عليها وتعجبه بها دونها وذم رأيها أخذها من ذلك الغيرة
والغيظ فضربت بالصحفة رأس الملك فسال الارز على وجهه فقام الملك من مكانه
ودعا بإيلاذ فقال له الا ترى وأنا ملك العالم كيف حقرتني هذه الجاهلة وفعلت بي
ما ترى فانطلق بها فاقتلها ولا ترحمها فخرج ايلاذ من عند الملك وقال لا أقتلها حتى
يسكن عنه الغضب فان المرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل في
النساء وليس الملك بصابر عنها وقد خلصته من الموت وعملت اعمالا صالحة ورجاؤنا
فيها عظيم ولست آمن ان يقول لم لم تؤخر قتلها حتى تراجعني فلست قاتلها حتى
انظر رأي الملك فيها ثانية فان رأيته نادما حزينا على ما صنع جئت بها حية وكنت قد
عملت عملا عظيما وانجيت ايراخت من القتل وحفظت قلب الملك واتخذت عند عامة
الناس بذلك يدا وان رأيته فرحا مستريحا مصوبا رأيه في الذي فعله وأمر به فقتلها
لا يفوت ثم انطلق بها الى منزله ووكل بها خادما من امنائه وأمره بخدمتها وحراستها
حتى ينظر ما يكون من أمرها وأمر الملك ثم خضب سيفه بالدم ودخل على الملك
كالكئيب الحزين فقال أيها الملك اني قد أمضيت أمرك في ايراخت فلم يلبث الملك ان
سكن عنه الغضب وذكر جمال ايراخت وحسنها واشتد أسفه عليها وجعل يعزي نفسه
عنها ويتجلد وهو مع ذلك يستحي ان يسأل ايلاذ أحقا امضى أمره فيها أم لا ورجا لما

عرف من عقل ايلاذ أن لا يكون قد فعل ذلك ونظر اليه ايلاذ بفضل عقله فعلم الذى به
فقال له لا تهتم ولا تحزن أيها الملك فانه ليس فى الهم والحزن منفعة ولكنهما ينحلان
الجسم ويفسدانه فاصبر أيها الملك على ما لست بقادر عليه أبدا وان أحب الملك حدثته
بحديث يسليه قال حدثنى قال ايلاذ زعموا ان حمامتين ذكرا وأنثى ملآ عشهما من
الحنطة والشعير فقال الذكر للانثى انا اذا وجدنا فى الصحارى ما نعيش به فلسنا نأكل
مما ههنا شيأ فاذا جاء الشتاء ولم يكن فى الصحارى شئ رجعنا الى ما فى عشنا فأكلناه
فرضيت الانثى بذلك وقالت له نعم ما رأيت وكان ذلك الحب نديا حين وضعاه فى عشهما
فانطلق الذكر فغاب فلما جاء الصيف يبس الحب وانضمر فلما رجع الذكر رأى
الحب ناقصا فقال لها أليس كنا جمعنا رأينا على أن لا نأكل منه شيأ فلم أكلته فجعلت
تحلف انها ما أكلت منه شيأ وجعلت تعتذر اليه فلم يصدقها وجعل ينقرها حتى
ماتت فلما جاءت الامطار ودخل الشتاء تندى الحب وامتلأ العش كما كان فلما رأى
الذكر ذلك ندم ثم اضطجع الى جانب حمامته وقال ما ينفعنى الحب والعيش بعدك
اذا طلبتك فلم أجدك ولم أقدر عليك واذا فكرت فى أمرك وعلمت انى قد
ظلمتك ولا أقدر على تدارك ما فات ثم استمر على حزنه فلم يطعم طعاما ولا شرابا حتى مات
الى جانبها والعاقل لا يعجل فى العذاب والعقوبة ولا سيما من يخاف الندامة كما ندم
الحمام الذكر وقد سمعت أيضا ان رجلا دخل الجبل وعلى رأسه كارة من العدس فوضع
الكارة عن ظهره ليستريح فنزل قرد من شجرة فأخذ ملء كفه من العدس وصعد الى
الشجرة فسقطت من يده حبة فنزل فى طلبها فلم يجدها وانتثر ما كان فى يده من العدس
أجمع وأنت أيضا أيها الملك عندك ستة عشر ألف امرأة تدعو ان تلهو بهن وتطلب
التى لا تجد فلما سمع الملك ذلك خشى أن تكون ايراخت قد هلكت فقال لايلاذ لم لا
تأنيت وتثبت بل أسرعت عند سماع كلمة واحدة فقتلتها وفعلت ما أمرتك به من
ساعتك قال ايلاذ ان الذى قوله واحد لا يختلف هو الله الذى لا تبديل لكلماته ولا
اختلاف لقوله قال الملك لقد أفسدت أمرى وشددت حزنى بقتلى ايراخت قال
ايلاذ اثنان ينبغى لهما ان يحزنا الذى يعمل الاثم فى كل يوم والذى لا يعمل خيرا قط
لان فرحهما فى الدنيا ونعيمهما قليل وندامتهما اذا عاينا الجزاء طويلة لا يستطاع
احصاؤها قال الملك لئن رأيت ايراخت حية لا أحزن على شئ أبدا قال ايلاذ اثنان

لا ينبغي لهما ان يحزنا المجتهد في البر كل يوم والذي لم يأثم قط قال الملك ما أنا بناظر الى
ايراخت اكثر مما نظرت قال ايلاذ اثنان لا ينظران الاعمى والذي لا عقل له وكما ان
الاعمى لا ينظر السماء ونجومها وأرضها ولا ينظر القرب والبعد كذلك الذي لا عقل
له لا يعرف الحسن من القبيح ولا المحسن من المسيء قال الملك لو رأيت ايراخت لاشتد
فرحي قال ايلاذ اثنان هما الفرحان البصير والعالم فكان البصير يبصر أمور العالم
وما فيه من الزيادة والنقصان والقريب والبعيد فكذلك العالم يبصر البر والاثم
ويعرف عمل الآخرة ويتبين له نجاته ويهدى الى صراط مستقيم قال الملك ينبغي لنا
ان نتباعد منك يا ايلاذ ونأخذ الحذر ونلزم الاتقاء قال ايلاذ اثنان ينبغي ان يتباعد
منهما الذي يقول لا بر ولا اثم ولا عقاب ولا ثواب ولا شيء على مما أنا فيه والذي لا يصرف
بصره عن المحرم ولا اذنه عن استماع السوء ولا فرجه عن نساء غيره ولا قلبه عما تهم به
نفسه من الاثم والحرص قال الملك صارت يدي من ايراخت صفراء قال ايلاذ ثلاثة
أشياء أصفار النهر الذي ليس فيه ماء والارض التي ليس فيها ملك والمرأة التي ليس لها
بعل قال الملك انك يا ايلاذ لتلق بالجواب قال ايلاذ ثلاثة يلقون بالجواب الملك الذي
يعطي ويقسم من خزائنه والمرأة المهداة الى من تهوى من ذوي الحسب والرجل العالم
الموفق للخير ثم ان ايلاذ لما رأى الملك اشتد به الامر قال أيها الملك ان ايراخت بالحياة
فلما سمع الملك ذلك اشتد فرحه وقال يا ايلاذ ما منعني من الغضب ما أعرف من
نصيحتك وصدق حديثك وكنت أرجو لمعرفتي بعلمك ان لا تكون قد قتلت
ايراخت فانها وان كانت أتت عظيما واغلظت في القول فلم تأته عداوة ولا طلب مضرة
ولكنها فعلت ذلك للغيرة وقد كان ينبغي لي ان أعرض عن ذلك وأحتمله ولكنك
يا ايلاذ أردت أن تختبرني وتركني في شك من أمرها وقد اتخذت عندي أفضل
الايدي وأنا لك شاكر فانطلق فائتني بها فخرج من عند الملك فاتى ايراخت وأمرها
ان تتزين ففعلت ذلك وانطلق بها الى الملك فلما دخلت سجدت له ثم قامت بين يديه
وقالت أحمد الله تعالى ثم أحمد الملك الذي أحسن الي قد أذنبت الذنب العظيم الذي
لم أكن للبقاء أهلا بعده فوسعه حلمه وكرم طبعه ورأفته ثم أحمد ايلاذ الذي أخر أمري
وأنجاني من الهلكة لعلمه برأفة الملك وسعة حلمه وجوده وكرم جوهره ووفاء عهده
وقال الملك لايلاذ ما أعظم يدك عندي وعند ايراخت وعند العامة اذ قد أحييتها بعد

ماأمرت بقتلها فانت الذى وهبهالى اليوم فانى لم أزل واثقا بنصيحتك وتدبيرك وقد ازددت اليوم عندى كرامة وتعظيما وانت محكم فى ملكى تعمل فيه بما ترى وتحكم عليه بما تريد فقد جعلت ذلك اليك ووثقت بك قال ايلاذ أدام الله لك أيها الملك الملك والسرور فلست بمحمود على ذلك فانما أنا عبدك لكن حاجتى ان لا يعجل الملك فى الامر الجسيم الذى يندم على فعله وتكون عاقبته الهم والحزن ولاسيما فى مثل هذه المرأة الناصحة المشفقة التى لا يوجد فى الأرض مثلها فقال الملك بحق قلت يا ايلاذ وقد قبلت قولك ولست عاملا بعدها عملا صغيرا ولا كبيرا فضلا عن مثل هذا الامر العظيم الذى سلمت منه الا بعد المؤامرة والنظر والتردد الى ذوى العقول ومشاورة أهل المودة والرأى ثم أحسن الملك جائزة ايلاذ ومكنه من أولئك البراهمة الذين أشاروا بقتل أحبابه فاطلق بهم السيف وقرت عين الملك وعيون عظماء أهل مملكته وحمدوا الله وأثنوا على كباريون لسعة علمه وفضل حكمته لان بعلمه خلص الملك ووزيره الصالح وامرأته الصالحة * انقضى باب ايلاذ وبلاذ وايراخت

(باب اللبوة والاسوار والشغبر)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شأن من يدع ضر غيره اذا قدر عليه لما يصيبه من الضر ويكون له فيما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعدوان لغيره قال الفيلسوف انه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس وما يسوءهم الا أهل الجهالة والسفه وسوء النظر فى العواقب من أمور الدنيا والآخرة وقلة العلم بما يدخل عليهم فى ذلك من حلول النقمة وبما يلزمهم من تبعة ما اكتسبوا مما لا تحيط به العقول وان سلم بعضهم من ضرر بعض عثيثة عرضت له قبل ان ينزل به وبال ما صنع فان من لم يفكر فى العواقب لم يأمن المصائب وحقيق ان لا يسلم من المعاطب وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير فارتدع عن ان يغشى أحدا بمثل ذلك من الظلم والعدوان وحصل له نفع ما كف عنه من ضرره لغيره فى العاقبة فنظير ذلك حديث اللبوة والاسوار والشغبر قال الملك وكيف كان ذلك قال الفيلسوف زعموا ان لبوة كانت فى غيضة ولها شبلان وانها خرجت فى طلب الصيد وخلفتهما فى كهفهما فمر بهما اسوار فحمل عليهما ورماهما فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما وانصرف بهما الى منزله ثم انها رجعت فلما رأت ما حل بهما من

الامر الفظيع اضطربت ظهراً لبطن وصاحت وضجت وكان الى جنبها اشغبر فلما
سمع ذلك من صياحها قال لها ما هذا الذى تصنعين وما نزل بك فاخبريني به
قالت اللبوة شبلاى مر بهما أسوار فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما ونبذهما بالعراء
قال لها الشغبر لا تضجي وانصفي من نفسك واعلمي ان هذا الاسوار لم يأت اليك
شيئا الا وقد كنت تفعلين بغيرك مثله وتأتين الى غير واحد مثل ذلك ممن كان
يجد بحميمه ومن يعز عليه مثل ما تجدين بشبليك فاصبري على فعل غيرك كما صبر
غيرك على فعلك فانه قد قيل كما تدين تدان ولكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب
وهما على قدره في الكثرة والقلة كالزرع اذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره
قالت اللبوة بين لى ما تقول وافصح لى عن اشارته قال الشغبر كم أتى لك من العمر قالت
اللبوة مائة سنة قال الشغبر ما كان قوتك قالت اللبوة لحم الوحش قال الشغبر من كان
يطعمك اياه قالت اللبوة كنت أصيد الوحش وآكله قال الشغبر أرأيت الوحوش
التى كنت تأكلين أما كان لها آباء وأمهات قالت بلى قال الشغبر فما بالى لا أرى
ولا أسمع لتلك الآباء والامهات من الجزع والضجيج ما أرى وأسمع لك اما انه لم
ينزل بك ما نزل الا لسوء نظرك في العواقب وقلة تفكرك فيها وجهالتك بما يرجع
عليك من ضررها فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الشغبر عرفت ان ذلك مما جنت على
نفسها وان عملها كان جورا وظلما فتركت الصيد وانصرفت عن أكل اللحم الى أكل
الثمار والنسك والعبادة فلما رأى ذلك الورشان كان صاحب تلك الغيضة وكان
عيشه من الثمار قال لها قد كنت أظن ان الشجر عامنا هذا لم يحمل لقلة الماء فلما
أبصرتك تأكلينها وأنت آكلة اللحم فتركت رزقك وطعامك وما قسم الله لك وتحولت
الى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيه علمت أن الشجر العام أثمرت كما كانت
تثمر قبل اليوم وانما أتت قلة الثمر من جهتك فويل للشجر وويل للثمار وويل
لمن عيشه منها ما أسرع هلاكهم اذا دخل عليهم في أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له
فيها حظ ولم يكن معتادا لاكلها فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الورشان تركت
أكل الثمار وأقبلت على أكل الحشيش والعبادة وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم
ان الجاهل ربما انصرف بضر يصيبه عن ضر الناس كاللبوة التى انصرفت لما لقيت في
شبليها عن أكل اللحم ثم عن أكل الثمار بقول الورشان وأقبلت على النسك والعبادة

والناس أحق بحسن النظر في ذلك فانه قد قيل ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك فان
في ذلك العدل وفي العدل رضا الله تعالى ورضا الناس انتهى باب اللبوة والاسوار
والشعبر

(باب الناسك والضيف)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الذي يدع
صنعه الذي يليق به ويشاكله ويطلب غيره فلا يدركه فيبقى حيران مترددا قال
الفيلسوف زعموا انه كان بأرض الكرخ ناسك عابد مجتهد فنزل به ضيف ذات يوم فدعا
الناسك لضيفه بتمر ليطرفه به فأكلا منه جميعا ثم قال الضيف ما أحلى هذا التمر
وأطيبه فليس هو في بلادي التي أسكنها وليته كان فيها ثم قال أرى ان تساعدني
على ان آخذ منه ما أغرسه في ارضنا فاني لست عارفا بثمار أرضكم هذه ولا بمواضعها
فقال له الناسك ليس لك في ذلك راحة فان ذلك يثقل عليك ولعل ذلك لا يوافق
أرضكم مع ان بلادكم كثيرة الاثمار فما حاجتك مع كثرة ثمارها الى التمر مع وخامته
وقلة موافقته للجسد ثم قال له الناسك انه لا يعد سعيدا من طلب ما لا يجد وانك سعيد
الجد اذا قنعت بالذي تجد وتزهد فيما لا تجد وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية
فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه فتكلف ان يتعلمه وعالج في ذلك نفسه أياما فقال
الناسك لضيفه ما أخلقك ان تقع مما تركت من كلامك وتكلفت من كلام
العبرانية في مثل ما وقع فيه الغراب قال الضيف وكيف كان ذلك قال الناسك
زعموا ان غرابا رأى حجلة تدرج وتمشي فأعجبته مشيتها وطمع أن يتعلمها فراض على
ذلك نفسه فلم يقدر على احكامها وأيس منها وأراد أن يعود الى مشيته التي كان عليها
فاذا هو قد اختلط وتخلع في مشيته وصار أقبح الطير مشيا وانما ضربت لك هذا المثل
لما رأيت من انك تركت لسانك الذي طبعت عليه وأقبلت على لسان العبرانية وهو
لا يشاكلك وأخاف ان لا تدركه وتنسى لسانك وترجع الى أهلك وأنت أشرهم لسانا
فانه قد قيل انه يعد جاهلا من تكلف من الامور ما لا يشاكله وليس من عمله ولم يؤدبه
عليه آباؤه واجداده من قبل * انتهى باب الناسك والضيف

(باب السائح والصائغ)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلا في شأن الذي
يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشكر عليه قال الفيلسوف أيها الملك ان
طبائع الخلق مختلفة وليس مما خلقه الله في الدنيا ماشي على أربع أو على رجلين
أو يطير بجناحين شيء هو أفضل من الانسان ولكن من الناس البر والفاجر وقد
يكون في بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمة وأشد محاماة على حرمه
وأشكر للمعروف وأقوم به وحينئذ يجب على ذوي العقل من الملوك وغيرهم ان
يضعوا معروفهم مواضعه ولا يضيعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره ولا يصطنعون
أحدا الا بعد الخبرة بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودته وشكره ولا ينبغي ان يختصوا
بذلك قريبا لقرابته اذا كان غير محتمل للصنيعة ولا ان يمنعوا معروفهم ورفدهم
البعيد اذا كان يقيهم بنفسه وما يقدر عليه لانه يكون حينئذ بارا فايحق ما اصطنع
اليه مؤديا للشكر ما أنعم عليه محمودا بالنصح معروفا بالحرص وقاعا رفا مؤثرا الجميل
الفعال والقول وكذلك كل من عرف بالخصال المحمودة ووثق منه بها كان للمعروف
موضعا وانتقر بيه واصطناعه أهلا فان الطبيب الرفيق العاقل لا يقدر على مداواة
المريض الا بعد النظر اليه والجس لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علته فاذا عرف
ذلك كله حق معرفته أقدم على مداواته فكذلك العاقل لا ينبغي له أن يصطفي
احدا ولا يستخلصه الا بعد الخبرة فان من أقدم على مشهور العدالة من غير اختبار كان
مخاطرا في ذلك ومشرفا منه على هلاك وفساد ومع ذلك ربما صنع الانسان المعروف مع
الضعيف الذي لم يجرب شكره ولم يعرف حاله في طبائعه فيقوم بشكر ذلك ويكافي
عليه أحسن المكافأة وربما تحذر العاقل من الناس ولم يأمن على نفسه أحدا منهم وقد
يأخذ ابن عرس فيدخله في كمه ويخرجه من الآخر كالذي يحمل الطائر على يده فاذا
صاد شيأ انتفع به واطعمه منه وقد قيل لا ينبغي لذي العقل أن يحتقر صغيرا ولا كبيرا
من الناس ولا من البهائم ولكنه جدير بأن يبلوهم ويكون ما يصنع اليهم على قدر
ما يرى منهم وقد مضى في ذلك مثل ضربه بعض الحكماء قال الملك وكيف كان ذلك
قال الفيلسوف زعموا ان جماعة احتفروا ركية فوقع فيها رجل صائغ وحية وقرد
وببر ومر بهم رجل سائح فأشرف على الركية فبصر بالرجل والحية والببر والقرد
ففكر في نفسه وقال لست أعمل لآخرتي عملا أفضل من ان اخلص هذا الرجل من بين

هؤلاء الاعداء فأخذ حبلا وأدلاه الى البئر فتعلق به القرد فخرج ثم دلاه ثانية فالتفت به الحية فخرجت ثم دلاه الثالثة فتعلق به النمر فاخرجه فشكرن له صنيعه وقلن له لاتخرج هذا الرجل من الركية فانه ليس شيء أقل من شكر الانسان ثم هذا الرجل خاصة ثم قال له القرد ان منزلي في جبل قريب من مدينة يقال لها نوادرخت فقال له النمر انا أيضا في اجمة الى جانب تلك المدينة قالت الحية انا أيضا في سور تلك المدينة فان أنت مررت بنا يوما من الدهر واحتجت الينا فصوت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما اسديت الينا من المعروف فلم يلتفت السائح الى ما ذكروا له من قلة شكر الانسان وأدلى الحبل فأخرج الصائغ فسجد له وقال له لقد أوليتني معروفا فان أتيت يوما من الدهر مدينة نوادرخت فاسأل عن منزلي فأنا رجل صائغ لعلي أكافئك بما صنعت الي من المعروف فانطلق الصائغ الى مدينته وانطلق السائح الى جانبه فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت له حاجة الى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له وقبل رجليه واعتذر اليه وقال ان القرود لا يملكون شيأ ولكن اقعد حتى آتيك وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيبة فوضعها بين يديه فأكل منها حاجته ثم ان السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله النمر فخر له ساجدا وقال له انك قد أوليتني معروفا فاطمئن ساعة حتى آتيك فانطلق النمر فدخل في بعض الحيطان الى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها فأتاه به من غير أن يعلم السائح من أين هو فقال في نفسه هذه البهائم قد أولتني هذا الجزاء فكيف لو قد أتيت الى الصائغ فانه ان كان معسرا لا يملك شيأ فسيبيع هذا الحلي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه فانطلق السائح فأتى الى الصائغ فلما رآه رحب به وأدخله الى بيته فلما بصر بالحلي عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك فقال للسائح اطمئن حتى آتيك بطعام فلست أرضى لك ما في البيت ثم خرج وهو يقول قد اصبت فرصتي أريد أن انطلق الى الملك وأدله على ذلك فتحسن منزلتي عنده فانطلق الى باب الملك فأرسل اليه ان الذي قتل ابنتك واخذ حليها عندي فارسل الملك وأتى بالسائح فلما نظر الحلي معه لم يمهله وأمر به أن يعذب ويطاف به في المدينة ويصلب فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته لو أني أطعت القرد والحية والنمر فيما أمرني به وأخبرني من قلة شكر الانسان لم يصر أمري الى هذا البلاء وجعل يكرر هذا القول فسمعت

مقالته تلك الحية فهربت من جحرها وفرقته فاشتد عليها أمره فطلبت حيلة في خلاصه فانطلقت حتى لدغت ابن الملك فدعا الملك أهل العلم فرقوه ليشفوه فلم يغنوا عنه شيئا ثم مضت الحية الى أخت لها من الجن فأخبرتها بما صنع السائح اليها من المعروف وما وقع فيه فرقت له وانطلقت الى ابن الملك وتخايلت له وقالت له انك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلما وانطلقت الحية الى السائح فدخلت اليه السجن وقالت له هذا الذي كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف الى هذا الانسان ولم تطعني وأتته بورق ينفع من سمها وقالت له اذا جاؤوك لترقي ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق فانه يبرأ واذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فانك تنجو ان شاء الله تعالى وان ابن الملك أخبر الملك انه سمع قائلا يقول انك لن تبرأ حتى يرقيك هذا السائح الذي حبس ظلما فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقي ولده فقال لا أحسن الرقى ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ باذن الله تعالى فسقاه فبرئ الغلام ففرح الملك بذلك وسأله عن قصته فأخبره فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة وأمر بالصائغ ان يصلب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح ثم قال الفيلسوف للملك ففي صنيع الصائغ بالسائح وكفره له بعد استنقاذه اياه وشكر البهائم له وتخليص بعضها اياه عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن افتكر وادب في وضع المعروف والاحسان عند أهل الوفاء والكرم قربوا او بعدوا لما في ذلك من صواب الرأى وجلب الخير وصرف المكروه انتهى باب السائح والصائغ

﴿باب ابن الملك وأصحابه﴾

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فان كان الرجل لا يصيب الخير الا بعقله ورأيه وتثبته في الامور كما يزعمون فما بال الرجل الجاهل يصيب الرفعة والخير والرجل الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضر قال بيدبا كما أن الانسان لا يبصر الا بعينيه ولا يسمع الا بأذنيه كذلك العمل انما هو بالحلم والعقل والتثبت غير أن القضاء والقدر يغلب على ذلك ومثل ذلك مثل ابن الملك وأصحابه قال الملك وكيف كان ذلك قال الفيلسوف زعموا ان أربعة نفر اصطحبوا في طريق واحدة أحدهم ابن ملك والثاني ابن تاجر والثالث ابن شريف ذو جمال والرابع ابن أكار وكانوا جميعا محتاجين وقد أصابهم ضر وجهد شديد في موضع غربة لا يملكون

الا ما عليهم من الثياب فبينما هم يمشون اذ فكروا في أمرهم وكان كل انسان منهم راجعا الى طباعه وما كان يأتيه منه الخير قال ابن الملك ان أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر والذي قدر على الانسان يأتيه على كل حال والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الامور وقال ابن التاجر العقل افضل من كل شيء وقال ابن الشريف الجمال أفضل مما ذكر ثم قال ابن الاكار ليس في الدنيا أفضل من الاجتهاد في العمل فلما قربوا من مدينة يقال لها ماطرون جلسوا في ناحية منها يتشاورون فقالوا لابن الاكار انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاما ليومنا هذا فانطلق ابن الاكار وسأل عن عمل اذا عمله الانسان يكتسب فيه طعام أربعة نفر فعرفوه انه ليس في تلك المدينة شيء أعز من الحطب وكان الحطب منها على فرسخ فانطلق ابن الاكار فاحتطب طنا من الحطب وأتى به المدينة فباعه بدرهم واشترى به طعاما وكتب على باب المدينة عمل يوم واحد اذا أجهد فيه الرجل بدنه قيمته درهم ثم انطلق الى أصحابه بالطعام فأكلوا فلما كان بالغد قالوا ينبغي للذي قال انه ليس شيء أعز من الجمال أن تكون نوبته فانطلق ابن الشريف ليأتي المدينة ففكر في نفسه وقال أنا لست أحسن عملا فما يدخلني المدينة ثم استحى أن يرجع الى أصحابه بغير طعام وهم بمفارقتهم فانطلق حتى أسند ظهره الى شجرة عظيمة فغلبه النوم فنام فمرت به امرأة رجل من عظماء المدينة وبصرت به فأعجبها حسنه فأرسلت خادمتها وأمرتها أن تأتيها به فانطلقت الجارية الى الغلام وأمرته أن يتبعها الى مولاتها فظل نهاره عندها في أرغد عيش فلما كان عند المساء اجازته بخمسمائة درهم فخرج وكتب على باب المدينة جمال يوم واحد يساوي خمسمائة درهم وأتى بالدراهم الى أصحابه فلما أصبحوا في اليوم الثالث قالوا لابن التاجر انطلق أنت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك ليومنا هذا شيأ فانطلق ابن التاجر فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع قد قدمت الى الساحل فخرج اليها جماعة من التجار يريدون أن يبتاعوا مما فيها من المتاع فجلسوا يتشاورون في ناحية من المركب وقال بعضهم لبعض ارجعوا يومنا هذا لا نشتري منهم شيأ حتى يكسد المتاع عليهم فيرخصوه علينا مع انا محتاجون اليه وسيرخص فخالف الطريق وجاء الى أصحاب المركب فابتاع منهم ما فيها بمائة دينار نسيئة وأظهر انه يريد ان ينقل متاعه الى مدينة أخرى فلما سمع التجار ذلك خافوا أن يذهب ذلك المتاع من أيديهم فاربحوه على

ما اشتراه مائة ألف درهم وأحال عليهم أصحاب المركب بالباقي ورحل بربحه الى أصحابه وكتب على باب المدينة عقل يوم واحد غنمه مائة ألف درهم فلما كان اليوم الرابع قالوا لابن الملك انطلق أنت واكتسب لنا بقضائك وقدرك فانطلق ابن الملك حتى أتى الى باب المدينة فجلس على متكئ في باب المدينة واتفق أن ملك تلك الناحية مات ولم يخلف ولدا ولا أحدا اذا قرابة فمروا عليه بجنازة الملك ولم يحزنه وكلهم يحزنون فأنكروا حاله وشتمه البواب وقال له من أنت يا كلب وما يجلسك على باب المدينة ولا نراك تحزن لموت الملك وطرده البواب عن الباب فلما ذهبوا عاد الغلام فجلس مكانه فلما دفنوا الملك ورجعوا ابصر به البواب فغضب وقال له ألم أنهك عن الجلوس في هذا الموضع وأخذه فحبسه فلما كان الغد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون فيمن يملكونه عليهم وكل منهم يتطاول بنظر صاحبه ويختلفون بينهم فقال لهم البواب اني رأيت أمس غلاما جالسا على الباب ولم أره يحزن لحزننا فكلمته فلم يجبني فطردته عن الباب فلما عدت رأيته جالسا فادخلته السجن مخافة ان يكون عينا فبعث أشراف أهل المدينة الى الغلام فجاؤا به وسألوه عن حاله وما أقدمه الى مدينتهم فقال أنا ابن ملك فوران وانه لما مات والدي غلبني أخي على الملك فهربت من يده حذرا على نفسي حتى انتهيت الى هذه الغاية فلما ذكر الغلام ما ذكر من أمره عرفه من كان يغشى أرض أبيه منهم وأثنوا على أبيه خيرا ثم ان الاشراف اختاروا الغلام ان يملكوه عليهم ورضوا به وكان لأهل تلك المدينة سنة اذا ملكوا عليهم ملكا حملوه على فيل أبيض وطافوا به حول المدينة فلما فعلوا به ذلك مر بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب فامر ان يكتب ان الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب الرجل في الدنيا من خير وشر انما هو بقضاء وقدر من الله عز وجل وقد ازددت في ذلك اعتبارا بما ساق الله الي من الكرامة والخير ثم انطلق الى مجلسه فجلس على سرير ملكه وارسل الى أصحابه الذين كان معهم فاحضرهم فأشرك صاحب العقل مع الوزراء وضم صاحب الاجتهاد الى أصحاب الزرع وامر لصاحب الجمال بمال كثير ثم نفاه كي لا يفتتن النساء ثم جمع علماء أرضه وذوي الرأي منهم وقال لهم اما أصحابي فقد تيقنوا ان الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير انما هو بقضاء الله وقدره وانما أحب ان تعلموا ذلك وتستيقنوه فان الذي منحني الله وهيأه لي انما كان بقدر ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد وما كنت أرجو اذا طردني أخي

ان

ان يصيبني مايعيشني من القوت فضلا عن ان أصيب هذه المنزلة وما كنت أؤمل أن
أكون بها الا انى قد رأيت فى هذه الارض من هو أفضل منى حسبا وجمالا واشد اجتهادا
وأفضل رأيا فساقنى القضاء الى أن اعتززت بقدر من الله وكان فى ذلك الجمع شيخ فنهض
حتى استوى قائما وقال انك قد تكلمت بكلام كامل عقل وحكمة وان الذى بلغ بك
ذلك وفور عقلك وحسن ظنك وقد حققت ظننا فيك ورجاءنا لك وقد عرفنا ماذكرت
وصدقناك فيما وصفت والذى ساق الله اليك من الملك والكرامة كنت اهلا له لما قسم
الله لك تعالى من العقل والرأى وان أسعد الناس فى الدنيا والآخرة من رزقه الله رأيا
وعقلا وقد أحسن الله الينا اذ وفقك لنا عند موت ملكنا وكرمنا بك ثم قام شيخ آخر
سائح فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وقال انى كنت أخدم وأنا غلام قبل أن أكون
سائحا رجلا من اشراف الناس فلما بدا لى رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل وقد كان
أعطانى من اجرتى دينارين فأردت أن أتصدق بأحدهما وأستبقى الآخر فأتيت السوق
فوجدت مع رجل من الصيادين زوج هدهد فساومته فيهما فأبى الصياد أن يبيعهما
الا بدينارين فاجتهدت أن يبيعنيهما بدينار واحد فأبى فقلت فى نفسى اشترى أحدهما
واترك الآخر ثم فكرت وقلت لعلهما ان يكونا زوجين ذكرا وانثى فافرق بينهما
فادركنى لهما رحمة فتوكلت على الله وابتعتهما بدينارين وأشفقت ان أرسلتهما فى
أرض عامرة أن يصادا ولا يستطيعا أن يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال ولم آمن
عليهما الآفات فانطلقت بهما الى مكان كثير المرعى والاشجار بعيد عن الناس
والعمار فأرسلتهما فطارا ووقعا على شجرة مثمرة فلما صارا فى أعلاها شكرا الى وسمعت
أحدهما يقول للآخر لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذى كنا فيه واستنقذنا
ونجانا من الهلكة وانا لخليقان أن نكافئه بفعله وان فى أصل هذه الشجرة جرة مملوءة
دنانير افلا ندله عليها فيأخذها فقلت لهما كيف تدلانى على كنز لم تره العيون وأنتما
لا تبصران الشبكة فقالا ان القضاء اذا نزل صرف العيون عن موضع الشئ وغشى
البصر وانما صرف القضاء أعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكنز فاحتفرت
واستخرجت البرنية وهى مملوءة دنانير فدعوت لهما بالعافية وقلت لهما الحمد لله الذى
علمكما مارأى وأنتما تطيران فى السماء واخبرتمانى بما تحت الارض فقالا لى أيها
العاقل اما تعلم ان القدر غالب على كل شئ لا يستطيع احد أن يجاوزه وأنا أخبر

الملك بذلك الذى رأيته فان أمر الملك أتيته بالمال فأودعته فى خزائنه فقال الملك ذلك
للملك وهو قرهليك انتهى باب ابن الملك وأصحابه

﴿باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين﴾

وهو باب من يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه قال الملك للفيلسوف قد سمعت هذا المثل
فاضرب لى مثلا فى شأن الرجل الذى يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه قال الفيلسوف
ان مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين قال الملك وما مثلهم قال الفيلسوف
زعموا أن حمامة كانت تفرخ فى رأس نخلة طويلة ذاهبة فى السماء فكانت الحمامة
تشرع فى نقل العش الى رأس تلك النخلة ولا يمكن ما تنقل من العش وتحمله تحت
البيض الا بمشقة وتعب ومشقة لطول النخلة وسحوقها فاذا فرغت من النقل باضت
ثم حضنت بيضها فاذا فقست وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت قد
علمه بقدر ما ينهض فراخها فيقف بأصل النخلة فيصيح بها ويتوعدها أن يرقى اليها
فتلقى اليه فراخها فبينما هى ذات يوم قد أدرك لها فرخان اذ أقبل مالك الحزين فوقع
على النخلة فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها مالك الحزين يا حمامة
مالى أراك كاسفة اللون سيئة الحال فقالت له يا مالك الحزين ان ثعلبا دهيت به كلما
كان لى فرخان جاء فى يهددنى ويصيح فى أصل النخلة فأفرق منه فأطرح اليه فرخى
قال لها مالك الحزين اذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولى له لا ألقى اليك فرخى فارق الى
وغرر بنفسك فاذا فعلت ذلك وأكلت فرخى طرت عنك ونجوت بنفسى فلما علمها مالك
الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر فأقبل الثعلب فى الوقت الذى عرف
فوقف تحتها ثم صاح كما كان يفعل فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين فقال لها
الثعلب أخبرينى من علمك هذا قالت علمنى مالك الحزين فتوجه الثعلب حتى أتى مالك
الحزين على شاطئ النهر فوجده واقفا فقال له الثعلب يا مالك الحزين اذا أتتك الريح
عن يمينك أين تجعل رأسك قال عن شمالى قال فاذا أتتك عن شمالك أين تجعل
رأسك قال أجعله عن يمينى أو خلفى قال فاذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية
أين تجعله قال أجعله تحت جناحى قال وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك
ما أراه يتهيأ لك قال بلى قال فأرنى كيف تصنع فلعمرى يا معشر الطير لقد فضلكم الله
علينا انكن تدرين فى ساعة واحدة مثل ما ندرى فى سنة وتبلغن ما لا نبلغ وتدخلن

رؤسكن

رؤسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح فهنيأ لكن فأرني كيف تصنع فأدخل الطائر رأسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دق قلبه ثم قال يا عدو نفسه ترى الرأي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يستمكن منك عدوك ثم قتله وأكله فلما انتهى المنطق بالملك والفيلسوف الى هذا المكان سكت الملك فقال له الفيلسوف أيها الملك عشت ألف سنة وملكت الاقاليم السبعة أعطيت من كل شيء سببا مع وفور سروررك وقرة عين رعيتك بك ومساعدة القضاء القدر لك فانه قد كمل فيك الحلم والعلم وذكى منك العقل والقول والنية فلا يوجد في بك نقص ولا في قولك سقط ولا عيب وقد جمعت النجدة واللين فلا توجد جبانا عند اللقاء ولا ضيق الصدر عند ما ينوبك من الاشياء وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الامور وشرحت لك جواب ما سألتني عنه منها فأبلغتك في ذلك غاية نصحي واجتهدت فيه برأيي ونظري ومبلغ فطنتي التماس القضاء حقك وحسن النية منك باعمال الفكرة والعقل فجاء كما وصفت لك من النصيحة والموعظة مع انه ليس الآمر بالخير باسعد من المطيع له فيه ولا الناصح باولى بالنصيحة من المنصوح ولا المعلم للخير باسعد من متعلمه منه فافهم ذلك أيها الملك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الحمد لله الذي خلق الانسان في أحسن تقويم وخصه من بين مخلوقاته بأنواع الشرف والتكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي اللفظ البديع وآله وأصحابه ذوي القدر الرفيع (وبعد) فقد تم طبع هذا الكتاب المنهل العذب المستطاب لاشتماله على كل لفظ نفيس ومنهل سلسبيل معانيه مورد كل سمير وأنيس ولعمري انه حري أن يكتب بسواد المسك على بياض الكافور وجدير بأن يعلق بخيوط النور على نحور الحور كيف لا وهو كتاب يجب ان تبذل اليه الهمم لان ظاهر لفظه حلو ومعانيه حكم وكان طبعه الزاهر وتمام وضعه الباهر بالمطبعة العامرة العثمانية التي محل ادارتها مصر حارة الفراخة بخط باب الشعرية ادارة مديرها ومنشيها الهمام الفائق الفاضل الكامل الشيخ عثمان عبد الرازق ولاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه في أوائل شهر ربيع الثاني سنة ألف وثلاثمائة وخمسة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وعظم وشرف وكرم

﴿فهرسة كليلة ودمنة﴾

صحيفة

﴿تمت﴾



